البومة

التاريخ الطبيعي والثقافي

ديزموند موريس



سلسلة الحيوانات

البومة

ديزموند موريس

ترجمة: عزيز صبحي جابر

مراجعة : د. احمد خريس



سلسلة حيوانات

البومة

التاريخ الطبيعي والثقافي

الطبعة الأولى 1431هـ 2010م
حقوق الطبع محفوظة
© هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة)

QL 677-79-E85 M66 2010
Morris, Dessmond
[Owl]
البومة/ ديزموند موريس؛ ترجمة عزيز صبحي جابر.-ط1.- أبوظبي : هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، كلمة، 2010.
ص. : سم.
ترجمة كتاب: Owl
تدمك: 978-9948-01-553-6
1 - الطيور. 2 - البومة أ- جابر، عزيز صبحي ب- العنوان

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنجليزي:
Desmond Morris
Owl



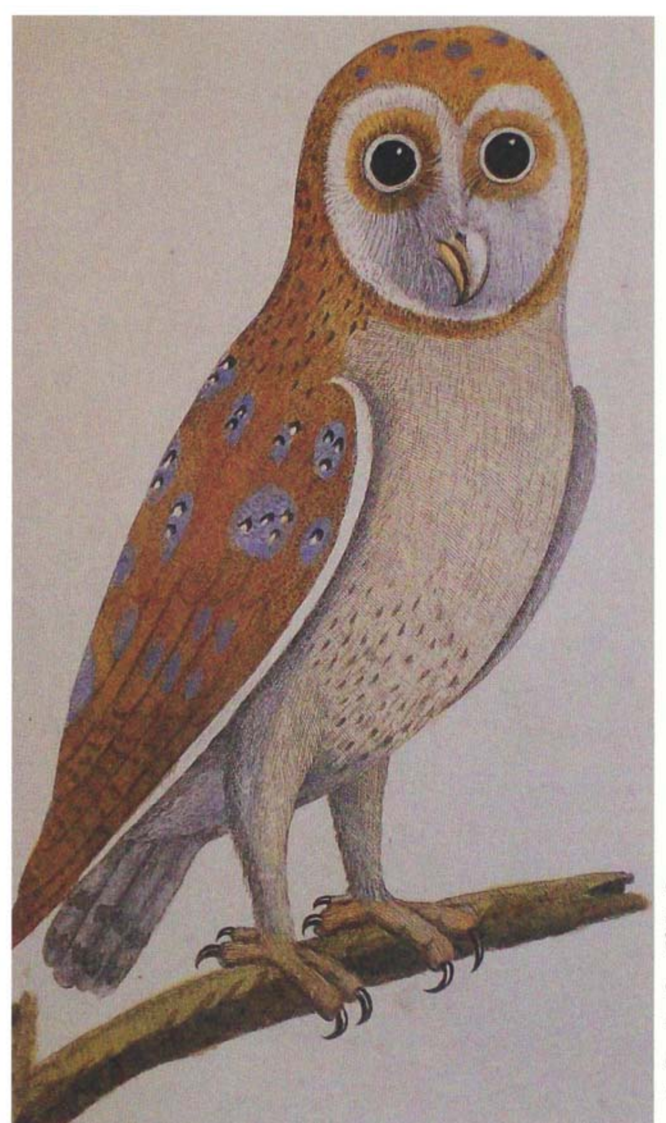
www.kalima.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 468 6314 2 971+
فاكس: 462 6314 2 971+



www.cultural.org.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 300 6215 2 971+
فاكس: 059 6336 2 971+



المحتويات



البومة البيضاء، لوحة لبومة الحظائر للفنان إليعازر آلبين (Eleazar Albin، ١٧٣١). فقد شكّل مثل هذا الشكل الأيقوني[1] للبومة مصدر بهجة للرسامين الموضّحين لعقود كثيرة.

١- (الأيقونة icon) : هي الصورة أو التمثال أو التكوين الفسيفسائي الذي يمثّل شخصاً مقدساً في الكنائس الشرقية، والذي يُقصد به أن يُساعد المتعبّد على تركيز تعبده في التضرُّع إلى الله، أو التوسل بأحد القديسين: (المترجم).

مقدمة

ينضوي البومة[1] على تناقض واضح، فهو يعد من أكثر الطيور انكشافاً ووضوحاً لنا، وأكثرها غموضاً أيضاً. فإذا طلبت من أي شخص -حتى من طفل صغير- أن يرسم صورة لبومة فسوف يبادر لذلك دون تردد. وأما إذا سألته متى كانت آخر مرة رأى فيها بومة، سوف يصمت لبرهة، ويفكر ملياً، ويجيبك أنه لا يتذكر. أما عن صورة البومة في الكتاب يجيء الجواب: نعم، أو صورة الطائر في برنامج تلفزيوني وثائقي، الجواب: محتمل، أو طائر موجود في قفص في حديقة الحيوان، الجواب: ربما. أما متى رأى طائر بومة حياً في البرية في حالته الطبيعية؟ فتلك قضيّة أخرى.

كيف نشأ مثل هذا التناقض؟ يبدو من السهل أن ندرك سبب عدم رؤيتنا لطائر البومة الحي إلا نادراً، ويعود ذلك إلى أن هذا الطائر الضاري الخجل يقوم بتحليقاته بصمت تام تحت جنح الظلام. فلولا خروجنا عن طورنا لصيد واحد منها، وتنظيمنا لمطاردات ليليّة مجهزة بمعدات خاصة، لما سنحت لنا فرصة رؤية أحد هذه الطيور وجهاً لوجه. من الصعب تفسير معرفتنا الكبيرة بمظهر هذا الطائر، في حين أننا رأينا أعداداً قليلة جداً منه. يكمن الجواب في شكل رأسه الفريد. يمتلك البومة -على غرار شكل الإنسان- رأسا عريضة مدوّرة، ووجهاً مفلطحاً وعينين كبيرتين واسعتين تحدقان دائماً. يضفي عليه هذا الشكل سمة

١- البومة يستوي فيه المذكر والمؤنث، جمعه بوم وجمع الجمع أبوام. انظر: لسان العرب مادة بوم: (المترجم).

رؤية طفل لطائر البومة: البومة الحكيم، والبومة الحزين، والبومة الغضبان. رسم ماتيلدا **Matilda** عمرها عشر سنوات، رسمت بقلم حبر وقلم رصاص على الورق ٢٠٠٨ .

بشرية استثنائية تميّزه عن بقية الطيور، فقد أشير إليه قديما بالطائر ذي الرأس البشرية. نسمّي أنفسنا الإنسان العاقل Homo Sapiens. وتعني (الرجل الحكيم) ولأن البومة يمتلك رأسا تشبه رأس الإنسان، فإننا نشير له بـ (الطائر العجوز الحكيم). في الحقيقة لا يضاهي طائر البومة حكمة الغراب أو الببغاء، لكننا نحسبه حكيماً لأنه ببساطة يشبهنا من الخارج.

ما يجعلنا نشعر أننا على دراية بهذا الطائر، هو ذلك الشبه الذي يجمعه بالإنسان. أما رأسه العريض وعيناه الواسعتان الكبيرتان فهما ما يحتّمان علينا الجزم، عندما نحدّق بهذا الطير أننا نقف في حضرة قريب من جنس طيور ذي بصيرةٍ وقّادة. وهذا يجعلنا نتعاطف ونتخوف منه في الوقت ذاته. إذا كان البوم تتمتع بهذا القدر من الحكمة، ولا تخرج إلا في ظلمة الليل الحالك، فهي تخرج لمهمة ليست خيّرة ؟ فهي مثل اللصوص، تنقضّ على فرائسها عندما تكون ضحاياهم في أضعف حالاتها. وتشبه مصاصي الدماء الذين لا يسحبون الدم إلا عندما تغرب الشمس. ربما يخفي طائر البوم شيئاً غير الحكمة، شيئاً ينضوي على شرٍّ كبيرٍ؟

عندما نتفحص تاريخ علاقتنا بالبوم، نكتشف أنها كانت تحتمل- في

الحقيقة- الحكمة والشر على حد سواء فقط. تستمر صورة البومة بالتغيّر؛ حكيما أو شريرا، شريرا أو حكيما. ظلّت هاتان القيمتان الإيقونتان تتبادلان وتتغيّران لعدة آلاف من السنين. ويُعدُّ هذا جانب آخر من سمات التناقض التي يحويها هذا الطائر الذي أُسيء فهمه كثيراً.

سأعمد في هذا الكتاب إلى تقصّي هذين الدورين وأدوار أخرى أيضاً. فيمكن لطائر البومة الشرير أن يتحول فجأةً إلى بومة حامي، إذا سخّرت عدوانيته الوهمية ووجهت ضد أعدائنا. فقد صوَّر الطائر في الهند- أيضاً- أداة بيد الإلهة، تنقض من أعلى السماء. أما في أوروبا، فقد صورها بعضهم رمزاً للعناد، في حين صوّرها آخرون شعاراً لرباطة الجأش في وجه أقصى درجات الاستفزاز. في القرن الواحد والعشرين، عندما شرعنا أخيراً بتقدير الحيوانات البريّة الموجودة على كوكبنا، تملكنا القلق من معدلات تناقصها، ظلت لدينا الرغبة الجامحة لفهم تركيبة البومة الحيوية الساحرة.

لذلك، فهناك كثير من البوم التي سنعمل على استقصائها هنا: البومة الحكيم، والبومة الشرير، والبومة الحامي، والبومة الناقل، والبومة الهادئ، والبومة الطبيعي. وهناك حقب زمنية وثقافات تمخّض فيها اهتمامنا بالبوم عن



مؤلف قصد
عن البومة
الثاني عشر

مجموعة ساحرة من الأساطير، والخرافات والتحف اليدوية، تُسيطر عليها كلها نظرة البوم المنوِّمة.

من مذكراتي الشخصية- التي جمعتها عندما كنت أميناً في حديقة للحيوانات- تعرّفت إلى الكثير من البومة المأسور في الأقفاص، وقد قابلت المزيد منه خلال رحلات في أرجاء المعمورة لعمل برامج تلفزيونية عن حياة الحيوان. ولكن بأمانة شديدة، لم يتسنَ لي- أشك تماماً مثلك- رؤية سوى القليل جداً من البوم في البرية، في مواطنه الطبيعية. إلا أنّ هناك مواجهة ما زالت خالدة في ذهني ما زلت أتذكر تفاصيلها كأنما أعيشها الآن، على الرغم من حدوثها قبل ما يزيد عن ستين عاماً، عندما كنت في مدرسة داخلية، فقد كنت أتجوّل في الريف المحاذي للمدرسة في ظهيرة يوم صيفي. عندما رأيت شيئاً غريباً في ركن الحقل. اقتربت ببطءٍ وبسكون لأنني استطعت انْ أرى أنَّ ذلك الشيء كان نوعاً من أنواع الطيور، يقف بلا حراك على الأرض. ظلّ ساكناً عندما اقتربت منه أكثر. بعد ذلك -عندما أصبحت على بعد عشرة أقدام منه- أدركت مرتعداً هول ما رأيت، كان بومة مخضّباً بالدماء، ومصاباً إصابة بليغة. لا بد أنها كانت طلقةً، أو أنه وقع في فخ، أو شرك شريط شائك حاد، أو صدمته سيارة في الليل. كانت جروحه مرعبة، وقد كان يحتضر ببطء وبألم شديدين. كانت حالته أصعب من أن يتعامل معها الطب البيطري. ماذا كان َعليَّ أنْ أفعل؟

بفقدان الأمل في إنقاذه، كانت خياراتي تعيسة كلها مطلقا. كان الخيار الأسهل أن أدعه وشأنه، لكن هذا كان يعني أن أحكم عليه بالموت متألماً. أما إذا قتلته -من ناحية أخرى- فيمكن أن أرفع عنه بؤسه، لكنني أكون قد أقدمت على تصرف عنيف ضد ضحية لا حول لها ولا قوة، وأكون قد أزهقت طائراً رائعاً. لأنني كنت فتى مدرسة صغيرا فقد استعصى عليَّ الخيار. حدقت بالطائر وحدق بي، لم تسجل عيناه الكبيرتان السوداوان أية عاطفة. لا بد أنه قضى هنا ساعات عديدة، ينتظر الموت، وخلال تحديقنا ببضعنا شعرت بالتصاق عاطفي جارف به، وتملكني شعور بالحنق الشديد من أولئك البشر الذين تسببوا -بشكل مباشر أو غير مباشر- بجروحه.

كان ذلك في عام ١٩٤٢، عندما كانت الحرب العالمية الثانية تعصف في أرجاء أوروبا شيئا فشيئا، بدا طائر البومة هذا المخضّب بدمائه، الذي يقف في ركن حقل ويلتشاير Wiltshire الذي تضيئه أشعة الشمس، أنّه يرمز إلى كل البشر الذين لا حصر لهم الذين سوف يصابون حتماً في ذلك اليوم في أرجاء القارة كافة. كم كرهت الجنس البشري في تلك اللحظة. قرّرت أن لا أتخذ الخيار الأسهل، فقد عثرت على حجر كبير، وضربت به رأس البومة، وقتلته. لقد وضعت حداً لمعاناته، لكنني شعرت بالاستياء. وما زال هذا الشعور يتملكني إلى يومنا هذا كلما تذكرت تلك الحادثة. فبشكل غير عقلاني لم أكن لأحزن لهذه الدرجة لو كان الطائر فلاحاً جريحاً. وهنا تكمن قوة البومة، فنحن نعلم أنه ليس إنسانا، إلا أن شكل رأسه الذي يشبه رأس الإنسان يرسل إشارات لدماغنا تجعلنا نتماثل معه بشكل أقرب من الطيور الأخرى ذات الوجوه المستدقة. عندما نكون أطفالا نستجيب نحن البشر بشدة لعيني أمّنا التي تحدق بنا. فنحن مبرمجون وراثياً لأنْ نستجيب بهذه الطريقة ولا يمكننا أن نخدم أنفسنا. لذا، فإنّ البومة يستحق منا ردة فعل معينة كلما نظرنا إليه، وهذا ما يمنحنا شعوراً بالقرب منه، على الرغم من كونه- في الحقيقة- غريباً عنا تماماً.

ربما يكون السبب وراء كتابتي لهذا الكتاب أن أحاول تعويض الضرر الذي لحق بالبومة الجريح. وأرغب في التكفير عن خطيئتي عن طريق القيام بشيء ما لصالح البوم عموماً، محاولاً أن أشرح تركيبتهم الحيوية الساحرة، وكم غنية ومتنوعة رمزيتهم وأساطيرهم. في الصفحات التالية، سأقوم بأقصى ما أستطيع من أجلهم...

1- البوم قبل التأريخ PREHISTORIC OWLS

نعلم من بقايا الحفريّات أن البوم وُجدتْ سلالةً منفصلةً منذ ستين مليون عام على الأقل. وهذا ما يجعلها أحد أكثر مجموعات الطيور المعروفة قدماً، ومنحها الوقت الكافي لصقل طريقتها المتخصصة كثيراً في العيش بوصفها طيورا مفترسة.

كان لقاؤها مع النوع المتطفل بشكل مزعج -الجنس البشري- في الجزء الأخير من حكمها طويل الأمد. ومن حسن حظها أن هذا اللقاء كان أقل تدميراً بكثير مما حدث لأنواع كثيرة من الطيور. فمن النادر ما وضعت البوم في أقفاص صغيرة كما حدث مع كثير من طيور السقسقة، أو تعرضت للاصطياد كي تلتهم على السفرة مثل الكثير من الطرائد. ولكنها عانت كبقية الطيور البرية من الإذلال الذي لحق بها، وتُرى مواطنها الطبيعية يتم تدميرها على طول مساحات الأرض الواسعة، ويُتلَف القسم الأكبر من غاباتها وأحراجها، وتُسمَّم فرائسها على يد مكافحي الحشرات. على الرغم من كل هذا السلب، فما زالت البوم تزدهر في أرجاء الأرض كافة، وإذا ما استثنينا الأرض القطبية البور، فليس هنالك أرض في أرجاء المعمورة يغيب البوم عنها.

ترجع بواكير أدلة معرفة الإنسان بوجود البوم إلى قرابة ثلاثين ألف عام. في حين أن اكتشاف هذا الدليل حدث مؤخراً. ففي ١٨ كانون أول من عام ١٩٩٤، عثر ثلاثة مكتشفو كهوف على مدخل خفي في كهف كبير في جنوب شرق فرنسا. بعد أن أزاحوا الحجارة التي كانت تسد المدخل، تمكن المستكشفون الثلاثة من حفر ممر ضيق في التراب. وما أن دلفوا من خلاله، حتى وجدوا أنفسهم داخل كهف واسع، تزين جدرانه رسومات من عصر قبل التأريخ غاية في الجمال. كان هناك رسومات لكل الحيوانات الاستثنائية التي تعرفنا لها جيداً من خلال فن الكهوف: الثور الأمريكي، والغزلان، والأحصنة، وحيوانات وحيدة القرن، والفيل المنقرض (الماموث) وثدييات ضخمة أخرى،

ولكن أكثر ما أثار الدهشة في هذا الكهف المكتشف حديثاً هو أن المستكشفين صادفوا -في عمق الكهف- صورة بومة منقوشة على الجدار.

تعد هذه الصورة أقدم تمثيل معروف لدينا للبومة في الوقت الراهن. تقدّم لنا طائراً ذا رأس كبيرة، مفلطحة ومدوّرة يبرز منها أذنان قائمتان يغطيهما الزغب. العينان حاضرتان لكنهما ملطختان بشكل يخفي ملامحها، أما المنقار فيظهر جلياً وحاداً. يظهر الجناحان تحت الرأس بوضوح على شكل اثني عشر خطاً عامودياً تشير إلى الريش. يصل ارتفاع الشكل إلى ٣٣سم تقريباً (١٣ إنشاً)، أما التفاصيل فتظهر على شكل خطوط بيضاء منقوشة على جدار الكهف ذي اللون الأصفر المُغْرَي[1]. من المحتمل أن تكون هذه النقوش قد صُنعت بأظافر قوية، ولكن الراجح أنها حفرت بعصا بسيطة أو أداة مشابهة.

أثبت عتق هذه الصورة بالمصادفة المحضة بفعل وجودها في الكهف. ففي وسط الغرفة التي توجد بها، التي تسمى غرفة هيلير Hillaire Champer -توجد فوّهة كبيرة- حفرة ضخمة في الأرض تغور في القدم. فقد نُقشت صورة البومة على جزءٍ ناءٍ فوق هذه الحفرة، في منطقة يستحيل على يد بشر أن تصلها في زمننا الحاضر. يصل عمق الحفرة إلى ٤,٥ مترا (١٥ قدماً). ويصل قطر الفوهة إلى ستة أمتار (٢٠ قدماً). ترك انهيار أرض الكهف البومة مرتفعة وجافة على نحو ملائم، وهذا ما يثبت دون شك أنها ليست صورة حديثة مزيّفة.

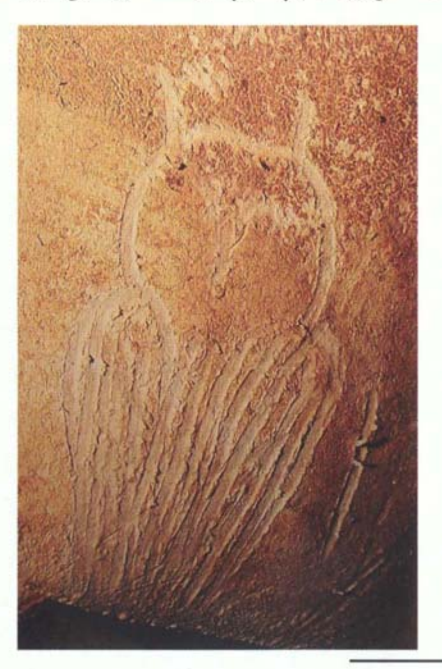
قُدّمت أول صورة للبومة بحماس أنها تمثّل طائر بومة كبير أقرن. لم يكن من سبيل لإثبات ذلك، باستثناء الإشارة أنه كان يملك قروناً فعلاً، وكان يظهر إلى جانب صور ثدييّات من العصر الجليدي مثل فيل الماموث المنقرض، وهذا يستدعي الاعتقاد أنه كان طائراً ضخماً ليتمكن من البقاء في البرد. إذاً ربما لم تكن تسميته بطائر البومة الأقرن العظيم اقترحاً خيالياً. أما الدعوى الثانية، فتحتمل شكاً أكبر. فهي تدلل أن فناني عصر ما قبل التأريخ كانوا شديدي الملاحظة لدرجة أنهم لاحظوا أن البومة قادر على تدوير رأسه بزاوية متسعة، وأن الصورة قصدت إظهار الطائر من الخلف، ورأسه ملفوفة ليستعرض ما كان

١ - المُغْرَةُ: أكسيد الحديدك المائي الطبيعي، ويكون أصفر أو أحمر بنياً عادةً: (المترجم).

خلفه مباشرة. السبب وراء هذه الدعوى أن الجناحين قد صورا -كما يُعتقد- من الخلف. يمكن أن يكون هذا ما حدث فعلا، ولكن الراجح أن -كما يظهر في لوحة يرسمها طفل لبومة- الجناحين يُصوَّران هكذا حتى عندما ننظر إلى الطائر من الأمام، وهذه هي الطريقة البسيطة في التأكيد أنه مخلوق ذو ريش.

بغض النظر عن مثل هذه المماحكات الطفيفة، فإن هذا الطائر الفريد الموجود فيما يعرف اليوم بكهف شوفيه الذي سمي على اسم مكتشفه، يقدّم لنا بداية رائعة لعلاقة الحب الطويلة التي جمعت الإنسان الفنان بالشكل الأيقوني لطائر البومة[1].

يجب أن ننتقل إلى جنوب غرب فرنسا للعثور على صور البومة التالية،



طائر بومة أقرن عظيم: محفور بخطوط بيضاء على سقف كهف في شوفيه Chauvet، فرنسا، قبل ٣٠,٠٠٠ عام من الزمن الحاضر.

1 - Jean-Marie Chauvet et al., Chauvet Cave: The Discovery of the World's Oldest Paintings (London, 1996), pp. 48–9.

عائلة من بوم الثلج: لوحة فنية منقوشة بخطوط بيضاء على سقف كهف لوتروافيري في الحقبة الأورينية[١]، فرنسا بايرنيس.

١- الحقبة الأورينية تمثل الجزء الأول من العصر الحجري بدأت حوالي قبل ٤٠ أو٣٥ ألف عام: (المترجم).

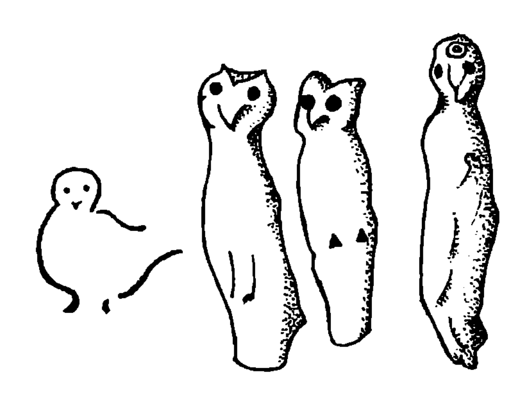


إلى التلال السفحية في بايرنز Pyrenees، إلى الكهف الملوّن المسمى تروا فرير Trois-Fréres. عُيِّن هذا الكهف لثلاثة أخوة- أبناء كومت بيجو Comte Bégouen -الذين اكتشفوه في عام ١٩١٥. نجد هنا- ضمن اللوحات الجدارية التي ترجع إلى آلاف السنين عقب اللوحات التي وجدت في كهف شوفيه- ثلاثة بوم وليس واحدا. يظهر أنّها تشكل مجموعة عائلية تضم طائرين بالغين يحيطان بجانبي بومة حُدّدت هذه العائلة أنها من صنف بوم الثلج، وربما يعود ذلك لأن صورتها وُجدت على جدران هذا الكهف إلى جانب صور حيوانات أخرى عديدة من العصر الجليدي. إذا كان هذا التحديد صحيحاً، فإن هذا يعني أن هذا النوع وجد في أمكنة أبعد تجاه الجنوب مما هو اليوم، ولا يبدو هذا غريباً إذا أخذنا التغيّرات المناخية الجذرية بالحسبان[١].

على بعد ما يقارب ثلاثين ميلاً إلى الشرق من تروا فيريري -وعلى التلال السفحية لبايرنيس أيضاً- يقع الكهف الملوّن الصغير المعروف بـ البوزتل Le

1 - Abbé H. Breuil, Four Hundred Centuries of Cave Art (Monti - nac, Dordogne, 1952), pp. 159 and 162, fig. 123.

Portel. في صالة العرض الأول. التي تبعد كثيراً عن المدخل -توجد صورة طائر تم تحديدها أنها لطائر بومة- وهي مخطط بسيط باللون الأسود تقع جانب صورة حصان وجاموس أمريكي[١]. تماماً مثل كهف شوفيه، كانت هي الصورة الوحيدة ضمن صور عديدة لأحصنة، وغزلان، وثيران، وجواميس أمريكية. كما يوجد صورة مفترضة لبومة على جدار كهف الفينا La Vina في شمال إسبانيا، كما يوجد ثلاثة أمثلة لأشكال بوم من العصر الحجري القديم في الممر الدائري، اثنان من دولني فيستوينس Dolni Vestonice في جمهورية التشيك، مصنوعة من الفخّار ورماد العظم، وثالث من منطقة ماس دوآزل Mas D'Azil في بيرينيس الفرنسية، منحوتة من سن حيوان[٢].



صورة لبومة من العصر الحجري القديم معاد رسمها (من اليسار إلى اليمين): صورة لبومة ملونة مظلّلة من كهف البورتل، فرنسا؛ شكلا بومة من دولني فينستونيس في جمهورية التشيك، بومة منحوته من سن حيوان، من ماس دوآزل في بيرنيس الفرنسية.

---

1 - Ann and Gale Sieveking, *The Caves of France and Northern Spain* ([[AQ place of pub?]]1962), p. 188.

2 - Rosemary Powers and Christopher B. Stringer, 'Palaeolithic Cave Art Fauna', *Studies in Speleology*, II / 7–8 (November 1975), pp. 272–3.

أكثر ما يشعرنا بالإحباط تجاه حفنة المصنوعات اليدوية هذه هو أننا عاجزين عن وصف كيف نظر لها فنانو عصر ما قبل التأريخ؟ الذين قاموا بصنعها. أما ندرتهم فتزيد الطين بلّةً. فهناك -بالمقارنة- مئات من صور الجواميس الأمريكية، والغزلان، والأحصنة، وأنواع ضارية أضخم على جدران الكهف في فرنسا. يبدو جلياً لمَ أُفتُتِن الفنانون الأوائل بهذه الحيوانات. فقد وفّروا اللحم الذي مكّن قبائل البشر الصغيرة من البقاء في مناخ النهار القارس. ولكن لمَ البوم؟ هل كانت إضافة لموائد البدائيين في المناسبات، أم أنها امتلكت دوراً رمزياً لن نتمكن من معرفة طبيعته؟ إذا أردنا أن نفهم رمزية البوم فعلا، فلا بد لنا من الانتقال إلى مزيد من تصويرات هذا الطائر، خاصة في الحقب الزمنية التي لدينا فكرة عن معتقداتها وخرافاتها الخاصة.

2- بوم الزمن القديم ANCIENT OWLS

تقدم لنا حضارات الشرق الأوسط وجنوب أوروبا القديمة بعض البوم الخالدة في الذاكرة.

بابل BAbylon

صمّم فنان قبل حوالي أربعة آلاف عام في بابل (الآن في جنوب العراق) لوحة مجسَّمة غريبة مصنوعة من الفخار، تقف في وسطها إلاهة عارية مخيفة تتخذ شكل الإنسان، ولكنها تمتلك أجنحة وأقدام بومة. ولأجل وصف قوتها، فقد صوِّرت وهي تدوس على أسدين عجاف. ويحيط بها طائرا بومة ضخمان، يقفان بانتصاب وطيد ووجههما للأمام، مما يعطي الانطباع أنهما حرّاسها أو رفقاؤها.

كان يُعتقد أن هذه القطعة الفنية مزيَّفة، ولكنها أثبتت أنها أصلية مؤخراً، تظهر لنا إلاهه مجهولة الهوية، ولكن هوّيتها تضّاربت فيما بعد، فمرة ليليت البابلية[١] Babylonian Lileth، أو أناة الكنعانيةCaananite Anat، أو إنانا السومرية[٢]Sumerian Inanna، أو ربما اريشكيجال[٣] Ereshkigal، شقيقة إنانا وملكة العالم السفلي. بسبب هذا اللفظ بين

١- روح شريرة في الميثولوجيا السامية، تقيم في المواطن المهجورة وتهاجم الأطفال: (المترجم).

٢- إنانا آلهة الحب عند السومريين. وبها ارتبطت مظاهر تبدل الطبيعة لأنها رضيت مختارة أن تهبط درجات العالم السفلي، لتضمن للطبيعة نظاما تتعاقب فيه الفصول، تعاقبا يحفظ استمرار الحياة النباتية على الأرض. واسمها لدى الكنعابيين «عناة». انظر للتوسع: فراس السواح مغامرة العقل الأولى. دمشق، دار المنارة، ط٩، ١٩٩٠، ص٣٧٥-٣٧٦: (المترجم).

٣- يعني هذا الاسم في اللغة السومرية سيدة، تتولى اريشكيجال حكم العالم السفلي في مقدمة الرواية السومرية لأسطورة(جلجامش) كهدية، وهي تسلط الموت على كل من تطأ قدماه أرض العالم السفلي. انظر: د. ادزارد. قاموس الآله والأساطير، تعريب: محمد خياطة، ط٢، بيروت/حلب، دار المشرق العربي،٢٠٠٠، ص٦٦: (المترجم).

العلماء، أطلق عليها مالكوها الجدد -المتحف البريطاني- اسم ملكة الليل ببساطة. مهما كانت، فقد كانت أول شكل من أشكال الإلاهة البومة العديدة. تظهر في هذه المرحلة أنهاعدوانية بالكامل، ومخلوقة ضاربة، يمكن لمخالبها الهائلة أن تقهر أي عدو تقريباً، ولكن في التجسيدات اللاحقة من مثل إلهة الحكمة الإغريقية Greek Athene، يكبح اكتسابها للحكمة طبيعتها المولعة بالقتل، على الرغم من استمرار وجودها.



ملكة الليل (لوحة بيرني Burney)، لوحة من الطين النضيج مصنوع من الطين المطعم بالقش المشوي بالفرن، بلاد الرافدين Mesopot-mian ١٨٠٠-١٧٥٠ ق.م. من المحتمل أنها من بابل (جنوب العراق).

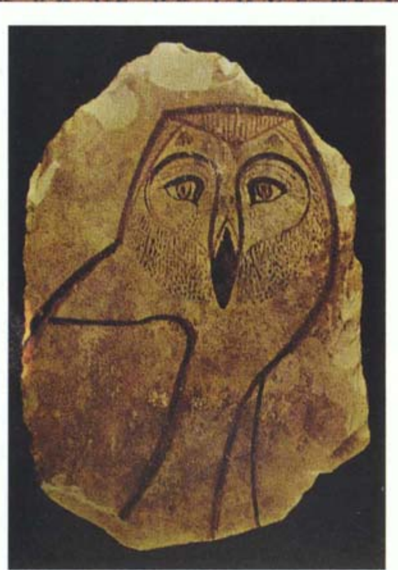
مصر EGYPT

على الرغم من إمكانية العثور على بعض الأمثلة المقننة لبوم مرسوم أو محفور بشكل نافر على جدران القبور والبنايات في مصر القديمة، فما يثير الدهشة هو عدم وجود إله بومة مصري، أو حتى ورود اسم لطائر البومة في اللغة المصرية القديمة. في الكتابة الهيروغليفية hieroglyph writing، هناك وظيفة وحيدة لصورة البومة الرمزية وهي تقديم صوت أو حرف م. تملك هذه الصورة الرمزية صفتين مهمتين. تظهر كل الطيور الأخرى، وفي الحقيقة كل أشكال الحياة للحيوانات الأخرى بشكل جانبي عندما يمثّل في الهيروغليفية. هذا تقليد صارم لم يُتخل عنه إلا مع البومة، إذ عُرض رأسه بشكل جانبي ولكن رأسه صوِّر مقلوباً ٩٠ درجة لمقابلة وجه الناظر. كانت تلك الطريقة الوحيدة التي سعى من خلالها كاتب الهيروغليفية إلى الإفصاح بشكل قاطع أن طائر البومة -وليس أي طائر ضار آخر- هو من يصوَّر. أما الصفة المستطردة الأخرى لصورة البومة الرمزية هي أنّ الطيور كانت تصوَّر عادة بأقدام مكسورة، وكأن هناك محاولة لجعل عودة هذه الطيور إلى الحياة والبدء بالهجوم من جديد ضرباً من المستحيل.

على الرغم من عدم قيام طائر البومة بدور بارز في الدين المصري كالذي رأيناه عند الصقر، أو طائر أبو منجل، أو النسر، فإننا نعلم أنه كان ينال الاحترام الكافي ليحظى بشرف التحنيط في المناسبات. هناك عدد من الأنواع المختلفة التي تم التعرف عليها من آثار المحنطات، بما في ذلك بومة الحظائر.



صورة هيروغليفية للبومة، لوحة موجودة على الكفن الخارجي لجيهوتي نيخت Djehuty-nekhtأمير المملكة الوسطى؛ السلالة الحاكمة الثانية عشر لمصر، ١٩٩١-١٨٧٦ق.م.



رسم هيروغليفي لبومة من الحقبة الرمسيسية ١٣٠٥-١٠٨٠ ق.م.

يُعتقد أن طائر البومة كان يُربط بشكل غريب بالروح البشرية. فقد تصوّر المصريون أنّ للروح أجزاء منفصلة. فهناك الـ (كا) ka المعني بالقوة المبدعة، والواهبة للحياة- قوة الحياة. بعد الموت، يقبع ال كا في القبر حيث يحتاج إعالة على شكل عطايا[1]. وهناك الـ با ba أيضاً، وهو شبح الشخص غير المادي، والـ أخ akh، وهو الروح الأبدية التي عاشت في الحياة الآخرة وهي نتيجة لاجتماع الـ با مع إل كا. لكي يحدث هذا الاجتماع، يتوجب على ال با أن يرتحل لينضم إلى الـ كا، كي يبقى جسد المتوفى المادي على قيد الحياة في الحياة الآخرة، يتوجب على الـ با أن يعود إلى القبر كل مساء. كان الاعتقاد أن هذه الرحلة الليلية كانت تتم عن طريق التخفي بشكل طائر ذي رأس بشرية. وقد أشير أن هذا الطائر ذا الرأس البشرية «كان ينشأ من البوم الذي كان يرزور القبور مراراً»[2]. من السهل استيعاب كيف ولّد هذا البومة الغريب، الذي بصعوبة يلمح برأسه البشرية وبرفرفاته حول وقرب القبر في ساعة الغسق، هذه الفكرة عن تجسّد الـ با في شبه طائر.

بلاد الإغريق GREECE

كانت أثينا اليونان من بين الحضارات القديمة، هي المكان الذي وصل فيه طائر البومة إلى أوج تقديره بوصفه طائراً رمزياً. في هذه المدينة أضحت الحكمة وطائر البومة رديفين. سميت أثينا Athens على اسم حاميتها الإله أثينا[3] Athene أو Athena التي كانت تقدس طائر البومة. لمئات من السنين -من القرن العاشر إلى السادس قبل الميلاد- كانت عملة أثنيا تسك عليها



أ: طائر بومة أثينا، موجودة على عملة إغريقية من فئة أربعة دراهم، من أثينا، ١٠٩-١٠٨ ق.م.

1 -Edward Terrace, *Egyptian Paintings of the Middle Kingdom* (London, 1968), p. 26.

2- Faith Medlin, *Centuries of Owls* (Norwalk, CT, 1967) p. 16.

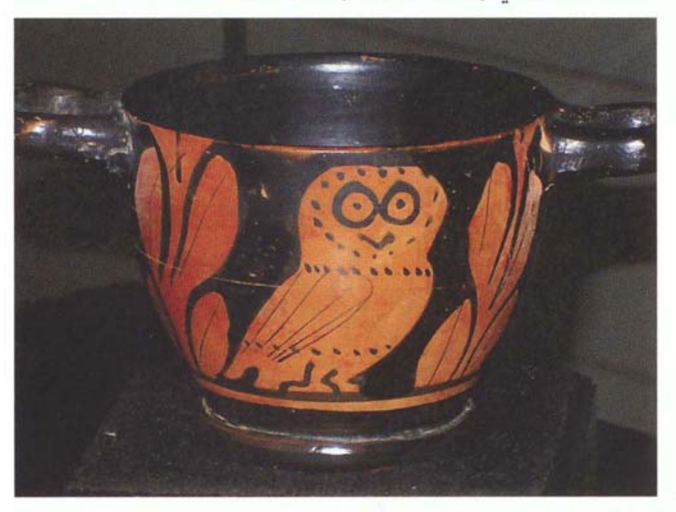
٣- أثينا هي الربة الحامية لمدينة أثينا عاصمة دولة أتيكا ولمدينة أثينا عاصمة دويلة بويوسيا، وكانت عبادتها منتشرة في مناطق أخرى كثيرة من بلاد اليونان وجزرها ومستعمراتها ،يرجح أنها كانت تعبد في بلاد اليونان قبل مجيء اليونان إليها. انظر: لويس عوض. نصوص النقد الأدبي: اليونان، القاهرة، دار المعارف، ص١٨٩-١٩٣: (المترجم).



طائر بومة أثينا، إلهة الحكمة، موجودة على عملة يورو يونانية حديثة.

صورة الإلهة من جهة، ومن الجهة الأخرى صورة البومة. كانت تلك العملة مَنْ قدمت مفهوم «الصورة والكتابة» heads and tails التي أصبحت شائعة في كثير من العملات اللاحقة. كانت تعرف هذه العملات الإغريقية بـ«البوم» في اللغة المحكية، ومن طرف المؤلف المسرحي أرسطوفانيس[1] Aristophanes التي ساقها في مسرحيته (الطيور) ٤١٤ق.م The Birds. أن بوم الفضة هو أفضل بوم ذلك أنهم «لن يتركوك؛ سوف يقيمون في منزلك وتعشعش في حقيبتك، وتفقس تغيّرا طفيفا».

يعتقد أن الطائر الذي كان مثالاً لعملة أثينا كان طائر البومة الصغير نوكتا أثنيا Athene noctua، وقد كان يصوّر عادة في وضعيته الهيروغليفية المصرية، فيكون جسمه إلى الجانب ورأسه ينظر للأمام. إلا أنه ظهر في بعض العملات الثقيلة في وضعية أمامية، فارداً جناحيه.



صورة إلهة أثينا على فنجان بومة أحمر الشكل من أبولا[1] apula قطعة يونانية مزججة باللونين الأحمر والأسود، القرن الرابع قبل الميلاد.

١- منطقة تقع جنوب شرق إيطاليا: (المترجم).

١- أرسطوفانيس(٤٥٠-٣٣٨٥ ق.م) أعظم شاعر من شعراء الكوميديا القديمة في أثينا، وأهم كوميدياته «الآخارنيون» و«السحب» و«الضفادع» و«الطير». وكان ذا نزعة أرستقراطية وفي بعض كتاباته تعريض بالشعب والديمقراطية.انظر: لويس عوض. نصوص النقد الأدبي ص٢١١-٢١٨: (المترجم).

تُعد فئة الأربعة دراخمة وهي قطعة فضية تساوي أربعة دراهم هي العملة الأكثر شيوعاً في زمن الإغريق التي تظهر عليها صورة البومة، ، ولكن صورة البومة ظهرت على عملات من فئات مختلفة أيضاً، بما في ذلك فئة العشر دراخمة، وفئة الدراخمتين، والدراخمة، ونصف الدراخمة، أو أربعة أوبولات[1]. أو أوبولين، أو أبول ونصف، وأوبول، أو نصف أوبول، وثلاثة ارتيموريون، وارتيموريون ونصف، ونصف ارتيموريون. (لا بد أن التحدي في التعامل الفكه في ساحة الإغريق العامة إغورا عند التسوق كان محبطاً). كانت الدراخمة وحدة نقدية تعتمد على الوزن. فدراخمة واحدة كانت تساوي ٤,٣٧غم. وقد استمرت هذه العملات بالوجود، حتى في يومنا هذا، على شكل عملة ١ يورو اليونانية المعاصرة التي يتوسطها طائر البومة الإثيني. وقد ظهر هذا الطائر مؤخراً على الأوراق النقدية والطوابع في اليونان. وقد اتسعت شهرته كثيراً، وقد قيل أن الرئيس الأمريكي ثيودور روزفليت Theodore Roosevelt كان يحمل قطعة تحمل صورة طائر بومة أثينا تعويذةً لجلب الحظ.

لقد ظهر طائر البومة الأثيني على العديد من الأواني الخزفية اليونانية قديماً، وخاصة الفناجين صغيرة الحجم المسماة فناجين البومة glaux skyphos التي وجدت في القرن الرابع قبل الميلاد. يُعتقد أن ظهور صورة البومة على أحد الفناجين يجعل منه مقياساً متعارفاً عليه رسمياً في أثينا القديمة. ومن الجدير ذكره، أن متحف اللوفر Louvre يحتفظ بأناة يونانية قديمة صغيرة تظهر عليها صورة إلهة أثينا في الحرب، حاملةً رمحاً. الجانب الغريب في هذه الصورة الخاصة أن أثنيا قد تحوّلت هنا كاملا تقريباً إلى شكل طائر البومة. ما بقي من صفاتها البشرية ذراعاها فقط. هنا، فبدلاً من أن يكون بومة أثينا أصبح الطائر الإلهة ذاته.

لم يسجل الإغريق القدماء أنفسهم السبب وراء هذا الربط بين أثينا والبومة بشكل دقيق، وهو ما فتح الباب على مصراعيه لجدل أكاديمي لا ينتهي. أحد الاقتراحات يطرح أن أثينا كان لها راعياً سابقاً على شكل إلهة العين في بلاد

١- أوبول: قطعة نقدية إغريقية تساوي ١/٦ دراخما. (المترجم).



إلهة برأس بومة على شكل تمثال صغير من الفخار من سوريا. ٢٠٠٠ (كذا ق.م.)

الرافدين ما قبل التأريخ. وتعرف هذه الإلهة على شكل أوثان صغيرة تتكون ليس من جسد بسيط حسب يعلوه عينان دائريتان محدّقتان. يمكن أن لا تكون هذه الأوثان– التي يرجع تاريخها إلى ٣٠٠٠ عام قبل الميلاد- ممثلةً للبوم أنفسها، لكنّ أعينها المحدّقة يمكن تشبيهها بعيون البوم. وبهذه الطريقة -رُبطت أثينا بهذا النوع من الطيور. بعد مرور ألفية من الزمان- في ٢٠٠٠ ق.م- تم صُنع شكلي آلهة من الطين لديهما رأس بومة، وقد أنتجت نسخاً كثيرة من هاتين الإلهتين في سوريا القديمة، لذا يمكن أن تكون أثينا متأخرة في الخط الطويل الذي يؤطر صنع الإلهات البوم في الشرق الأوسط.

يقترح رأي آخر أن البوم كان يُرى عادة محلّقاً على مسافات قريبة من محيط معبد الإلوهية، هيكل بارثينون Parthenon في أثينا، وقد يكون وجود البوم هناك هو ما قاد إلى تبنيّهم طيوراً مقدسة عند الإلهة. في الواقع، فإن هاتين النظريتين المتنافستين لا تتصارعان، ويمكن -في الحقيقة- أن تقوّي إحداهما الأخرى. بشكل عرضي، لا بد أن البوم كان شائعاً في أثينا بشكل غير عادي، وذلك لوجود مثل عن «أخذ البوم إلى أثينا» الذي يحمل نفس معنى شبه الجملة البريطانية «أخذ الفحم إلى نيوكاسل».

يربط اقتراح آخر -أكثر براعة- طائر البومة بالإلهة عبر دوراتها الشهرية. تصاغ الحجة باختصار وفقا لما يلي: البومة طائر ضوء القمر. للقمر دورة شهرية. وللإلهة دورة شهرية؛ لذلك، تجمع البومة والإلهة علاقة حميميّة. عندما تغيب السجلات الحقيقية تتجلى روعة الخيال البشري عندما يواجه مسألة محيِّرة.

مهما كانت حقيقة الصلة الأصلية بين الإلهة والبومة، فليس هناك شك أن إغريق أثينا اعتبروه حيواناً طوطمياً[1] totemic قادراً على جلب الحظ الحسن لهم. يذكر أرسطوفانيس -على سبيل المثال- في مسرحيته المشهورة (الدبابير) The Wasps ٤٢٢ ق.م لبومة الأثينية بشرى خير في المعركة، فعندما «أرسلت» «أثينا» طيرها الليلي، وعندما حلق فرخ البومة عبر الجيش، تصاعدت نذر آمال وبهجة جيوشنا. لذا وبعون السماء، قبل أن ينتهي النهار حتى، رفعنا أصواتنا بالنصر، ولاحقنا فلول أعدائنا كلهم».

لقد تطور اعتقاد -في الحقيقة- أن ظهور أثينا بشكل بومة شكّل علامة فارقة تُنبئ أنّ قوات الإغريق سوف تنتصر في المعركة. لقد ساد هذا الاعتقاد بشكل جدّي جداً لدرجة أن أحد القادة العسكريين الإغريقيين كان يحتفظ ببومة مخبأة في قفص بين حاجياته كي يطلقها لتحوم حول جنوده وتمنحهم



علبة عطر بشكل البومة الصيّاح، مزهرية من الطين النضيج من أوائل القرن السابع ق.م.

١- وثن يمثّل حيواناً يرمز للأسرة أو العشيرة: (المترجم).



تحوّل أسكالانوس Ascalaphus إلى بومة: نتيجة لكشفه لزيوس Zeus أن بيرسيفون Persephone قد أكلت بذورالرمان، (وهذا يضمن لها الاحتجاز الدائم في حادس[١] Hades انتقمت منه عن طريق رشّه بماء نهر فليجثون[٢] Phlegethon المحوّل.

١- مثوى الأموات في الأساطير الإغريقية: (المترجم).

٢- نهر فليجثون في الأساطير الإغريقية أحد خمسة أنهار في مناطق العالم السفلي الشيطانية: (المترجم).

الشجاعة اللازمة لإحراز النصر»[1]. لتنطلق البومة! «كان هذا قولاً أثينيّاً يعني هناك نذر بالنصر»[2].

وظّفت أيضاً مدينة ولاية كورينث Corinth الإغريقية المنافسة لأثينا في حقبة زمنية مبكرة طائر البومة صورة لبعض أوانيها الخزفية، ويوجد في متحف اللوفر علبة عطر مشهورة من القرن السابع قبل الميلاد تُعدّ من أوائل الأواني التي صنعت في ولاية كورنيث تسمى (الإبريق) aryballos في شكل مزهرية بشكل بومة. لدى هذه المزهرية شكل يثير الفضول، فرأس البومة معكوف إلى جهة، ذلك أن الخزّاف الكورنيثي الذي صممها كان لا يزال متأثراً بالمصريين وكان يقلّد بدرجة معينة البومة الهيروغليفية، ذات الجسد المنحرف جانباً والرأس المواجه للناظر.

1- Virginia C. Holmgren, *Owls in Folklore and Natural History* (Santa Barbara, CA, 1988), p. 31.

2- Edward A. Armstrong, *The Folklore of Birds* (London, 1958), p. 119.

ويظهر شكل البومة في الخرافة الإغريقية المتعلقة بأسكالافوس. فقد كان روحاً من العالم السفلي، وهو ابن أشرون[1] Acheron وأورفنيه Orphne اللذان أفشيا حقيقة أن بيرسيفون قد أكلت رمّان في العالم السفلي. لقد أخبرت أنه كان بإمكانها العودة إلى العالم العلوي لو أنها لم تأكل شيئاً أثناء وجودها في العالم السفلي. لقد عوقبت على سوء تصرفها وانتقمت من أسكالافوس عن طريق تحويله إلى بومة. يبدو لائقاً أن نسأل لمَ عُدَّ التحول إلى طائر بومة قدر مشؤوم في حين أن هذا الطائر كان يحظى بالاحترام الكبير عند الإغريق القدماء.

يبدو الجواب على هذا السؤال محيّراً، خاصةً أن اسكالانوس لم يتحوَّل إلى بومة حسب بل تحوَّل إلى طائر بومة صيّاح. كان طائر البومة الصّياح طائراً مألوفاً لحادس -إله العالم السفلي —ومن وجهة نظر الأساطير الإغريقية، لم يكن هو البومة ذاته الذي حظي بالإجلال في أثينا، إذ كان ذاك طائر بومة صغير. يصف أوفيد Ovid طائر البومة الصيّاح كالآتي: «إنه طائر كريه، نذير شؤم للإنسان، طائر بومة صيّاح متسلّل، نذير للبلاء».

روما ROME

تحوّلت إلاهة أثينا في روما القديمة إلى الإلهة مينيرفا Minerva. فعندما قهرت جيوش الرومان جيوش الإغريق اختاروا جميعاً حارسهم؛ ذلك أن إلاهة الرومان مينيرفا تمتلك الصفات ذاتها التي لدى إلاهة أثينا الإغريقية، لذا فقد استعاروا طيرها المقدّس وجعلوه لأنفسهم. عندما ربط طائر البومة بمينيرفا، لم يصب النجاح ذاته، ويعود ذلك إلى وجود اعتقاد طاغٍ في أواسط الشعب

١- أشيرون نهر في ثيسبروتيا وقد شاع عنه أنه كان يصب في هاريس مملكة الموتى، وفي رواية أنه ابن جايا ربة الأرض وقد حكم عليه أن يبقى تحت الأرض عقابا له على خطيئة ارتكبها، وهي أنه أثناء حرب الألهة مع العمالقة أو الجن أعطى ماءه للعمالقة المنهكة من ضراوة الجلاد فارتووا بعد العطش. وفي رواية أن أشيرون أنجب اسكالافوس Ascalaphus من عذراء الظلمات واسمها أورفنيه Orphne أو من جنية اسمها جورجيرا وقد تحول الفتى إلى بومة بفعل ربة العالم السفلي. انظر: لويس عوض. نصوص النقد الأدبي ص٢٢٣-٢٢٤: (المترجم).

الروماني أنّ البومة مخلوق شرير أو رمز للمّوت.

إحدى الخرافات التي كانت شائعة عند الرومان تتحدث عن ساحرات لديهنّ القدرة على التحوّل إلى بوم لينقضوا بعد ذلك على الأطفال الرضع النيام ويمصّون دماءهم، وقد جعل هذا الاعتقاد البوم تنتمي إلى عالم مصاصي الدماء. فقد كان يعني سماع نعيب البوم أن ساحرةً كانت تقترب، أو أن أحد ما على وشك الموت. وقد أدّعي أنّ البومة كان ينعب لحظة موت يوليوس قيصر[1] Julius Caesar، وأوغوستوس[2] Augustus، وآغريبا[3] Agrippa. فقد اعتقد أن رؤية بومة في وضح النهار يعد نذير شؤم وأنه- إذا تمكن أحد من مسك طائر بومة- يتوجب قتل هذا الطائر وتسمير جسده على الباب لحماية البيت من الأذى. في القرن الأول بعد الميلاد، يصرح كولوميلا Columella -في عمله العظيم الذي تناول الزراعة الرومانية- أن أجساد البوم كانت تعلّق على يد أهل الريف لتفادي العواصف تحديداً.

يتحدث بليني الكبير Pliny the Elder في كتابه الرائع «التاريخ الطبيعي» (٧٧بعد الميلاد Natural History) عن البومة قائلاً «إذا رُؤي يحلق حتى فوق المدن، أو خارجاً في أي مكان، فهو لا يجيء ببُشرى خير، لكنه ينذر ببلية مرعبة». وسجّل بعد ذلك ما حدث عندما كان بومة يُراقب في وسط مدينة روما العظيمة. دخل البومة «المحمية المقدسة السرية داخل العاصمة روما ... إليها ... سيّرت مدينة روما مواكب في تلك السنة لتسكّن غضب الآلهة وقد طُهّرت المحمية بتقديم القرابين المقدّسة»[4]. يظهر بليني متشككا في كل

١- غابوس يوليوس قيصر(١٠٠-٤٤ ق.م) سياسي ومؤرخ وقائد عسكري روماني، يُعدّ أحد أعظم القادة العسكريين: (المترجم).

٢- أوغسطوس(٦٣ق.م-١٤م) أول أباطرة الرومان أعاد تنظيم الجيش: (المترجم).

٣- ماركوس فيبسانيوس آغريبا (٦٣-١٢ ق.م) قائد وسياسي روماني كان رجل الامبراطورية الثاني في عهد أوغسطوس: (المترجم).

4- C. Plinius Secundus, *The Historie of the World. Commonly called The Naturall Historie* (London, 1635), Tome I, 10th Book, pp. 276–7.

هذه الأمور ويسجّل- بوصفه عالم جيد- «أنا أعرف شخصياً حالات جلس فيها البوم على أسطح المنازل ولم تقع مصائب بعد ذلك». أعتقد أن ذلك صحيحاً تماما، إلا أن الرومان القدماء ربما يكونون مستمتعين بتقديم القرابين، والقيام بكل الطقوس الحمائية الأخرى التي اصطنعوها. إلا أن هناك شيئا واحداً يبدو أكيداً وهو أنه في تلك الأزمنة الغابرة كان هناك أعداد أكبر من البوم تقف على أسطح المنازل مما نراه في زمننا الراهن. فقد دفعتهم ضجة السير وأضواء الطرق إلى الابتعاد خوفاً.

اعتقد بعض الرومان اعتقادا كبيراً أن صياح البومة كان يُنبئ بموت وشيك، مما دفعهم لبذل قصارى جهدهم كي يتمكنوا من إمساك الطائر وقتله، آملين أن هذا يمكن أن يحيّد النبوءة. حتى عندما يموت طائر الشؤم، كانت تراودهم مخاوف من أن قوى خارقة يمكن أن تبعثه للحياة من جديد، لذلك كانوا يحرقون جثته ويلقون برفاته في نهر تايبر Tiber.

وكان يُعتقد أيضاً أن البوم رُسُل السحرة الذين كانوا يرقصون على قبور الموتى. ويبدو من السهل التكهن كيف بدأ هذا الاعتقاد الأخير بالظهور، ذلك أن البوم دائماً ما تزور المقابر -في ليلة مقمرة- فكانت تُرى وهي تنفضّ على فأر غير مشتبه بحقيقته، وكانت تفسّر عملية جرّه أنها نوع من الرقص.

استخدم البوم -أو بعضه- في ممارسات السحر. كان الاعتقاد أنه إن تمكنت من وضع ريشة بومة على جسد شخص نائم دون إيقاظه، فسوف تكون قادراً على كشف أسراره. وإذا حدث وسافرت خارج البلاد- وهي تجربة خطيرة في تلك الأزمان الغابرة— وكنت سيء الحظ لتحلم بالبوم، فإنك على وشك استقبال مصيبة من أي نوع؛ مثل التعرض للسرقة أو لتحطم السفينة.

الصين CHINA

جذبت صورة البومة في الصين انتباه حضارة عظيمة ازدهرت في الألفية الثانية قبل الميلاد. فقد أبدع فنانو شانغ ديناستي Chang Dynasty (قبل الميلاد ١٠٤٥-١٥٠٠ كذا) بعض أكثر الأشكال البرونزية تفصيلاً وجمالاً



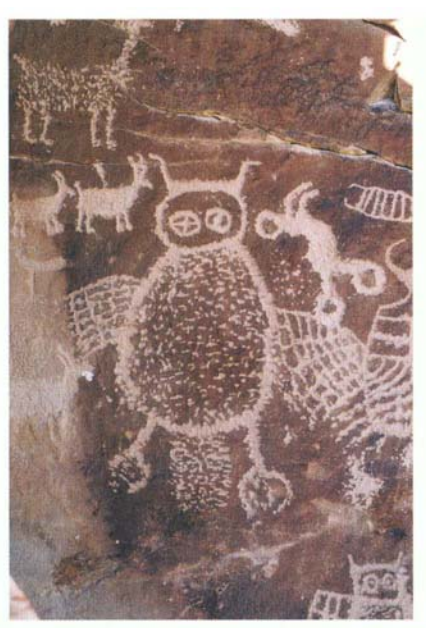
زون برونزي على شكل بومة (إناء نبيذ) من أواخر عصر شانغ، كذا. ١٢٠٠ ق.م.

التي رآها العالم. كان من بينهم عدد من البوم الجلالي Majesty Owls، مغطاة بأنماط محفورة وتصماميم فاخرة مدهشة ومعقدة. يعود تاريخها عموماً إلى قرابة ١٢٠٠ ق.م، وقد أخذت شكل عبوات النبيذ البرونزية الدقيقة المسماة زون Zun[1]. كانت توضع بثبات على مرجل برجْلين وقاعدته كانت ذيلا متصلبا، ويظن أن هذه البوم كانت تستخدم في طقوس عبادة الأسلاف، فعيون الطائر المحدقة كانت واسعة وأذناه المحفوفتان بالزغب كانت تعلو رأسه. ويقبع على صدر الطائر شعار رأس ثورنافر، وقد شُكّلت الأجنحة على نحو غريب من زوج من الأفاعي اللولبية. ويزيّن ظهر البومة طائران شبه جارحين لهما منقاران متوحشان معقوفان. أما رأس الطائر فكان غطاءً يمكن إزالته. ويحمل هذا التمثال عقدة في قمة رأس الطائر لتسهّل رفعه. وقد صمّمت العقدة ذاتها على شكل طائر صغير له منقار طويل مستدق وعُرف صغير. يظهر أن هذا الطائر الصغير قد نشأ من تاج البومة.

لقد عُثر على عدد من هذه الأشكال البومية في مواقع مقابر البلدات المسوّرة في المملكات الإقطاعية القديمة، فقد أظهرت كمية البرونز المستخدمة في صناعتها بوضوح. أنها كانت مجتمعاً ثرياً[2]. لم يبق أية سجلات عن هذه الحقبة لتمكننا من تفسير رمزية هذه البوم بثقة كاملة وقد وُضعت العديد من الاطروحات التي تعلّل لمَ كانت هذه البوم مفضلة في تلك الحضارة. وترى أكثر الطروحات قبولاً أن البوم تفيق في حلكة الليل جانب القبور لحماية من فيها في رحلتها إلى الحياة الأخرى. فمقدرتها على الرؤية في الليل والهجوم مسببة الموت. تتمكن البوم أكثر من أي كان حي آخر من رصد المخاطر والتعامل معها بصمت وخفة. وتتمكن بعد ذلك من التحليق إلى جانب أرواح الموتى أو إرشادهم إلى العالم الآخر بأمان. ويعتقد أن الجناحين اللذين يتخذان شكل

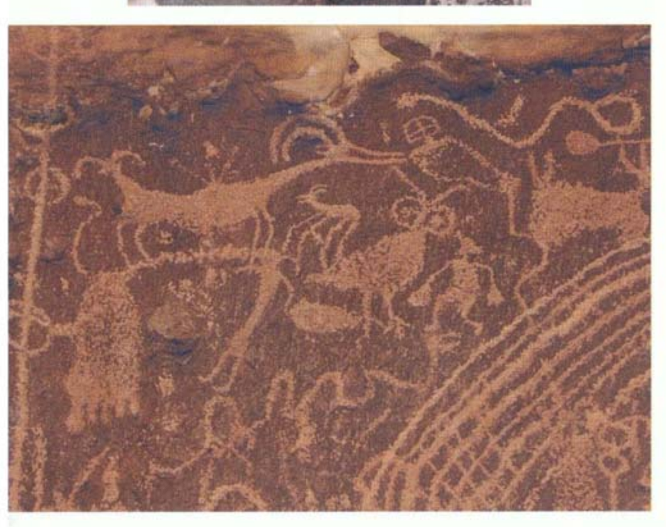
1- Robert W. Bagley, Shang Ritual Bronzes (Cambridge, MA, 1987),pp. 114–16, figs 152–6. طراز من أواني النبيذ الصينية القديمة على شكل مزهرية كان يوضع بها النبيذ في المناسبات الدينية: (المترجم).

2- Ibid.

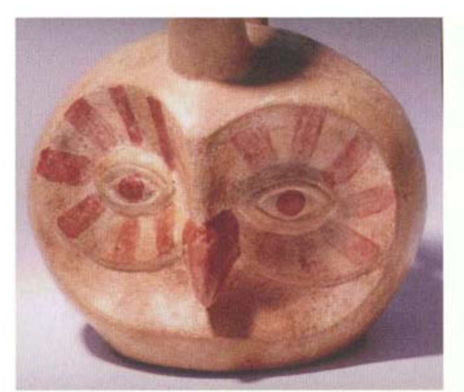


لوحة من ثقافة فريمونت[1] الهندية Fremont I - dian مرسومة على الصخر في الهند: طائر بومة فارداً جناحيه في,Nine Mile Canyon, Utah نحت في الفترة بين ٤٠٠-١٣٥٠ بعد الميلاد.

١- ثقافة هندية أمريكية قديمة استمدت اسمها من نهر فريمونت في ولاية يوتا Utah: (المترجم).



بومة بقرنين يقف بين مجموعة من الحيوانات الأخرى على لوحة في Rochester Greek, Utah





الأفاعي الملتفة ربما يكونان قادران أن يضربا بالظلام ويفتكان بالأرواح الشريرة بسمهما القاتل. لن نتأكد تماماً من حقيقة الأمر ما لم تكشف الحفريات عن بعض سجلات تلك الحقبة القديمة المفقودة منذ أمد بعيد.

نظر الصينيون إلى البومة بعد مرور ألفية أو ما يقارب الألفية، وفي حقبة الطّاوية[1] Taoist Period ليس بوصفه صديقا قديما حكيما، بل عنيفا ومرعبا؛ فهو طائر الليل الجارح الشرير. فقد كان يعتقد لسبب ما أنه وحش، وأنّ فراخه تقتلع عيني أمها أو تعمل على التهامها. فإذا ولد طفل صيني في «يوم البومة» (الانقلاب الصيفي)، فإنه يعتقد أنه سيملك شخصية عنيفة، ويحتمل أن يقتل أمه.

ربما تكون شخصية البومة العنيفة هي من أفضت إلى ربطها بالعواصف العنيفة. وفي الديانة الطاوية، كان ليغونغ Leigong إله الرعد كميّر Chimera له جسد نصفه بومة ونصفه الأخر إنسان. كان لديه منقار، وجناحان، ومخالب البومة، لكن جسده كان جسد إنسان. كان واجبه معاقبة البشر الذين كانوا يذنبون بجرائم خفية. وقد كان البومة الصيني يربط عادة بالبرق أيضاً؛ لأن الاعتقاد كان أنه «يضيء الليل» وقد ساد تقليد قديم في وضع

إناء خزفي من الثقافة الموشيكية Mochica على شكل بومة. شمال البيرو.

مسبحة ذهبية من الثقافة الموشيكية على شكل وجه بومة.

١- فلسفة دينية مبنية على تعاليم لاوتسي، وتعد أحد أديان الصين الثلاثة بالاضافة إلى الكونفوشيوسية والبوذية: (المترجم).

تمثال طائر بومة في كل زاوية من زوايا المنزل لحماية البناء من التعرض للبرق.

يتكرر ظهور البومة في فنون الأمريكيتين القديمتين، فمن فن الصخر القديم في أمريكا الشمالية إلى الخزف الملوّن في البيرو Peru. وعلى وجه الخصوص، فقد تركت لنا ثقافة الموشيكا Mochica التي ازدهرت في شمال البيرو في الفترة الواقعة بين عامي ١٥٥-٨٠٠ بعد الميلاد تشكيلة واسعة من أواني الخزف التي تتخذ شكل البوم. فبالنسبة لثقافة الموشيكا، فقد كان لطائر البومة حضوراً مهماً ومعقداً مثّل الحكمة والشافي السحري من جهة، ومن جهة أخرى المقاتل المنغمس في ضرب الأعناق الطقوسي، وأرواح الموتى. لذا - في هذه الحالة- فقد وجد التناقض الداخلي تجاه البومة، مرةً حكيماً وأخرى شريراً، في الثقافة ذاتها، ففي دوره الحكيم، كان يُرى البوم إنساناً حكيماً تحوّل إلى نظيره الطائر خلال طقوس ليلية، عندها- بوصفه طائراً خارقاً- يستطيع أن يرى بشكل سحري في الظلام. أما في دوره الشرير فقد كان محارباً قاتلاً تنعقد فيه مقارنة رمزية بين اشعال الحروب واصطياد الطرائد.

فلا يبدو غريباً إذاً أن تظهر صوره الخزفية في حلّتين؛ مرة في شكل طبيعي جذّاب، وأخرى بوصفه كائناً بشرياً شريراً يرتدي قناع بومة وعباءة على شكل جناحي بومة. ويرى الشكل المقنّع يحمل هراوة كبيرة، وأحياناً رأس بشرية وسكين، لأنه هو طائر البومة المحارب، والمفترس، والقاتل. وفي أحد الأمثلة، يظهر طائر البومة حاملاً رجلاً على جناحه، وقد فُسِّر أنه قرباناً يؤخذ إلى العالم الأخر عقب ذبح طقوسي[١].

لذا، أدى طائر البومة في الحضارات القديمة العظيمة، دوراً محورياً في الأسطورة والخرافة. من بابل ومصر في الشرق الأوسط، إلى اليونان وروما في أوروبا القديمة، إلى الحضارات النائية في الصين وأمريكا الجنوبية، فقد شُكلت صور البوم بكد وجهد، ونحتت وصُبّت في قوالب، وقد انغمس اسمها بشكل دائم في التراث الشعبي المحلي. نتيجة لذلك، فمن المؤكد تقريباً- عند المؤمن

1- Elizabeth P. Benson, *The Mochica: A Culture of Peru* (London, 1972)p. 52.

كثيراً بالخرافات – أنه قد ساد الاعتقاد أن أجزاء جسد هذا الطائر الإيقوني كانت تحتوي على قوى سحرية، كما سنرى في الفصل اللاحق.

3- البوم الشفائية MEDICINAL OWLS

قبل أن يظهر الفحص الطبي العلمي، عانت حيوانات كثيرة من الموت بلا جدوى في القرون الأولى على يد الأطباء المشعوذين ، الذين اعتقدوا أن أجزاءً معينة من أجساد هذه المخلوقات ذات الحظ المتعثر يمكن أن تعالج أمراض الإنسان المشخّصة. لم يكن طائر البومة مستثنى، فنطاق الأمراض التي يُعتقد أن أجزاء جسده يمكن أن تعالجها يوهن المعتقد. حتى أن ويليام شكسبير William Shakespeare، ١٥٦٤-١٦١٦ أسهم في هذا الغباء. فالساحرات سيئات السمعة اللواتي طبخن الشراب السحري المخمّر في المشهد الافتتاحي لمسرحية ماكبيث صرخن قائلات:

عين السمندل، وإصبع قدم الضفدع،
صوف الخفّاش، ولسان الكلب،
لسان أفعى، ولدغة دودة عمياء،
رجل سحلية، وجناح فرخ بومة.

لم يشأ ند شكسبير العظيم بن جونسون Ben Johnson أن يسقط هذا الجانب. فقد اقترح عندما أراد أن يمزج شراباً ساماً:

بيوض البومة الصيّاحة وريشها الأسود،
دم الضفادع وعظم ظهره

سُجّلت قبل هذا الوقت بقليل خلاصة وافية عن المعرفة الطبية والأحيائية بعنوان هورتس سانيتايتس Horus Sanitatis ظهرت في القرن الخامس عشر، تتمثل في أن علاج الجنون كان يتضمّن وضع رماد طائر بومة فوق عيني المجذوب. ارتكز هذا العلاج التجريبي بلا شك على مبدأ أن رؤية طائر البومة الحكيمة يمكن أن تنتقل -بهذه الطريقة- إلى رؤية الرجل المصاب بالجنون الذي أتلفت رؤيته بشكل مسعور. رأى اعتقاد مشابه بالهند في أكل بيض البومة

وسيلة لتحسين الرؤية الليلية. وقد فضّل هنود قبيلة شيروكي Cherokee أن يغسلوا أعين أطفالهم بماء يحتوي على ريش طائر البومة، من أجل منحهم المقدرة على السهر طوال الليل.

أحد أشد المعتقدات غرابة، والذي دام لسنوات طويلة يفيد أن تناول بيض البوم النيء يمكن أن يشفي الشخص من السكر. يعلّق جون سوان John Swan في عمله (مرآة موندي) Speculum Mundi الصادر في القرن السابع عشر قائلاً «يقول بعضهم أن بيض البوم يُفقس ويوضع في أقداح السكير، أو في أقداح آخر تواق للشرب، فسوف تجد نفعاً معه وتحمله أن يعاف شرابه المسكر فجأة ويستاء من الشرب»[1]، ساعد منظر طائر البومة المجّد الجليل افتراضياً على نشوء مثل هذا المعتقد؛ ذلك أن هذا الطائر بدأ يمثّل الرزانة وبذلك فهو يضع بيوض الرزانة. ساعد لغز العلاجات التي يصنعها المشعوذون على استدامة مثل هذه المعتقدات لفترة طويلة، علماً أنها لا تمتلك جدارة بالبقاء إلا أن- طبعاً- قوة هذا الطرح تبقى حاضرة. شهد تنوّع فكرة بيوض البوم الشافية لمدن الخمر تقديم هذه البيوض في أقداح النبيذ مراراً وتكراراً، شهدت اللحظات الأولى تدفقاً كبيراً نحو هذه النسخة المعدلة من العلاج، إلا أن الطعم القميء الذي كانت تضيفه البيوض إلى النبيذ هو ربما مَن جعل هذه الطريقة تنجح أخيراً.

إذا انغمس السكير بشدة في المشروب لدرجة أن أصبح يعاني أيضاً من مرض النقرس، فبوسعه أن يشفي معضلته -كما يُدّعى- عن طريق نتف الريش كله عن جسد بومة، ويكبسه بالملح لأسبوع، ويضعه بعد ذلك في إناء، وبعد ذلك يغلق الإناء بغطاء ويشوي الطائر في فرن ليحنّطه، ويطحن هذا البومة المحنط طحناً ناعماً، ويمزجه مع دهن خنزير ذكر لصنع مرهم منه. فإذا وُضعت طبقة على «مكان الشكوى» في جسد المريض بالنقرس، فسوف يساعده هذا المرهم على التعافي بسرعة من جديد. وكما قال أحدهم مرةً، محظوظ هو الحيوان الذي لا يمتلك قيمة استشفائية.

1- John Swan, *Speculum Mundi* (Cambridge, 1643), p. 397.

وقد قيل أيضاً، أن دهن البومة المغلي يفيد في تخليص الجسم من الآلام، إضافة إلى وجه الإنسان المشلول الذي يُشفى سريعاً إذا دُلّك بدم بومة دافئ، أو بقلب بومة. كما أن دم البومة المخلوط بالزيت يعمل على إزالة قمل الرأس. وأن تناول حوصلة البومة المجففة المطحونة يساعدعلى الشفاء من المغص القولوني. تعالج صفراء البومة ظاهرة التبول اللاإرادي أيضا. وإذا أضيف نخاع البومة العظمي إلى الزيت ووضعت نقاط منه في الأنف فسوف يعالج صداع الشقيقة. وتمتد هذه القائمة إلى ما لا نهاية، يبدو غريباً أن طائر البومة لم ينقرض تبعاً لكل هذه الوصفات العلاجية المتخبطة.

وهناك المزيد أيضاً، توصية أشد غرابة تفيد أنه عليك أن تقتل بومة وتنتزع قلبه وتضعه إلى جانب الثدي الأيسر لمرأة نائمة. سيعمل القلب في هذا السياق عمل عقار الصدق، وسيعمل على جعل المرأة تفشي أسرارها. من ناحية أخرى، يمكن أن تأخذ القلب معك إلى الحرب وسيقوّي عزيمتك في المعركة. أو إذا أحرقت قدمي بومة مع عشبة الرصاصية (نبات استوائي) جميل الزهر، فسيحميك هذا من عضات الأفاعي السامة. ذكرت بليني كل هذه العلاجات المفترضة في عام ٧٧ قبل الميلاد، ولكنها أخذت على عاتقها مسؤولية تفنيدها وإظهار أنها أكاذيب وحشية.

اعتاد شعب يورشير في لندن على إعداد حساء بومة لمعالجة الكحة الذئابية. وقد بنيت الفكرة على أن طائر البومة القادر على النعيب المستمر دون أن يتأذى، فسيعمل الخير الخاص الموجود في حساء البومة -عن طريق عملية سحر عاطفي- على وضع حد لمعاناة المريض. في مكان آخر، ساد اعتقاد أن حساء بيض البومة الذي يعد في فترة محاق القمر[١] يمكن أن يعالج مرض الصرع. ولأن طائر البومة هادئ ورابط الجأش، وعادة ما يرقد بسكون تام، فقد ساد اعتقاد أن نوبات الصرع الجنونية يمكن أن تسكّن عن طريق شرب خلاصة طائر البومة.

ربما تكون أشد الوصفات العلاجية المرتكزة على البومة غرابة هي تلك

١- المِحاق ما يُرى في القمر من نقص في جرمه وضوئه بعد انتهاء ليالي اكتماله: (المترجم).

القادمة من ألمانيا التي تتمثل في أنه بوسع المرء تفادي التعرض لعض كلب مسعور، وتفادي آلام داء الكلب الشديدة عن طريق وضع قلب وقدم بومة يمنى تحت إبطك الشمال. بهذه الجوهرة الطبية نكون قد ولجنا إلى عالم مونتي بايثون[1] Monty Python، لكن هذه ليست إلا البداية.

من الممكن وضع كتاب كامل عن وصفات البومة العلاجية، وتبدو كلها بلا جدوى بشكل صريح، لكنها مورست كلها بشكل اندفاعي في القرون الأولى. قراءتها مجتمعة كما تم هنا، يجعل المرء ممتناً لأنه ولد في عصر العلم مما يوجب إجراء فحوصات ضبط قبل أن يتوفر أي علاج للمعانين العصابيين. لا نكون أشد ضعفاً لقبول أي اقتراحات مما نكون عليه عندما نكون مرضى، وقد استغل المشعوذون والدجالون هذا الضعف في الأزمنة الغابرة لدرجة لا يمكن تصديقها. ويجب أن يشعر البوم أيضاً بالامتنان للطب الحديث لجعل أجزاء أجسادها أقل جاذبية. لربما أننا نقطع أشجار غاباتها، ولكننا لا نضع أجزاءً منها تحت إبطينا.

١- اسم فرقة مسرحية سينمائية تلفزيونية هزلية بريطانية: (المترجم).

4- البوم الرمزية SYMBOLIC OWLS

البوم الشرير THE EVIL OWLS

كان يُنظر إلى البومة منذ آلاف السنين روحاً شريرة تحوم بصمت في سماء الليل بحثاً عن ضحايا بشرية، قصد أن تُوقع بهم الأذى. وقد عزّزت صيحاته الغريبة هذا الانطباع، وصبغته بمسمى نذير القدر المشؤوم، والدمار، والهلاك. ولأنه لا يخرج إلا في الليل، ويبقى صامتاً على نحو غريب خلال طلعاته، فإنه يذكرنا بالمجرم المختلس، أو باللص، أو بالقاتل الذي يترصد تحت جنح الظلام. وكما رأينا، عنت طريقة البوم في الحياة للرومان القدماء أنه كان يُرى رسولاً مخيفاً للموت. لم ينفرد الرومان القدماء وحدهم بهذه العلاقة الكئيبة غير المبررة البتة مع البوم المسالم، والبريء، وقاتل الحشرات. فقد حملت ثقافات عديدة أخرى الشعور ذاته.

يعج الكتاب المقدس بكره البوم. فهناك ستة عشر ذكراً للطائر في العهد القديم التوراة، معظمها عدائي. في البداية، يعد طائر البومة غير طاهر، ولذا يتوجب عدم أكله. وفي الاصحاح الرابع عشر من سفر التثنية، جاءت الوصية «لا تأكل رجساً ما» وقد ورد طائر البومة في فئة الطعام الرجس، في الواقع، تفرّد طائر البومة عن قائمة بقية الطيور غير الطاهرة بمعالجة خاصة. والبوم، والباشق، والقوق، والشاهين على أجناسه والبوم الصغير، والكركي والبجع ... هذا هو ما ورد في الكتاب المقدس، لنتأكد أن ليس ثمّة سوء فهم، فقد أضاف البومة الصغير والكركي البومة الكبيرة حتى لا يظن بعض آكلوا الطيور الجياع أن هناك مهرباً وأن ثمة أنواع من البوم محصنّة ويمكن تقديمها على المائدة. ففي الإصحاح الثالث عشر من سفر إشعياء عندما حكم على بابل أن تبقى خاوية من السكان «بل تربض هناك وحوش القفز، ويملأ البوم بيوتهم؛ وتسكن هناك بنات النعام، وترقص هناك معز الوحوش». بعد ذلك بقليل، في الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر إشعياء، نرى طائر البومة مرة أخرى مصوّر أنه الشاغل

الحتمي لأرض الأعداء، الأرض التي «ستصير زفتاً مشتعلاً». وما أن يمد على الأرض خيط الخراب «ويرثها القوق والقنفذ؛ والكركي والغراب يسكنان فيها ... وتكون مسكناً للذئاب وداراً لبنات النعام ... هناك يستقر الليل ويجد لنفسه محلاً. هناك تحجر النّكّازة وتبيض وتفْرخ وتربّي تحت ظلها ..»..

كان لهذه البدايات المشؤومة لطائر البومة المسيحي تأثيرات دائمة على صورته في القرون اللاحقة. فقد صوّر طائر البوم في أوروبا في القرن الثالث عشر إلى جانب العنزة والنسناس، أحد الثلاثي الشيطاني. ويوجد في سفر المزامير من القرن الرابع عشر، وهو كتاب مزامير، وترانيم وصلوات- رسم ساحر لفارس يدرب صقراً- وقد حلت الحيوانات الوثنية الثلاثة محل السيد النبيل، وجواده، وطائره». تظهر الصورة قردا صغيرا يقف طائر بومة على قبضته المغطاة بقفاز، ويعتلي صهوة عنزة.

لم تتمكن مصنفات الحيوانات الأولى من العثور على كلمة حسنه لوصف البومة. فقد وصف طائر البومة الصيّاح في واحد من هذه المصنفات أنه «طائر كريه، لأن مجتمعه متسخ من مخلفاته، تماماً مثلما يصبغ الخاطئ كل من يعيش معه بسمعة سيئة من خلال المثال الذي يقدّمه من تصرفه المشين. وإنه ... مقيَّد



بومة، نسناس (قرد؟) وعنزة في لوتريل سولتر[1] The Luttrell Psalter كذا، ١٣٤٠، رسم بالخطوط.

١- مخطوطة مزركشة تحوي كتابات ورسوم توضيحية مجهولة المؤلفين، موجودة في المكتبة البريطانية: (المترجم).

بالكسل الشديد؛ الكسل ذاته الذي يربط الخطاة الذين يبدون خمولا وكسلا عندما يطلب منهم فعل الخير»[1]. في الحقيقية يظهر طائر البومة واقعيا شديد النشاط في الليل «يفعل الخير» لمصلحة البشر بقضائه الفعال على الحشرات الضارة، وهذا ما كان مخفياً على المؤلف قبل أن يسطّر كلماته.

وظف بعض علماء اللاهوت المسيحيين في العصور الوسطى البوم بطريقة غريبة. فقد دللوا أن الطائر كان رمزاً لليهود لكونه كائنا ليليا. وبعد ذلك -كما قالوا- أن اليهود كانوا يفضلون ظلمة معتقداتهم على نور المسيحية الواسع. كانت الأدمغة التي وقعت بهذه المعاداة للسامية التي سادت في العصور الوسطى ماكرة بما يكفي لاستخدام الجمهرة حول البومة مثالاً على اليهود الذين يتعرضون للهجوم من قبل تجمع مصيب من المسيحيين المتنورين.

أدى شكسبيرShakespeare كاتبنا المسرحي العظيم في إنجلترا في القرن السادس عشر دوره في إبقاء سمعة البومة السيئة. فقد وصف في مسرحية ماكبيث Macbeth البومة الزاعق أنه «قارع الناقوس القاتل الذي يمنح الليلة السعيدة الكآبة الشديدة». وفي حلم ليلة منتصف صيف A Midsummer Night`s Dream تحدث عن البومة الصيّاح أنه يصيح بصوت مرتفع «يجعل البائس القابع في الحزن يتذكر الكفن». ويكمل قائلاً: «لقد أطبق الليل الآن، في هذا الوقت تنفرج كل القبور على اتساعها، وينطلق من كل قبر شبحه، وينسل على الدروب المؤدية للكنيسة»، فهو يقترح ربما أن الأشباح المنسلة وبوم المقابر ما هي إلا واحد، وأن البوم- مثل مصاصي الدماء المفترسين- سكنت القبور حتى حلول «ساعة السحر» حينما تفرد أجنحتها الشبيهة بمصاص الدماء دراكولا Dracula وتحلق خارجاً.

في الجزء الثالث من مسرحية هنري السادس Henry VI، هناك بيت اخباري عندما يجعل شكسبير الملك يتحدث بهيئة الرومان القدماء: «لقد زعقت البومة عند مولدك، وهي إشارة شريرة..».، أما في مسرحية يوليوس قيصر Julius Caesar، فيؤكد شكسبير معرفته بالدور الذي يؤديه طائر

1- Richard Barber, *Bestiary* (Woodbridge, Suffolk, 1993), p. 149.



بومة، وجمجمة، وشمعة،
لوحة فراغية مجهولة
الفنان، هولندية أو ألمانية
من القرن السابع عشر،
مرسومة بألوان زيتية على
لوحة.



عند اكتمال البدر، تعود ساحرة إسبانية للبيت، يقف جنبها البومة على العصا السحرية.

البومة في الخرافة الرومانية، عندما يتحدث القيصر قائلا «لقد جلس طائر الليلة بالأمس، وحتى في وقت الظهيرة، فوق السوق، وأخذ بالنعيب والزعيق»، ويستنتج القيصر أن هذه «أشياء حبلى بالنذر».

وقد ألهم الارتباط بين البومة وبين الموت فناناً من القرن السابع عشر لإبداع عمل له علاقة بالأشباح في جنس الأعمال الفارغة[١] vanitas، يظهر بومة واقفا فوق جمجمة بشرية. ويوجد جانب الجمجمة شمعدان يخبو لهيب شمعته بشكل رمزي. يعني مصطلح vanitas الفراغ، وقد قُصد من الرسومات التي تنهج هذ النهج إلى التأكيد على طبيعة الفراغ والحياة الفانية نفسها. عادة ما كانت تحتوي هذه الأعمال على جمجمة وأشياء تذكر بحتمية الموت، مثل: فاكهة متعفنة، أو ساعة رملية، أو حشرات. وقد أضفى الفنان- مجهول الاسم- في هذه الحالة على المشهد مزيداً من الكآبة والشؤم من خلال نصب البومة، رسول الموت المرعب، فوق الجمجمة.

تابع سير وولتر سكوت Sir Walter Scott، ١٧٧١-١٨٣٢ هذا المغزى في قصيدته «لحن الغيليين القديم» Ancient Gaelic Melody، ١٨١٩، فهو يتحدث عن «طيور نذر الظلام والفساد؛ وغراب الليل، والغراب الأسود، والوطواط، والبومة»، ويناشدهم أن «يدعوا الرجل المريض لحلمه فقد ظل يسمع صراخكم طول الليل[٢]».

هناك صلة بين البومة وبين أعمال الشعوذة سيطرت على كثير من صور البومة في ذلك الزمان. كان الأكثر شيوعاً أن يكون القط- القاتل الليلي الند- هو من يقوم بدور جنّي الساحرة، ولكن طائر البوم حل محله تدريجياً، وقد صوّر أحياناً راكبا على مقبض عصا الساحرة وهي تحلق في سماء الليل.

يفقد البوم الشرير قوته كلما تقدمنا في الزمن للأمام، لكنه ما زال يترصد

١- الرسم الرمزي للحياة الساكنة: (المترجم).

2- Sir Walter Scott, *A Legend of Montrose* (London, 1819), chap. 6.



البومة رمز للعمى في الضوء: حفرية من مجموعة جورج ويذرGeorge Wither للشعارات القديمة والحديثة (١٦٣٥).

في بعض الزوايا الحالكة. ما يحدث عادة عندما يبدأ رمز من رموز الشر بالأفول هو انتقاله من الاعتقاد الجدي إلى الترويح الهزلي. وتعد عشية عيد القديسين Halloween خير مثال على ذلك. فهو أصلا، احتفال وثني برأس السنة السلتية Celtic، عندما تضحى الحدود بين الأحياء والأموات غير واضحة، يصبح الموتى خطيرين لبرهة من الوقت، ويدافع الأحياء عن أنفسهم عن طريق التنكر بالأرواح الشريرة لتهدئة الموتى. يستخدم الأطفال في يومنا هذا هذه الفكرة فيرتدون ملابس الغيلان والسحرة لإخافة الكبار. فقد أصبحت طقوس الأمس المقدسة فناً إيمائياً خفيف الظل. ومن بين الصور التي يعرضها هذا العيد هناك الأشباح بأنواعها، والعفاريت، والأموات العائدين للحياة، والشياطين، ووحوش أخرى من جنس الرعب الحديث. ويعد طائر البومة أحد هذه الحيوانات الشريرة التي ترافق هذه الأرواح الشريرة، فتؤدي دور رفيق الساحر.

من الممكن في الزمن الراهن شراء قبعة ساحر واسعة بما يكفي لبناء عش بومة داخلها. يظهر وجه البومة من القبعة و-بذلك- يساعد بإبقاء التراث القديم للبومة الشرير في الأزمنة الغابرة. قد لا تكون أكثر من طرفة في يومنا هذا، إلا أنها تختزن تاريخاً طويلاً وراءها، وتظهر أنّ -على الرغم من أن فكرة

طائر بومة تحت قبة مجلس الشعب: يحل كرومويل[1] Cromwell بقية مجلس الشعب في التاسع عشر من نيسان ١٦٥٣، يظهر هنا بصورة مطبوعة بهولندا. أصبح كرومويل بعد هذا الحل حامي الملك وكان يملك صلاحيات سلطوية.



البومة الشرير نذير الموت والخراب لم تعد تُحمل على محمل الجد- هذا التاريخ لم يُنس تماماً.

البومة العنيد THE OBSTINATE OWL

انتشر نوع جديد من رمزية البومة في القرن السابع عشر، وهو البومة العنيد. وقد ظهر ابتداءً في عام ١٦٠٢، ومرة أخرى في عام ١٦٣٥ رسما أسطوريا يصور البومة. الذي تبدأ قوة بصره بالتراجع شيئا فشيئا مع ازدياد شدة الضوء. فهو يُظهر بومة ترتدي نظارات، ويحمل شعلات ملتهبة في كلتا مخلبيه. ويقف أمامه زوجان من الشمعدان يحملان شمعتين متوهجتين. وفي المساء ترسل الشمس أشعتها إلى المشهد، والعبرة المستفادة من كل هذا أنه إذا امتلك أحد ما هوىً أعمى، فلن يتمكن أي عقل متنور من اقناعه برؤية تصرفاته الحمقاء. في الحقيقة، كلما قويت بلاغة الحجة المقدمة له كلما ازداد تعنتا في هواه. فنقرأ في بيت الشعر الحكمة التالية أن« من كان أعمى فلن يرى، مهما سلطنا عليه من الأضواء. وتبتدئ القصيدة المكتوبة تحت الشعار الآتي:

لقد افترض بعض الناس أن بومنا،
يضحي طيراً لا يرى جيداً في وضح النهار،

١- أوليفر كرومويل (١٥٩٩-١٦٥٨) زعيم سياسي وعسكري وديني إنكليزي، تزعّم جماعة البيوريتان p-ritans عام ١٦٤٠، وعند اندلاع الحرب الأهلية عام ١٦٤٢ تمكن من إيقاع الهزيمة بالملكيين. ألحّ على ضرورة إعدام الملك تشارل الأول فتم له ذلك عام ١٦٤٩، وبذلك أصبح سيد إنكلترا الفعلي وأعلن قيام الجمهورية عام ١٦٥٣. هزم إسبانيا بالتحالف مع فرنسا بحرا عام ١٦٥٧، وبرا عام ١٦٥٨. لقبُه « السيد حامي الكومنولث: (المترجم).

وأنه كلما بالغت في الطرح التنويري،
كلما بالغت في حرمانهم من البصر،
فلا الشموع، ولا الشعلات، ولا شمس الظهيرة،
ولا النظارات، ولا كل هذه الأشياء مجتمعة،
بوسعها أن تمكن فرخ بومة من الرؤيا في وضح النهار،
مع أن لا أحد يضاهيه في قدرته البصرية في الليل[1].

وقد ظهر طائر البومة العنيد بعد ذلك بقليل في القرن السابع عشر في مطبوعة ألمانية شهيرة، تظهر أوليفر كرومويل يصرف مجلس الشعب الإنجليزي في عام ١٦٥٣، فقد دخل إلى المجلس وهو يشعر بالامتعاض من رفضهم النظر في الحاجة للإصلاحات ورشقهم بوابل من الشتائم ونعتهم بالسكارى، والقوّادين، والرجال الفاسدين والظَلَمة. وقد طردهم بعد ذلك من المجلس بمعونة أربعين فارساً، وقد طُرد بعضهم بالقوة. نراهم في الصورة الهولندية يُساقون خارجاً على رؤوسهم بومة يرتدي نظارات وقلادة حديدية كبيرة عليها شمعة مضيئة. المقصود من استخدام البومة في هذا المشهد المسرحي كان التأكيد على حقيقه أن أعضاء المجلس الذين كانوا يغادرون القبة كانوا عُمياً عن الحاجة لإحداث الإصلاحات الضرورية، على الرغم من المطالبات المتكررة لهم أن يفعلوا ذلك. فقد وُظّف طائر البومة مجدداً رمزاً للعند والعمى المتصلّب.

طائر البومة ركوبةً THE OWL AS A VEHICLE

يمتلك البومة في الديانة الهندوسية في آسيا رمزية مزدوجة معقّدة، يتمركز دوره الرئيسي بوصفه (ركوبة أسطورية) Vahana، وهي مركبة أوركوية سماوية، تركب عليها الإلهة المعنية لاكشمي Lakshmi إلاهة الثراء والازدهار، ويسمى بومتها أولوكا Uluka أو Ulooka في اللغة السنسكريتية. على الرغم من تلازم البومة مع الإلهة إلا أن النظرة غير

1- George Wither, *A Collection of Emblemes, Ancient and Moderne* (London, 1635), Bk 4, illus. xlv, p. 253.



الإلهة لاكشمي مع بومتها،
في صورة هندية شائعة.



بومة طويل الأقدام، تمثال نحاسي من منتصف القرن العشرين، صنعه فنان محلي من مدينة بومباي، الهند.

التفضيلية التي يحملها معظم الهنود عامة تجاهه ما زالت موجودة، فهم يرونه طائراً مشؤوماً ورسولاً للحظ المتعثّر. فهم يعتقدون أن زيارة هذا الطائر لبيت من البيوت تحتم شراً ينزل بهذا البيت.

يُنظر إلى البوم أن لها أسلوب حياة غريب، يتضمن الوحدة، والخوف، والعزلة. وهي تشبه بهذا المنحنى -كما يقال- الأثرياء ثراءً فاحشاً الذين ينأون بأنفسهم عن الحياة اليومية العادية. إذاً، يُعد وجود البومة ناقلاً للإلهة لاكشمي مذكّراً دائماً بها وعلى الرغم من أنها تمثل الثروة الطائلة فلا بد لها أن تحذر في الوقت ذاته من زلاتها. فلا بد أن تمثل الثروة المعطاءة، أو الثروة الروحية، وأن تتفادى أنانية البخيل المنعزل. عندما تهبط الإلهة إلى الأرض لزيارة الفقراء، في ليلة مخصوصة. في السنة، لتؤكد ظلمة الفقر بعيداً، تمتطي الإلهة بومتها

البيضاء العظيمة لأن جوادها -الطائر الليلي- سيتعرف على أشد البقاع حلكةً ويحملها إليه، لتقوم بأفعال الخير هناك.

تُقبض طيور البوم -على نحو مربك- في مدينة لودهيانا في شمال الهند وتُقتل كل عام للاحتفاء بالإلهة لاكشمي أثناء احتفال ديوالي[1] Divali. نقرأ في عنوان رئيسي محلي: «تسحر ديفالي الشؤم للبوم في لودهيانا. تُقدم الطيور العاثرة قرابين لاسترضاء الإلهة لاكشمي». يتمكن صيّادو البوم من بيع هذه الطيور للأفراد الذين يعانون من ضوائق مالية، معتقدين أنّ تقديم البوم قرابين سيرضي إلهة الرخاء، التي ستعمد بعد ذلك لحل مشاكلهم. يدعى تقرير أن صائدي البوم يتم التواصل معهم من قبل «الصناعيين المضلِّلين» كل عام، طالبين منهم أن ينفذوا أعمالاً سحرية تتضمن أجزاء البوم: اللحم، والمنقار، والمخالب، والريش، والدم. ويبقى جواب سؤال هل تحطيم الطائر ذاته الذي تعتمد عليه لاكشمي في تحركاتها في السماء سيرضى الإلهة؟ غير واضح البتة. من المنطق أن يُحزن ذبح البوم، وحرمانها من ركوبتها المقدسة الإلهة ويغضبها، لذلك يعد هذا تعقيداً آخر يضاف للدور المتناقض الذي يقوم به طائر البومة في الديانة الهندوسية.

ويعد طائر البومة لكثير من الهنود رمزاً للكسل أيضاً، ذلك لأنهم يظهرون وهم جالسون طوال الوقت لا يفعلون شيئاً. فيمكن ان تصف زوجة زوجها الذي لا يؤدي قسطه كاملا من الأعمال المنزلية أنه «يجثم مثل البومة». على الرغم من ذلك، تظهر صور البوم النحاسية الصغيرة التي تُباع في الهند في الوقت الراهن مفعمة بالحيوية على نحولافت، وجاهزة للانطلاق للعمل.

إذا دُرست هذه الاتجاهات نحو البومة في الهند مجتمعةً، فإنها تضيف شيئاً قريباً من وجهة النظر القديمة عن الطائر الشرير وليس الطائر الحكيم. لكن، وفي الوقت ذاته يقبل ألوكا حامل الأثقال الأمين لإلهة الرخاء المحبوبة، وحتى لرفيقها شيفا. مثل هذه النواحي الغامضة المثيرة للفضول ليست غريبة في مناح أخرى من الديانة الهندوسية، وقد يكون هذا أحد الأسباب التي تجعل مهمةً

١- احتفال شهير عند الهندوس والسيخ واليانيين: (المترجم).

الغربيين في فهم معطيات هذه الديانة صعبة للغاية.

البوم الحكيمة THE WISE OWLS

النظرة المهيمنة في زمننا الراهن عن البومة أنه طائر ودود، وحكيم. وكما رأينا، فقد نُسبت صورة البومة الساحر أو نذير الشؤم بدونية إلى الماضي الخرافي على نطاق واسع. والفضل يعود لكتب التاريخ الطبيعية، وللبرامج التلفازية التي وفّرت لنا معرفة جيدة بعجائب حياة

الطائر في الوقت الحاضر لنتمكن -حتى في الخيال- من رؤية البومة بأية صورة باستثناء كونه طائرا عجيبا. في اللحظات التي ننحّي فيها موضوعيتنا العلمية، نطلق لأنفسنا العنان الانغماس في ادعاء رومانسي صغير، فإننا نجد أنفسنا مضطرين لرؤية البومة من زاوية ينيرها اللطف أكثر.

يعود السبب في عزو الحكمة لهذا الطائر تحديدا ببساطة لشكل رأسه الشبيه بالإنسان. فوجهه العريض، وعيناه الواسعتان المهيبتان اللتان تلمعان في وجهنا يعطيان الانطباع أنه- مثلنا نحن- يملك دفاعاً معززاً بمراكز أكثر تفوقاً تمنحه ذكاءً يفوق بقية أنواع الطيور الأخرى. يمكن أن يكون طائراً، ولكن يستحيل أن يكون طائراً بدماغ، نتيجة لذلك، صُوِّر البوم في أساطير وخرافات وحكايات طويلة لا حصر لها أنه مثالاً للتفكير الذكي. وتعد قصة الفئران والبومة الموجودة في مؤلف قصص خرافية من القرن السابع عشر لفاونتين Fountaine مثالاً كلاسيكياً في هذا الشأن[1]. تُحدثنا القصة عن بومة عبقري كان يعيش في شجرة صنوبر مجوّفة، داخل تجويفات تلك الشجرة:

كان هناك كثير من الفئران بلا أقدام،
لكنها تحظى بغذاء جيد كانت سمينة وجميلة
قضم الطائر كل أقدامها،
وكان يطعمهما سنابل القمح هناك.
أن يكون ذلك الطائر قد أصاب الصواب، من يشك بذلك؟

1- Faith Medlin, *Centuries of Owls* (Norwalk, CT, 1967), p. 46.



الفئران والبومة: نحت للفنان ج.ج. غراندفيل J.J Granville في نسخة كتاب جين دو لا فونتين مختارات قصص حيوان الصادرة في ١٨٤١ نشرت القصائد ابتداءً في عام ١٦٧٨ .

عندما كان يخرج ابتداءً للصيد،
ويجلب الهوامvermin الحيّة إلى البيت
الهوام التي كان يصيدها بمخالبه
هربت المخلوقات الرشيقة
في المرة الثانية، صمّم أن يبقيها في البيت،
حصد أرجلها، ووجد ببهجة كبيرة،
أن بوسعه التهامها والتلذذ به،
كان يستحيل أن يأكلها
جميعاً دفعة واحدة، فهل تسمح صحته بذلك.
بُعد نظره، الذي يساوي بعد نظرنا،
في تزويدها بالطعام ظهر بوضوح.

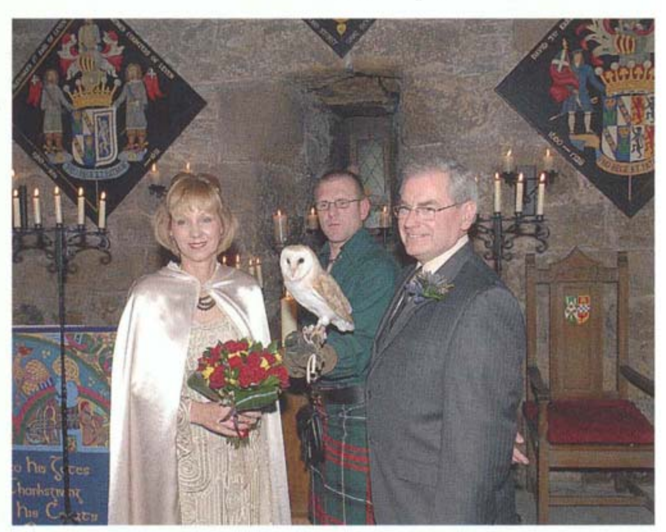
الاقتراح الذي يقدِّم هنا أن البومة كان يستخدم قوةً عقليةً تحاكي قوتنا العقلية، و كان قادراً على تطوير نوع من الزراعة الحيوانية، فاحتفظ بفئران بلا أقدام على قيد الحياة، وعمل على تسميتها لتكون وجبة صالحة عندما يفشل الطائر في تأمين نفسه بالغذاء من خلال صيده الليلي. أضافت لافونين ملاحظة لهذه القصيدة مؤكدة أنها ترتكز على حقيقة جليّة. من الواضح أن كل هذا يخلو من المنطق، ولكن يجدر التساؤل عن مصدر هذه الدعوى. في مثل هذه الحالات، هناك أجزاء متناثرة للحقيقة تسمح -عندما تجمع- بإضافة تتعدى الحقائق التي يقدمها كل جزء على حدة. ادعى بعضهم أن البوم يمكن أن تلجأ إلى تخزين قوارض إضافية مقتولة ما زالت طازجة ليتم استهلاكها لاحقاً. وأشير أيضاً أن بعض الفئران تتظاهر بالموت، وتدّعي الوهن عندما يصطادها البوم من أجل خلق فسحة للهرب عندما ترتخي قبضة الطائر. أما الرأي الثالث فيتحدث عن مشاهدة البوم يعض أقدام الفئران المحصورة بين أرجلها لتحررها قبل أن تلتهمها، إذا جُمعت هذه الآراء الثلاثة -تخزين الفئران في حافظة اللحوم، وبقاؤهم أحياء أحياناً بعد اصطيادها، والعض بين أرجلها المحصورة لتحريرها من مصائدها المعدنية- تبقى خطوة قصيرة لخلق سيناريو تصبح البوم

فيه مربي مواشٍ ذكي. وكما يحدث عادةً، فهناك ذرات من الحقيقة حتى في الحكايات الغريبة عن نشاطات الحيوانات، وهذه الذرات ذاتها هي من يفسّر كيف ولدت الأسطورة، ونمت بعد ذلك، وطورت حياة لنفسها.

يبلغ عمر هذه الرؤيا الرومانسية للبومة أنه يمتلك حصافة عظيمة منذ أكثر من ألفي عام. وكما رأينا فقد ابتدأت كقوة رئيسية في اليونان القديمة، ولكن من غير الواضح إذا كانت ازدهرت في العصور الحديثة تبعاً للاحترام القائم لليونان القديمة، والمعرفة العلمية المتنامية عن المجتمع اليوناني، أو أنها تطورت مستقلةً بدءاً من التحول الكبير في النظرة إلى الحيوانات الذي حدث في الحقبة الفيكتورية Victorian. فسجلت تلك الحقبة -خلال القرن التاسع عشر- مصلحة الحيوان بوصفها قضية رئيسية، وتشريعات مجتمعات معينة في التصدي لانتهاكات الحيوانات، والترويج لاتجاه أكثر عناية بالأنواع الأخرى.

مهما كانت الحالة، من المؤكد أن الفيكتوريين عامة رأوا في البومة الحكمة لا الشر. ظهرت الأبيات المقفاة التالية في مجلة «لكمَة» «Punch» في عام ١٨٧٥:

كان هناك بومة يسكن في شجرة بلوط،



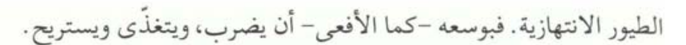
بومة زفاف في احتفالية في قلعة بالجوني Balgonie Castle, Fife Scotland في الثامن من تشرين الثاني ٢٠٠٨.

كلما سمع أكثر كلما تكلم أقل،
وكلما تكلم أقل سمع أكثر-
آه، لو أن كل الرجال كانوا بحكمة هذا الطائر[١].

ما يزال البومة الحكيم الودود، يحتفظ بحضور رمزي في الوقت الراهن في بعض المناسبات الخاصة. ففي أعراس الإسكتلنديين يُطلب طائر بومة أحياناً ليكون موجوداً في الحفل، فدوره كان يتمحور حول تسليم خواتم الزفاف لوكيل العرس. يجلس البومة في بداية الصلاة على مجثمة خلف الكنيسة، إلى جانب مدربه. عندما تُطلب الخواتم وكيل العريس يدور للخلف ويُطلق الطائر ويحلّق بسكون بارتفاع الكنيسة ليحط على ذراعه. في إحدى أرجل البومة هناك طوق جلدي يحمل الخاتمين للعروسين. يُوضع الخاتمان مع بعضهما ويسلمان إلى الكاهن المقدّس. بهذه الطريقة، يشعر الزوجان عندما يضعان خاتميهما أنهما تبّركا بحكمة البومة.

الحقيقة المؤلمة التي يجب تدوينها أن البوم من الناحية العلمية ليست أذكى أنواع الطيور. فحكمتها لا تتعدى كونها وهماً خلقه مظهره الخارجي، فذكاء الحيوانات يرتبط بطريقة عيشها، إذ يُعدّ الانتهازيون منها أشد ذكاءً من المتخصصين. فالانتهازيون -مثل الغربان- لا يملكون وسيلة حياة خاصة، لذا يعتمدون على ذكائهم. لتحصيل قوتهم اليومي؛ فهم يستعينون بكل حيلة، تمكنهم من العيش، أحد الأمثلة على هذا النوع الغراب الذي تعلمّ كيف يسقط ثمرة جوز الهند الصلبة -التي لا يستطيع فتحها بمنقاره- إلى الشارع الرئيسي لتحطمها عجلات السيارات المارّة. حتى أنه تعلم جمع جوز الهند المحطم عندما تتوقف حركة المرور، وأن يتفادى الدهس هو نفسه. ليس من السهل إدراك أن الغراب يمكن أن يظهر مستوى الذكاء هذا. فقد طوّر -كبقية الطيور الجارحة الأخرى- أجهزة الحواس عالية التخصص لديه ونقّح خصائصها المادية ليجعل من نفسه قاتلاً فعالاً لا يعاني من تحدّيات صراع البقاء اليومية التي تواجه

1- L. Sambourne, *Punch* (10 April 1875).


الطيور الانتهازية. فبوسعه -كما الأفعى- أن يضرب، ويتغذّى ويستريح.



حلقة مفاتيح على شكل بومة حامي، مصنوعة من خشب الشجرة المغزلية، محفورة ومدهونة. ثقافة الأينو، اليابان، القرن العشرين.

البومة الحامية THE PROTECTIVE OWL

يملك البومة أيضاً دوراً رمزياً آخر. هذا الدور لا يحفل كثيراً بكون شخصية البومة شريرة أم حكيمة. ذلك أن البومة الآن يؤدي دور حارس الأمن، وإذا كان هذا البومة الحامي إلى جانبك فلن تكترث كثيراً إذا كان شيطاناً أم عالماً، طالما أنه قادر على حمايتك والدفاع عنك وقت التعرض للهجوم.

استخدمت حيوانات عديدة أخرى في الماضي تمائمَ ورُقىً لحماية مالكيها من الحظ المتعثر، أو الأرواح الشريرة. وعلى الرغم من ربط البومة بالموت والكوارث، فقد وُظّف لهذه الغاية لسبب يسهل اكتشافه. إذا كان البومة سفير الموت، وارتديت شيئاً على شكل طائر بومة حامي فبوسعك تخيُّل قواه تتجه نحو أعدائك بدلاً من أن تتجه تجاهك. بعبارة أخرى، إذا كان البومة كائناً مخيفاً فبإمكانك استخدامه لتخويف خصومك.

عُرف عن بعض الشعوب الآسيوية -مثل الأتراك والمغول- أنهم يحتفظون بطائر بومة جانب سرير الطفل المريض معتقدين أن هذا سيطرد الأرواح الشريرة التي تسبب الأمراض.

يصنع الشعب الأيوني في اليابان صور خشبية للبومة العُقاب ويثبتونها على بيوتهم لحماية ساكنيها في وقت المجاعة أو الوباء. حتى أن الأيونيين ما زالوا يوظفون البومة في الوقت الحاضر تعويذةً لجلب الحظ، ومن الممكن شراء تمثال بومة خشبي منحوت يدوياً، وهو استمرار لعلاّقة المفاتيح أو السلسلة الطلسمية. يُعتقد أن تمثال البومة الأنيق جدا المصنوع من خشب الشجر المغزلي الياباني، المزخرف بالذهب واللون الأخضر يراقب ويحمي ليس مالكه حسب، بل القرية كاملةً. ويُبرِز نموذجاً أضخم صمّمه المجتمع كاملاً إنه «المدافع عن القرية» أحياناً.

والغريب أن الشعب الأيوني لا يرى في أنواع البوم كلها أنها حامية، فبعضها يُنظر لها أنها شريرة محضة. فيُعتقد أن هذا النوع يضر بالإنسان، ويملك



بومة الحظ مرسوم عليها أزهار وقلب، تمثال خزف مكوّن صنعه فنان محلي في مينوركا Minorca في أواخر القرن العشرين.

القدرة على التمييز بين الإنسان الصالح والطالح. وإذا اصطيد طائر من هذا النوع فإنه سيحدق بعينين مفتوحتين بالرجل الصالح، ولكنه سيرمق الطالح بعين شبه مغمضة يسمى «التحديق بعين مفتوحة» البحث عن الرجل» ainu oro Wande؛ أما الرمق بأعين مشقوقة فيسمى» تجاهل الرجل» aniu eshpa.

وتساعد السماء الرجل الذي يرى شكل بومة يحلق قاطعاً وجه القمر، وهذا يعني أن الشر المتوعِّد أضحى أشد خطراً لدرجة أن الرجل المعني يحاول تغيير اسمه ليختبئ من الشر المقترب.

يُستخدم طائر البومة في الجانب الآخر من العالم، في جزر البولوريك في مينوكرا في البحر المتوسط أيضاً، أداة حماية. فقد بقي في يومنا هذا أكثر التمائم أو الرقى شيوعاً بين الشعب المينوراكي، الذين يعمدون لارتدائه حول أعناقهم على نحو متدلٍ، أو وضعه في بيوتهم على شكل تمثال خزفي لإخافة الأرواح

الشيطانية، أو لرد العين الشريرة الحاقدة. ويُجتزأ أحياناً إلى عينين مدورتين ناتئتين، ومنقار صغير، ويحذف بقية الجسد بشكل كبير. يؤكد هذا الاجتزاء أنّ العينين الواسعتين كان يُعتقد أنهما أهم عنصر في مهمة رد العين الشريرة. عادة ما تُصنع تماثيل البوم المينوركية الأكبر التي توضع في البيوت لحماية أهلها من المصائب، من الخزف الأبيض المغطّى بنقوش ملونة بالألوان الأحمر والبرتقالي، والبنفسجي والأخضر، والأزرق. ليس هناك من إنكار أن رمزية البوم متشعبة وغنية، فهو شرير لكونه طائرا ليليا، وبسبب ضعف نظره (المفترَض) في وضح النهار، فهو عنيد جدا، وبسبب طيرانه الرشيق الرائع فهو ركوبة الآلهة؛ وبسبب تعابيره المهيبة فهو حكيم، وبسبب أسلحته القوية فهو حام مؤثر. تفخر حيوانات قليلة أخرى بأدوار رمزية عديدة متناقضة. فلا عجب ان ألبوم امتلك إرثاً ممتداً ومعقداً في أساطير البشر.

5– البوم الشعارية EMBLEMATIC OWLS

تستخدم منظمات كثيرة في الوقت الراهن البومة شعاراً، فتُوضع صورته على شارة أو علم، أو لافتة، أو ريشة الخوذة ليوفروا لأنفسهم شعاراً مرئياً يعرّف بهم، ويميّزهم عن نظرائهم. فيمكن أن يختار نادي رياضي البومة بوصفه طائرا جارحا، مؤكدين على مخالبه الحادة عندما يُغير ليقتل. ويمكن أن يختاره مجتمع مثقف لمظهره طائرا حكيما متقدما في السن، ليوظفه رمزاً للمعرفة. فطائر البومة يملك تاريخاً طويلاً في توظيفه شعاراً، يرتد إلى القرن السادس عشر وما قبل.

ابتدأ الاحتفاء بكتب الشعارات التوضيحية في عام ١٥٣١ مع نشر كتاب «الموسوعة الشعارية» Emblematum Liber لأندريا الشاتي Andra Alciati[1]. كانت فكرته أن يضع عبراً على شكل قصائد توضيحية ترتكز كثيراً على قصص الحيوانات القديمة والحكايات العبَرية، إلا أن إسهامه الرئيس تمثّل في تكثيف هذه الحكايات إلى قصائد وصور عبَرية. كان يعتقد أنه لو استطاع أن يصوغ المفهوم العبَري بإيجاز وجمال، فسيصبح بمقدور الفنانين «أن يصمّموا الشيء الذي نسميه شعارات التي نثبتها فوق قبعاتنا، أو التي نستخدمها علامة تجارية». أعيد ترتيب الصور في النسخة المراجعة من كتابه التي ظهرت في عام ١٥٣٤، فوُضع كل شعار في صفحة منفردة. أصبحت هذه الفكرة شائعة لدرجة أن العديد من كتب الشعارات نُشرت في القرون اللاحقة، وتطوّر جنسٌ جديد كامل يُعنى بالصور العبَرية.

1-Andrea Alciati, *Emblematum Liber* (Augsberg, 1531). This, the first book of emblems, was immensely popular and ran to 150 editions, the last version appearing in the eighteenth century (Madrid, 1749). A new edition with English translations by John F. Moffitt appeared in 2004, using illustrations from the 1549 edition.

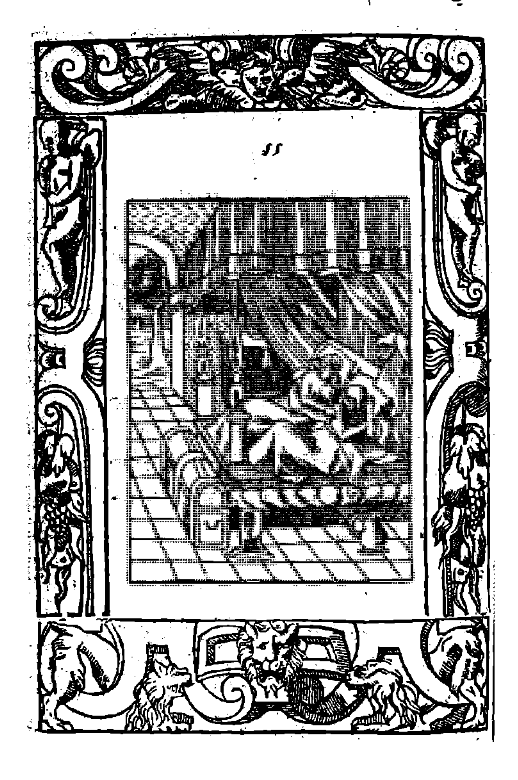


البومة والجيفة، الشابة والعجوز، في رسم توضيحي على الخشب من كتاب أندريا آلشاتا الشعارات، ١٥٨٤: «مثلما تجلس البومة المقرّنة على الجثة، تجلس فتاتنا إلى جانب سوفوكليس»[1] -Sophocles.

ولضرب مثال على الشعارات الأصلية في كتاب الشاتا، وتحديدا رقم ١١٦ التي تظهر رجلاً عجوزاً يداعب النهد الأيسر العاري لفتاة شابة. فهما يجلسان تحت شجرة وإلى جانبهم على الأرض يجثم طائر بومة على صدر جثة. يرمز هذا المشهد الغريب إلى فكرة أنه من الخطأ أن تسلّم شابة نفسها لرجل طاعن في السن لأنه أضحى جثة هامدة تقريبا. تكشف القصيدة اللاتينية المصاحبة للرسم التوضيحي أن المؤلف يؤكد على فكرة أن الرجل العجوز (وهو العجوز

١- سوفوكليس (٤٩٦؟-٤٠٦ ق.م) مؤلف مسرحي يوناني. يعدّ هو واسخيليوس Aeschylus، ويوربيديس Euripides أعظم المسرحيين التراجيديين في الأدب اليوناني القديم. وضع قرابة ١٢٣ تراجيديا شعريّة لم يصلنا منها غير سبع. أشهرها: أوديب ملكا، والكترا، وأنتيجونا. انظر: لويس عوض. نصوص النقد الأدبي: اليونان ص٣٧٥-٣٨١: (المترجم).

سوفوكليس في هذه الحالة) يجب أن لا يستخدم نفوذه وغناه لإغواء امرأة شابة:» مثل بومة الليل الجاثمة على القبور، ومثل البومة المقرّنة الواقفة على الجثة الهامدة، تجلس فتاتنا إلى جانب سوفوكليس». استُخدم البومة هنا رمزياً على نحو غريب. وذلك لأنه كائن حي يرتبط بالمقابر (يُلحظ أنه يحوم حولها في الليل) فقد ساد اعتقاد أنه يرتبط إلى حدٍّ ما بالموتى – من جهة شعارية–، وبقفزة في الخيال، لذلك أصبح البومة يمثّل الفتاة الشابة المفعمة بالحياة التي ترتبط بعجوز قدمه في الدنيا والثانية في الآخرة. وعلى الرغم من ذلك، لم يشتهر هذا الرمز الذي يصوِّر البومة فتاة شابة، ولم يظهر في أي مكان آخر في الأسطور أو التراث الشعبي فيما أعلم.



يكسر طائر البومة صمت الليل بصراخه، رسم توضيحي على الخشب لجيلوم لابيري Guillaume de la Perriere وفي عمله موروسوفي Morsophie, (١٥٥٣).



كذلك أعيش sic Vivo
أحد رسومات بييروريوت Pierre Woeiriot المحفورة لكتاب جورجيت دو مونتنيه Georgette de Montenany (مائة شعار مسيحي) E-blematum Christianorun Centuria, 1584.

يعد عمل جيلوم لابيرير «موروسورفي، ١٥٥٣»[1] الذي ظهر لاحقا نسخة معدّلة قليلاً لهذا الجنس الأدبي، فهو أول كتاب شعارات ثنائي اللغة، إذ كُتب نصه باللاتينية والفرنسية، يظهر في إحدى الرسوم زوجٌ تتملكها الصدمة لدى استيقاظهما على نعيب بومة غريب يجثم على شجرة أمام بابهم تماما. نقرأ في ترجمة النص: «كما يرغب الطائر الذي يغمغم تحت جنح الليل الحالك لقض مضاجع أولئك الذين يهنؤون بالنوم، كذلك يفعل اللسان الشرير الذي يرغب بسكب السم الشرير، لتنوح العقول السليمة لفقد هدوئها». من الواضح أن البومة يصوّر هنا مخلوقاً ليلياً مشؤوماً يقض مضاجع الشعب الهاجع الصادق بصرخاته الغريبة المرعبة.

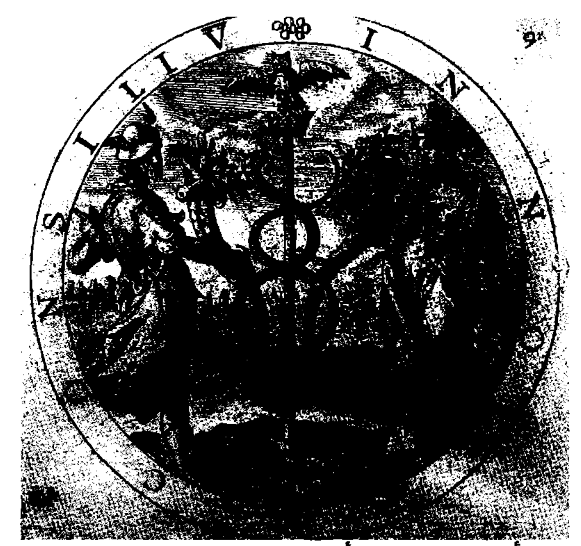
1- Guillaume de la Perrière, Morosophie (Lyons, 1553) printed by Macé Bonhomme.

كانت مارجريت دو مونتني أحد اتباع ظاهرة النشر هذه، ويصفها بعضهم أنها كاتبة مناصرة للنسوية أنتجت في عام ١٥٨٤ مصنفاً عن مئة شعار مسيحي[1].
كان أول كتاب شعارات يستخدم نقوشا بارزة بدلاً من الرسومات الخشبية التي كانت دارجة. مكّنت هذه النقوش– التي أنتجها بيير واريوت – من إبداع صوراً أكثر دقة وتفصيل. ضمن هذه النقوش كان هناك مثالاً لافتا للنظر عن رمزية البومة، فيصوّر الطائر حاملاً يداً مبتورة على نهاية عصا طويلة. يصل بهذه اليد إلى قنديل مشتعل محاولاً لمس الزيت الحار الموجود في القنديل بالأصابع الميتة. عنوان الصورة «كذلك أعيش» Sic Vivo. أما التفسير الذي قيل عن هذا المشهد الغريب فكان «لم يغامر البومة الراغب ببعض من الزيت الموجود في القنديل أن يستخدم مخالبه الخاصة». وهذا يرمز إلى الطريقة التي يتخذها الشيطان العاجز عن مواجهة معضلة صعبة مباشرة. فيعمد إلى استخدام أذرع قادة الشر الوحشية ضد البريئين بدلاً من ذلك. ولأن البومة يجب أن يحل محل الشيطان في هذا السيناريو، فإنّ هذا المثال الشعاري للبومة لا بد أن يرجع إلى فكرة البومة الشرير الموجودة في التراث الشعبي.

أنتج عالم من أوكسفورد Oxford يدعى جورج ويذر George Wither في عام ١٦٣٥ كتاب «مجموعة الشعارات، القديمة والمعاصرة» A Collection of Emblemes, Ancient and Moderne,نصوص باللغة الإنجليزية، التحق ويذر بكلية ماجدلين Magdalen، أكسفورد، في عمر السادسة عشرة، وأصبح بعد ذلك مؤلفاً صريحا غزير الإنتاج تعرض للسجن أكثر من مرّة بسبب طريقته في التعبير عن وجهات نظره. يحفل كتاب الشعارات الذي وضعه بناءً على نصائح سديدة كثيرة جاءت على شكل ما يسمّى «العظات الصامتة»، وهي الصور المجازية التي رفعها مع قصائده وتعليقاته الساخرة. صوّر العديد من هذه الصور طائر البومة بأدوار شعارية مختلفة.

1- Georgette de Montenay, from *Emblematum Christianorum ce - turia* ([[AQ place of pub?]]1584).

طائر البومة رمزاً لليل: حفر موجود في «مجموعة الشعارات، القديمة والحديثة، ١٦٣٥» لجورج ويذر.

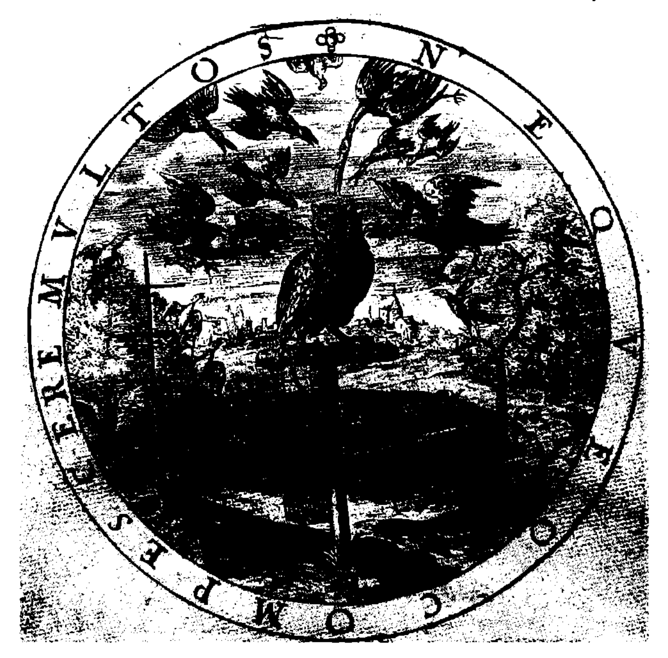


فيظهر أحدها وهو البومة بأجنحة مفرودة يقف على قمة كاديوسيوس Caduceus؛ وهي عصا على شكل أفعى ملتفة حول نفسها أصبحت فيما بعد رمزاً للطب[1]. ويقف ميركوري Mercury وبالاّس Pallas على الجانبين، يحمل كل منهما قرن الخصب Cornucopia. يرمز البومة في هذا السياق إلى الليل، أما التعليق الذي رافق الصورة فكان: «قبل أن تجلب أعمالك إلى النور، تفحصهم في الليل». بمعنى أن تفكّر جيداً بما تقول قبل أن تهرع إلى المطبعة. ويشير المؤلف أسفل الصورة أن قرن الخصب يدل على الثروة التي تخلقها» المراقبة المجدّة التي يمثلها هنا طائر أثينا». ويختم بالكلمات التالية «الليل أفضل وقت للتأمل في غاياتنا ... ذلك أننا خارج العالم- عندما تكون رؤيتنا بأفضل حالاتها- عندها- نضحي عُمياً داخل العالم».

تعد فكرة البومة التي تصوّره مخلوق الليل الحالك الذي لا يزعجه فوضى

1- George Wither, *A Collection of Emblemes, Ancient and Moderne* (London, 1635), Bk 1, illus. ix, p. 9.

النهار الجنونية، لذلك فهو يملك الوقت الكافي للتفكُّر والتأمُّل، فكرة مثيرة لأنها قد توصلنا جزئياً إلى فهم البومة الذي يرمز للحكمة. فمن الممكن أن يرتكز التفسير ببساطة على الشبه بين رأس الطائر ورأس الإنسان، ولكن قد تكون يقظته في وقت يتمكن فيه من تفادي تهديدات واضطرابات النهار تفسيراً لهذه الفكرة. يرمز طائر بومة شعاري آخر في مجموعة ويذر إلى العشق الإنجليزي للشفة العليا المتصلبة[1]. يمثل البومة هنا الاطمئنان والهدوء في وجه الصخب. تظهر الصورة بومة يجلس بهدوء على مجثم في حين تحاول حشود طيور غضبى أن تقلقه، ويعلمنا التعليق أن «أفضل طريقة لتهدئة الحشود الصاخبة، عندما نتمكن من صون ألسنتنا». ويستطرد المؤلف في هذا المغزى بالقصيدة المصاحبة:

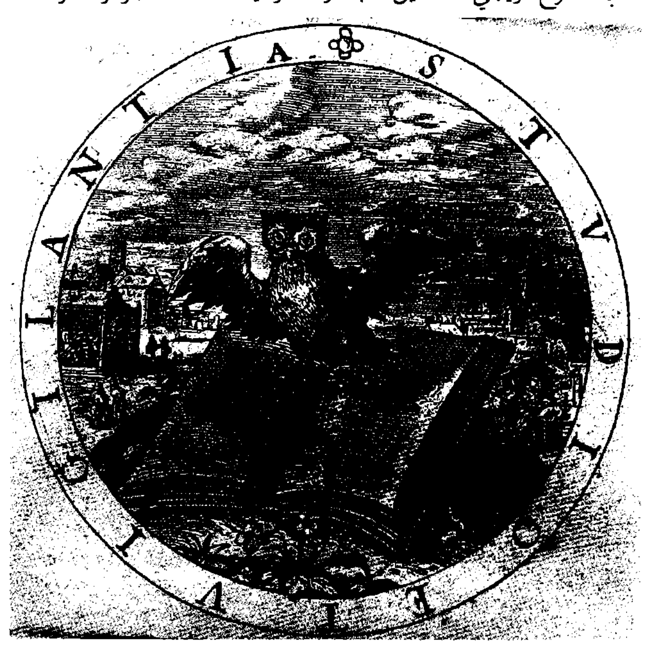


البومة رمزاً للهدوء، من مجموعة ويذرwither للشعارات.

1- *Ibid.*, Bk 2, illus. i, p. 63.

عندما أرقب البوم الحزينة،
متأملاً بالصبر الذي يحملونه
من بين الكثير من الطيور العظيمة الصاخبة،
وكيف يزدرون الطيور الصغيرة المسقسقة...
فأتعلم عندما أفكر بنموذجهم
أن أتحايل على الوشاة ذي الألسنة المؤذية؛
وأن لا أكترث لسخريات العذّال،
وأن أتناسى أخطائي بإهمال جسور.

ويصوِّر شعار بومة ثالث البومة رمزاً للحكمة والتعلم. فيظهره واقفا فوق كتاب مفتوح، ويجيء التعليق: «بالدراسة واليقظة، تمتلك جوهر المعرفة»[1].



طائر البومة رمزاً للحكمة، من مجموعة ويذر للشعارات.

1- *Ibid.*, Bk 2, illus. xvii, p. 79.

أما القصيدة في أسفل الشعار فهي مناشدة مطوّلة للطلاب ليتفادوا الشهوة الجنسية، وشهوات الطعام غير الشرعية، والسكر. وإذا أخفق الطلبة في فعل ذلك، يختتم قائلا «أنتم لستم ما توحي به بومة أثينا، لكنكم ما ترمز إليه بويمتنا الإنجليزية». ليس من الغرابة أن نجد بومة اثينا يُقَّدم في مجموعة ويذر بوصفها رمزاً للحكمة، ولكن ليس من الواضح البتة لمَ اختيرت البويمة الإنجليزية المسكينة لتمثّل معاقر خمر شهواني، خارج عن القانون.

شعار ويذر البومة الرابع يقدم صورة كئيبة جدا يقف فيه طائر البومة على جمجمة بشرية[1]. أما التعليق الموجود فوقه، فيفيد «بينما أنت هنا تتمتع بنفسك، أكمل تأملك بموتك»، يتضخم البومة في هذا المغزى، فهو يحذّر القارئ من تأجيل عمل اليوم إلى الغد؛ لأن أعمارنا على الأرض محدودة جداً. فيؤدي



البومة رمزاً للفناء، من مجموعة ويذر للشعارات.

1- *Ibid.*, Bk 3, illus. xxxiv, p. 168.

شعار البومة السمراء على شكل بومة، دبوس برونزي ارتدته المرشدات الإنجليزيات بين عامي ١٩١٩ و ١٩٦٦.



البومة هنا دور طائر الليل الحزين الذي يسكن المقابر ويرتبط بالموت.

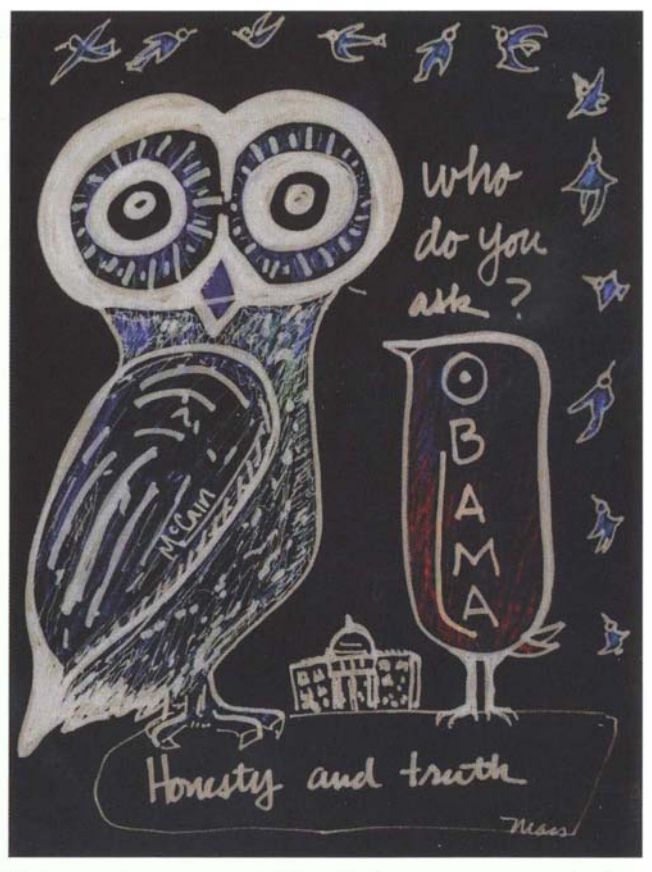
إذا قفزنا بالزمن إلى الإمام فإننا نأتي إلى نوع مختلف من شعار البومة، وهو شعار كانت ترتديه قائدة مرشدات الكشافة. فقد تأسست حركة المرشدات البنات- وهي المقابل الأنثوي للأولاد الكشافة- في عام ١٩١٠، وقد اتضح بعد وقت قصير أن الفتيات صغار السن (٧-١٠ سنوات) يرغبن بالانضمام أيضاً؛ لذا فقد احتجن لتأسيس منظمات منفصلة تناسب أعمارهن. وقد اصطلح على تسميتهن حرموزيات Brownies على اسم الأطفال الذين وردوا في قصة جوليان هوراشا أوينج Julian Horatia Ewing التي كُتبت في عام ١٨٧٠. انطلقت حركة الحرموزيات رسمياً في عام ١٩١٤، وقد كانت تسمى قائدة مجموعة الحرموزيات الراشدة البومة السمراء Brown Owl، كانت تضع شعار خاص، دبوس ضابط صف البومة السمراء للبنات، التي تُظهر رأس بومة سمراء بفتحتي أذنين طويلتين محنيتين. أصبحت بواكير أمثلة هذه الدبابيس التي تتخذ شكل البومة مواداً لهواة جمع الشعارات. توضّح رقعة دثار البومة السمراء بشيء من التفصيل ما هي الصفات المتوقعة

من البومة السمراء؟ نقرأ في القصيدة التي تحدِّق فيها بومة صغيرة بشيء من تعابير الذهول في كلماتها، شجاعة، وموثوقة، ومنظّمة ورائعة، ولطيفة، ومنفتحة، وحكيمة، ومحبوبة. إذا ما نظرنا إلى البومة الفاضل من ناحية رمزية فإن هذا يترك لدينا انطباعاً كبيراً. فقد كانت جماعة البومة السمراء تتلقى أحياناً مساعدة من أفراد يُعرفون بجماعة البومة السمراء المصفَّرة أو البومة الثلجية. عندما كانوا يسألون عن سبب تسمية قادتهم بالبوم، أجابت إحدى البرونيات: «بسبب قصة البرونية. فقد ذهب تومي Tommy وبيتي Betty إلى البومة الحكيمة في الغابة وقد أرشدهما فعلاً إلى الشيء الصحيح».

ما زالت البومة تستخدم شعاراً في الزمن الراهن، إلا أن التفكير في اختيارها رمزاً مناسباً أضحى أقل دقة. فعلى سبيل المثال، تنصب شركة تعمل في تركيب أضواء غاز النيون Neon بومة ضخم على قمة بناية في منطقة افينجوادا داياجونال Avinguada Diagonal عند نقطة التقائها مع باسيج دوسانت جون Passeige De Sant Joan. كانت الفكرة ببساطة استخدام شدة تحديق عيون البومة طريقة للدعاية لإضاءتهم بغاز النيون. عندما وضع البومة ابتداءً كان يبعث من عينيه دوائر ضوئية تشجع على النوم طوال الليل. أوقف تأثير هذا الضوء في عام ٢٠٠٣ -ربما لأنه كان يرهب الكتالانيين الليليين- إلا أن الطائر بقي في مكانه، أحد أكبر صور البومة في العالم.

قُدِّم طائر البومة الشعاري في حقل السياسة بوصفه مغزىً هامشيا في الصراع الانتخابي بين ماكين وأوباما Mccain/ Obama في عام ٢٠٠٨. أبدع فنان خارجي يدعى أندرو ماس Andrew Mass تمثال بومة ماكين العجوز لينافس تمثال العصفور الأزرق لأوباما الرياضي. بوضعه الطائرين على غصن يسمى الأمانة والحقيقة، فهو يدعوك أن تختار بين حكمة ماكين العجوز البومة وبين حيوية أوباما الطائر الأزرق الشاب العصري.

وظفت ثلاث مناطق على الأقل في العالم البومة شعاراً رسمياً لها. ففي



أوباما ضد ماكيين بريشة اندروماس، فنان مستقل، الينوي، ٢٠٠٨ يجمع هذا المخطط الرسمي ماكيين البومة العجوز وأوباما الطائر الأزرق جنباً إلى جنب، كلاهما ينتصب على إيصال الأمانة والحقيقة.

كندا تبنّت مقاطعة مانيتوبا Manitoba البومة الرمادي العظيم Strix Nebulsa شعارها الرسمي في السادس عشر من تموز لعام ١٩٨٧. بعد مرور عام تقريبا على وجود البومة الرمادي العظيم في المقاطعة أصبح ممكنا مشاهدته على طول الغابة المتداخلة، وغابات الصنوبر الموجودة في المقاطعة.

وإذا ما اتجهنا أكثر نحو الغرب، نجد أن مقاطعة البيرتا Alberta قد اختارت البومة أيضاً شعاراً رسمياً لها، ولكنه البومة المقرّن Bubo

virginianus، كان شعارها للنبالة في الأصل ترساً، منحهم تصميمه الملك إدوارد السابع Edward VII، لكن طلاب مدارس المقاطعة اختاروا شعاراً إضافياً في عام ١٩٧٧. فقد صوّتوا لاختيار البومة طائرهم الرسمي، وقد صادق المجلس التشريعي على اختيارهم بناءً على أنه «طائر واسع الحيلة وسريع التكيّف، فقد لخصّ البومة المقرّن العظيم أفضل شيم شعب البيرتا في الماضي والحاضر». أصبح البومة نسخة لطائر البومة من انتاج ديزني Disney تسمى وجي البومة Wugie the Owl جالب الحظ الرياضي في ادمونتون Edmoton عاصمة المقاطعة. يرمز وجي إلى ألعاب الجامعة العالمية في ادمونتون. وقد اختارت الجمعية الوطنية لمقاطعة كيوبيك Quebec في شرق كندا البومة طائرها الرسمي أيضاً. في حالتهم وقع اختيارهم على البومة الثلجية Nyctea Scandiaca، وهو نوع ملائم لتمثيل الأقفار الثلجية في شمال منطقتهم. كما حدث في مانيتوبا، فقد تم اختيارهم في عام ١٩٨٧ عندما كان هناك حركة وطنية كبيرة لتعزيز جودة البيئة وإنقاذ الأنواع البرية.

تبنّت العديد من الفرق الرياضية البومة حيوانهم الجالب للحظ. ففي الولايات المتحدة تسمى فرق جامعة تيمبل Temple في فيلادلفيا Philadelphia بوم تيمبل. يرجع هذا الاسم إلى بدايات تيمبل، عندما كانت مدرسة ليلية، يبدو جلياً من الشعار أن صفة الطائر التي يؤكدون عليها ليست حكمته بل ضربته الصاعقة. يظهر الطائر وهو يُغير إلى الأسفل، وتعلو جبهته تكشيرة غاضبة، ومنقاره الحاد مفتوح، ومخالبه الهائلة جاهزة لخطف فريسته، من سوء الحظ أن الفنان الذي صمّم الشعار لم يتسنَ له معرفة بومه جيداً، لذا فقد أعطى الطائر قدمي نسر، وثلاثة أصابع قدم تشير للأمام وواحد للخلف، بدلاً من وضعية البومة النمطية، إصبعين للأمام واثنين للخلف Zygodactylons. وقد وظّف البومة في أمريكا أيضاً، فقد اختار عالم هوكي Hockey الثلجي العالمي للمحترفين البومة شعاراً له. فقد لعب بوم كولومبوس Columbus Owls في فيرجراوندز في كولسيم Coliseum في فيرجراوندز جامعة أوهايو



وجي البومة، جالب الحظ الرياضي لإدمونتون، البيرتا، لبطولة ألعاب الجامعة العالمية لعام ١٩٨٣ التي نظمها الاتحاد الدولي الرياضي للجامعات FISU.

الحكومية Ohio State الموسمية في كولومبوس في اوهايو حتى عام ١٩٧٧، عندما انتقلوا إلى دايتون Dayton في اوهايو، وأصبحوا يسمّون بوم دايتون، محتفظين بشعار البومة نفسه، ثم انتقلوا بعد ذلك ليصبح اسمهم البومِ السريع العظيم Grand Rapids Owls حتى عام ١٩٨٠ عندما انحلّ فريقهم نهائيا. وقد حاول شعارهم البومة البقاء حتى في ذلك الظرف، فقد تبنّى نادي هوكي شهارهم البوم السريع العظيم للصغار عندما طلب مالكوا هذا النادي إذناً لاستخدام اسم البوم وشعاره، وحصلوافعلا على هذا الإذن. وهذا مثال على شعار فاق نجاحه نجاح النوادي التي مثّلها.



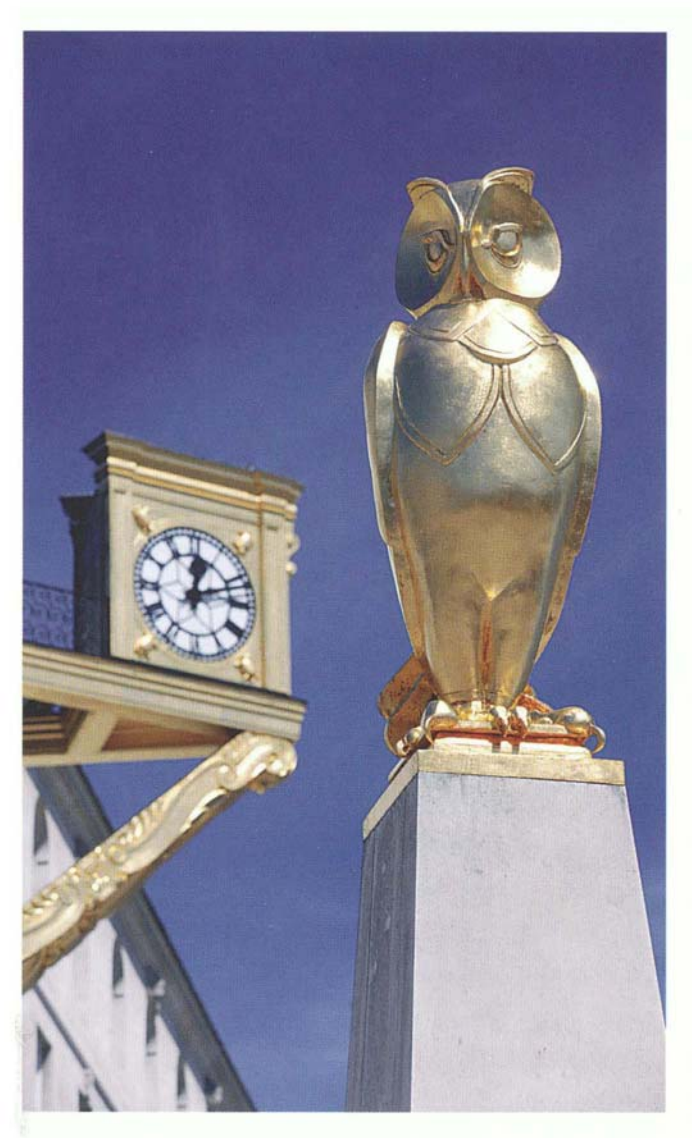
بوم تيمبل، الشعار الرياضي لجامعة تيمبل، فيلادلفيا.

أما في إنجلترا فيعدُّ نادي شيفيلد وينزدي لكرة قدم Sheffield Wednesday، Football Club مثالاً على نادٍ رياضي اتخذ البومة شعاراً رسمياً له، علماً أنه تأسس في ١٨٦٧. أصبح الفريقُ محترفاً بعد عشرين عاماً، أما لقبهم المستعار فكان الشفرات Blades، لأن مدينة شيفيلد كانت تشتهر بصناعة السكاكين. بعد ذلك، وفي بداية القرن العشرين، قدم لهم أحد لاعبيهم جالب حظ على شكل بومة ليشرِّف ملعبهم في أوليرتون Owlerton، وقد عُرفوا منذ تلك الحادثة بالبوم. (استحوذ أندادهم في فريق شيفيلد المتحد على اسم الشفرات المستعار الذي كان أصلاً لفريق شيفيلد). ظهرت أول شارة للنادي تحمل شعارهم الجديد طائر بومة صغير مغرق في الحياء يجثم فوق شجرة، إلا أن هذا الطائر الحيي قد استُبدل في هذه الأيام بآخر له نظرات أكثر قوة وعنفواناً؛ من الواضح أنه يرتكز على صورة البومة المصرية المسمارية التي تُظهر جسد الطائر بوضعية جانبية ويرتد رأسه كله لمواجهة الناظر وجهاً لوجه.



شعار بوم كرة القدم لنادي شيفليد وينزدي لكرة قدم.

تبنى نادي كرة قدم إنجليزي شمالي آخر البوم شعاراً له، لكن لمدة قصيرة. فقد استعار فريق ليدز يونايتد Leeds United البومة من شعار المدينة التي تُظهر ثلاثة بوم، اثنان منهما يرتديان تويجاً. شعار المدينة ذاته كان مستمد من شعار عائلة سير جون سافيل أول حاكم لمقاطعة ليدز. على الرغم من أن شعار البومة لنادي كرة القدم لم يدم طويلاً (ربما حجبه بومة شيفيلد) فقد بقي بومة



البومة الذهبي: نصب بومة مدينة ليدز.


بوم النبالة: من شعار مجلس مدينة ليدز.


صغار ثلج نجانو: شعار اليابان في الأولمبياد.

المدينة شعار الفخر لليدز حتى يومنا هذا، وهناك نصب لطائر بومة رائع خارج مكاتب المدينة في وسطها. ويملك نادي كرة قدم إنجليزي شمالي آخر طائر البومة شعاراً له، مثل نادي ليدز، أخذ نادي اولدهام Oldham الرياضي بومته من الشعار المحلي، ولكنه لم يستخدم البوم اسماً مستعاراً له احتراماً لمشجعي نادي شيفيلد وينزدي. يعد بومة اولدهام مرجعية (موارية) أو تورية للفظ القديم لاسم البلدة الذي يبتدئ بلفظة بومة Owldham.

احتاجت سلوفينيا Slovenia – البلد الذي نال استقلاله مؤخراً في ١٩٩١- إلى تمثال جلب حظ جديد ليساعدها في منافستها لاستضافة بطولة يونيفرسيد Universiade الشتوية التي ستجري في عام ٢٠١٣. اختير البومة، أو عينان ومنقار البومة المصممتان بأسلوبية عالية. لقد اختير البومة لأسباب عديدة: لأنه يمثّل المعرفة والذكاء، ولأن تحليقه صامت وأنيق، ولأنه منتشر في غابات سلوفينيا وفي بلداتها، و- لسبب أشد سحراً- لأنه طائر ليلي، وهذا يعكس أن يونيفرسيد حدث رياضي لا ينتهي مع غروب الشمس ولكن يستمر إلى ليالي الاجتماع والمعاشرة.

هناك المزيد من البوم الرياضية في أرجاء المعمورة، ففي منطقة بودولسك Podolsk في أطراف موسكو Moscow يوجد طائر بومة يرتدي زي اللاعب المدافع في لعبة الهوكي على الجليد، إلا أن صفات البومة قد طُمست تقريباً. وصف ناقد فريق ناجانو صغار الثلج Nagano Snowlers الياباني- مجموعة من أربع بومات رضيعات- أنه أسوأ جالب حظ في تاريخ الألعاب الأولومبية. فقد كان لون أحد البويمات أزرق بنفسجي، وكان لون آخر أخضر برتقالي، ولون ثالث أزرق وأخضر، أما الرابع فكان لونه بنفسجي وبرتقالي. كانت فراخ البوم الأربعة تملك عيوناً صفراء مشعة و-لولا أرجلهم الطويلة النحيلة- لكانوا مناسبين في حلبات مصارعة السومو أكثر من الملاعب الرياضية.

يتميز الشكل الأساسي للبومة بطابع أيقوني يؤهله أن يُستخدم شعاراً بطرائق كثيرة مختلفة. يمكن لبحث مستفيض، يطال كل بلد أن يكشف

النقاب عن مئات البوم الشعارية، ليس في النوادي الرياضية حسب، بل في النوادي الليلية والمتاجر، والمحلات، والأعمال. حلّت صور التجارة الحديثة الخام البسيطة محل شعارات البوم المفّزة للفكر والمعقدة التي سادت في العصور القديمة. يمكن لهذه الطيور البرية الساحرة الجديرة باحترامنا وحمايتنا أن ترى منزلتها الرفيعة اليوم، ولكن عند وضعها في شعارات لا بد أن نقرّ أنّ شيئاً مهماً قد فُقِد.

6. البوم الأدبية LITERARY OWLS

حط البوم في كثير من الصفحات، منذ قصص الحيوان القديمة إلى كتابات إدوارد لير[١] Edward Lear، وأ. أ. ملن[٢] A. A. Milne وجيمس ثيربر[٣] James Thurber الهزلية. برز طائر البومة الأدبي في بداية ظهوره مرتين في قصص إيسوب[٤] Aesop الحيوانية التي كُتبت في القرن السادس قبل الميلاد، كان إيسوب عبدا يروي القصص في اليونان القديمة، واستخدم حكايات الحيوان ليصوغ دروساً وعبراً. تناولت أول قصة عن البومة - «طائر البومة والطيور»- الطريقة التي تتجاهل الطيور العادية فيها التحذيرات الحكيمة التي كان يطلقها البومة. بعد ذلك، عندما ثبت خطأها وثبت صدق البومة، حضرت عنده طالبين لآلئ الحكمة، إلا أن البومة بقي واجماً و«أحجم عن تقديم النصح لهم، إلا انه عندما يختلي بنفسه كان يرثي حمقهم الماضي».

ينزعج البومة في الحكاية الثانية، «البومة والجندب»، الذي يحاول أن يخلد للنوم في النهار من سقسقة الجندب التي لا تنقطع. وقد رفض الجندب طلبات البومة التزام الهدوء والسلام، لذا اضطر البومة إلى حياكة حيلة، مخاطبا

١- رسام وشاعر إنجليزي (١٨١٢-١٨٨٨). اشتهر بلمريكيّاته Limericks وهي مقطّعات شعرية هزلية، تعكس في كثير من الأحيان كآبة دفينة. من أشهر آثاره كتاب الهراء وغنائيات مضحكة: (المترجم).

٢- آلان ألكسندر ملن Alan Alexander Milne (١٨٨٢-١٩٥٦) شاعر وروائي وكاتب مسرحي إنكليزي. اشتهر بروايته البوليسية لغز المنزل الأحمر. وضع عددا من الكوميديات الخفيفة أهمها كوميديا ميخائيل وماري: (المترجم).

٣- جيمس غروفر ثيربر James Grover Thurber(١٨٩٤-١٩٦١) كاتب ورسام كاريكاتوري أمريكي. صوّر في كتاباته ورسوماته إنسان المدينة الذي يستشعر الضياع دائما في عالم لم يصنعه وغير قادر على فهمه. من أشهر آثاره كرنفال ثيربر عام ١٩٤٥: (المترجم).

٤- كاتب إغريقي (٦٢٠؟-٥٦٢؟) وضع عددا من الحكايات على ألسنة الحيوان. يظن أن كثيرا من الحكايات المنسوبة إليه منحولة عليه في عهود متأخرة. وفي أغلب الظن أنه شخصية خرافية: (المترجم).

الجندب قائلاً: «بما أنني لا أستطيع النوم بسبب غنائك الذي -صدقني- يشبه عذوبة غناء أبولو[1] Apolo فسوف أدلل نفسي بشرب بعض الرحيق الذي أعطتني إياه بالّاس[2] Pallas مؤخراً. إن كنت ترغب فأقبِلْ عليّ ودعنا نشرب سوية» وجد الجندب أنّ العرض لا يمكن رفضه، فطار عالياً، ولكنه قتل فورا وأكله البومة الذي بوسعه أن يستمتع الآن بنوم هادئ. أما العبرة المستفادة من هذه الحكاية فهي أن المديح لا يعني أنك محبوب.

أضيف الكثير من القصص لهاتين الحكايتين عن البومة عبر القرون. إحدى أقدم هذه القصص جاءت من مجموعة بانكاتانترا Panchatantra، وهي مجموعة قصص هندية عن الحيوان مكتوبة شعراً ونثراً تسمى أحياناً «قصص بيدباي» Fables of Bidpai. لقد فُقِّد النص الأصلي منذ زمن بعيد إلا أن الاعتقاد السائد أن هذه المجموعة كُتبت في بدايات القرن الثالث بعد الميلاد. في الحكاية التي تسرد تتويج البومة تتجمّع حيوانات الغابة كلها لتشتكي أنّ مليكهم، جارودا Garuda الإله الطير العظيم، لم يعد يتحمّل مسؤولياته تجاهها. فقد أضحى مسكونا بخدمة فيسنو Visnu إلى درجة أشعرت الطيور بالإهمال والرغبة في انتخاب ملكاً جديداً يرعى شؤونهم بشكل أفضل. بدا أن البومة -الحكيم الجليل- هو الاختيار الواضح، لذا اجتمعت الطيور لتتويجه. فزينت عرشه بالأوراق، والزهور، وجلود الحيوانات، ونظمّت أغاني مديح تلقيها الوصيفات، وأن تُعزف موسيقى الاحتفال أثناء اعتلاء البومة للمكان الذي سيتوّج فيه.

أثناء جلوس الطائر المكرّم على عرشه منتظراً المراسم حدثت مقاطعة. حطّ غراب أجش قرب العرش محدثا ضجة كبيرة طالباً أن يعرف ما الذي كان يدور هناك. أخذت الطيور الأخرى -التي ما زالت غير واثقة من اختيارها للبومة ملكاً جديداً لها- بنصيحة الغراب. فقد كان -في النهاية- طائراً ذكياً جداً، ولا يمكن تجاهل رأيه. عندما أخبرت الطيور الغراب عن التتويج الوشيك ضحك

١- إله الموسيقى والشعر والطب والجمال الرجولي عند الإغريق: (المترجم).

٢- بالّاس أثينا. إلهة أثينا، إلهة الحكمة والفنون والحرف النسويّة عند الإغريق: (المترجم).

الطائر الأسود العظيم مستنكراً. رافضا الفكرة محتجاً أن طائر البومة يصاب بالعمى في النهار ولا يتمكن من الحكم في هذا الوقت. وأشار أيضاً أنه نظراً لقدرة البومة على الرؤية ليلا، وتعجز بقية الطيور عن ذلك، فإنَّ هذا يضعها جميعاً تحت رحمته في ساعات الليل الحالك. فضلا عن ذلك، فإن جارودا لن يُسرَّ بهذا التطوّر. فقد كانت فكرة وجود ملكين في الوقت ذاته فكرة في غاية السوء، وبما أن جارودا قد اصطنع لنفســه اسماً ويملك تأثيراً كبيراً، فمن الأفضل أن ندعه يحكم منفرداً.

فقدت الطيور أعصابها بعد إصغائها لهذا، وقررت أنها -في النهاية- ربما اقترفت خطأً كبيراً. لذا تفرَّقت الطيور بصمت في غفلة من البومة الذي ألمَّ به العمى بسبب وهج ضوء النهار الشديد. بعد تأخير كبيرٍ شعر البومة أن شيئاً خطأً قد حدث، وطلب أن يعرف سبب توقف المراسم. أخبر أن الجميع غادروا؛ لأن الغراب قاطع الفعاليات. لم يبقَ سوى الغراب الذي التفت إليه البومة وأخبره بلهجة غير واثقة أنه من الآن فصاعداً سيكون البوم والغربان أعداء لدودين، وأنّ هذا الكره سيبقى إلى الأبد. بعد هذا الثوَران، ذهب البومة غضبان وترك الغراب مفكرا بالذي صنعه. لقد أخبر الحقيقة كما رآها، لكنه بذلك خلق عداءً غير مرغوب وغير ضروري طوال حياته. لم يكن البومة مؤذياً، إلا أن الغراب قد حرّك من غير دراية غضباً دون سبب مقنع. شعر أنه تصرّف بغباء وندم على سلوكه الأهوج. قد يكون محقاً، لكن قول الحقيقة كلّفه غالياً.

تبدو رمزية البومة والغراب محيِّرة في هذه القصة الطويلة. فالبومة الحكيم، يبدو تافهاً ويمتلك قوى محدودة، بينما يظهر الغراب جاداً ذكياً، لكنه متسرعاً يفتقد لأدنى درجات اللباقة. انتهى الأمر بالاثنين خاسرين. يبدو أن العبرة أن الإنسان صاحب الإمكانات المتواضعة لا بد أن يتقبل مَناقِصهُ، وعلى الإنسان حاد الذهن أن يتعلم بعض المهارات الاجتماعية.

جمع الشاعر الفرنسي لافونتين[1] La fontaine في القرن السابع عشر،

١ - جان دو لافونتين Jean la fontaine (١٦٢١-١٦٩٥) شاعر فرنسي. اشتهر بمجموعته

هذه الحكايات الحيوانية القديمة ووضعها في مصنف بتصرَف - بعها بأسلوبه، وأضاف بعض القصص من إبداعه الخاص. ففي «طائر البومة والنسر» يخبرنا عن معاهدة صداقة بين هذين الطائرين العظيمين. فقد اتفقا بعد أن كانا أعداء لدودين أن لا يهاجم أحدهما فراخ الآخر. إلا أن المشكلة الوحيدة الباقية: كيف لهما أن يتعرفا عليها؟ أخبر البومة النسر أن حالته سهلة ذلك أن فراخه في غاية الجمال، «لهم شكل جميل ولطيف، وتملكان عيونا جميلة متلألئة».

في يوم من الأيام -بعد ذلك- صادف النسر عش فراخ البومة، وقرّر بعد أن أمعن النظر بها أنها «وحوش صغيرة مقيتة، لا يصلحون إلا لصدمة الآخرين». لذا فمن غير المعقول أن تكون فراخ صديقه والتهمها جميعاً فورا. عندما اكتشف البومة الذي حدث ثارت ثائرته وطالب بعقاب النسر لخرقه معاهدتهما. ولكن أشير إليه أنه هو الملام لمبالغته في وصف جمال فراخه. العبرة من هذه الحكاية أن الأطفال يبدون جميلين دائما في عيون آبائهم ولكن ليس بالضرورة في أعين الآخرين.

أخذ المؤلف جون غاي John Gay[1] في القرن الثامن عشر، على عاتقه سرد حكايات الحيوان، ونشر في عام ١٧٢٧ كتاب «واحد وخمسون حكاية حيوان شعراً» (Fifty-one Fables in Verse). في إحدى هذه الحكايات يندب بومان عجوزان كثيراً الشكوى من حقيقة أنهما لم يعودا يُعاملا باحترام كافٍ، كما أسلافهم في ماضي أثينا القديمة:

أثينا، مقعد شهرة المتعلمين،

بصوت عام بجّلت اسمنا؛

على لقب الجدارة تشاورت،

الخالدة «حكايات رمزية مختارة موضوعة شعرا على ألسنة الحيوان» تقع في مئتين وأربعين قصيدة قصصية تُعد من روائع الأدب الفرنسي: (المترجم).

١ - شاعر وكاتب مسرحي إنجليزي(١٦٨٥-١٧٣٢) تمتع في عصره بمكانة مرموقة، ثم تضاءل شأنه في القرن التاسع عشر، فلم يذكر إلا بحكاياته الموضوعة على ألسنة الحيوان. ولكنّ النقاد ما لبثوا أن اكتشفوا شاعريته ذات الجوانب المتعددة في منتصف القرن العشرين. أشهر آثاره المسرحية أوبرا الشحاذ، قصد منها تصوير التفسخ الأخلاقي في المجتمع الإنجليزي: (المترجم).

والكل بجَّل طائر أثنيا.

... لكن الآن، يا للأسف! أصبحنا مهملين،

وأصبح عصفوراً سليطا أكثر احتراماً

عندما سمع العصفور هذا العويل الحنيني، رد هجوم البومين العجوزين بانتقاد أن الطيور عرفت الآن أن المناظر يمكن أن تكون خداعة، وأن كون البومان يبدوان حكيمان وضعيفان لا يعني أن هذا هو الواقع. وأردف قائلاً أنه لو ركزّا على الشيء الذي يجيدانه -صيد الفئران تحديداً- فسوف يحتفي المزارعون بهما، وسيحظيان باحترام حقيقي من أجل جهودهما، لا احتراماً زائفاً لمظهرهما.

عالجت حكاية حيوان أخرى شاعت في القرن الثامن عشر بومة شاب تافه كان يشعر أنه وسيم جداً لذلك لن يقبل سوى ابنة النسر عروساً له. عندما سمع النسر بهذا، تعامل مع الاقتراح باحتقار، لكنه أعرب عن موافقته إذا قابله البومة في الغد، عند شروق الشمس، في أعالي السماء. قبل البومة الشاب المخدوع بهذا، ولكن عندما أزف الموعد شعر بنفسه مجهوراً من شدة وهج أشعة شمس الصباح لدرجة شعر بها بالدواخ، وسقط على الأرض. حاطّاً على بعض الصخور فهاجمه حشدٌ من طيور النهار فورا. العبرة من وراء هذه القصة أن الطموح الذي تعوزه الموهبة ينتهي بالعار والذل.

وتحدثنا قصة حيوانات روسية من القرن التاسع عشر عن حمار أعمى وجد نفسه عالقاً في دَغَل لم يستطع الفرار. عندما حلّ الليل أرشده بومة إلى بر الأمان. شعر الحمار بالامتنان الشديد وناشد البومة أن يرافقه إلى كل مكان. وافق البومة واستمتع برفاهية الجلوس على ظهر الحمار، لكن بعد ذلك حلّ النهار ولم يعد البومة قادراً على رؤية الطريق بشكل واضح. فقد أضلّ الحمار ووقعا معاً في وَهَد ضيِّق. تركِّز هذه الحكاية أيضاً على مهارات البومة المحدودة، والعبرة هي أن يكون شخصٌ ألمعيا في شيء ما لا يعني بالضرورة أن يكون كذلك في شيء آخر.

استلهمت قصيدة تحمل -ببساطة- عنوان «البومة» مغزى أن البومة يكون رائعاً في الليل حسب، وقد كتبها الشاعر الإنجليزي الفيكتوري بريان وولر بروكتر Bryan Waller Proctor، ١٧٨٧-١٨٧٤، وكان يكتب تحت الاسم المستعار باري كورنول Barry Cornwall، نقرأ في نسخة مختصرة:

في الشجرة الجوفاء، في البرج الرمادي القديم،
كان يسكن طيف بومة؛
مملٌ، وكريه، ومقيت في ساعة أشعة الشمس،
ولكنه في الغسق، كان منطلقاً ونشيطا.
لم يصبح طائر في الغابة شريكاً له يوماً؛
كلها كانت تسخر منه في النهار،
ولكن في الليل، عندما تصبح الغابة ساكنة وخافتة الضوء،
أجسر الحيوانات ينكمش مبتعداً.
آه، عندما يقبل الليل، وتبيت الطيور،
عندها، عندها يحل حكم البومة المقرّن!
آه، عندما يشع الليل وتنبح الكلاب،
عندها، عندها تنطلق صيحة البومة المقرّن!
فللبومة نصيبه من الخبر؛
ولو كان سجيناً في وضح النهار،
فإنه سيد في الغابة الخضراء المظلمة.
لذا حين يخيِّم الظلام وتنبح الكلاب!
غنِّ لحكم البومة المقرَّن!
فإنا لا نعرف دائماً من يكن ملوك النهار،
لكن ملك الليل هو البومة البني الجسور (أسأل عن المرجع)؟

(أسأل: حاصل الإنجاز)، لقد أعدت ترتب هذا النص بشكل طفيف- حسناً؟ بغض النظر عن بابلو بيكاسو، هناك عدد قليل من المشهورين كانوا

البومة أثينا، نموذج مثبت في حاضنة متحف فلورنس نايتنجيل في لندن.



يحتفظون ببومة طائراً مدللاً عندهم. لا يبدو هذا مفاجئاً ذلك ان هذه الطيور لا تلائم أن تكون رفقاء منازل ما لم يكن هؤلاء الناس قد عاشوا مرّة في حظيرة تجتاحها القوارض. حتى لو أصبحت البوم رفقاء للبشر فلن تتقبّل هذه الطيور بسهولة عادة اهتمامات البشر المباشرة بهم بوصفها رفقاء لهم. تعد الممرضة الإنجليزية الشهيرة فلورنس نايتجنجيل Florence Nightingale، أحد الاستثناءات القليلة لهذه القاعدة العامة. فقد كانت في زيارة إلى بارثينون[١]

١- هيكل الإلهة أثينا في مدينة أثينا: (المترجم).

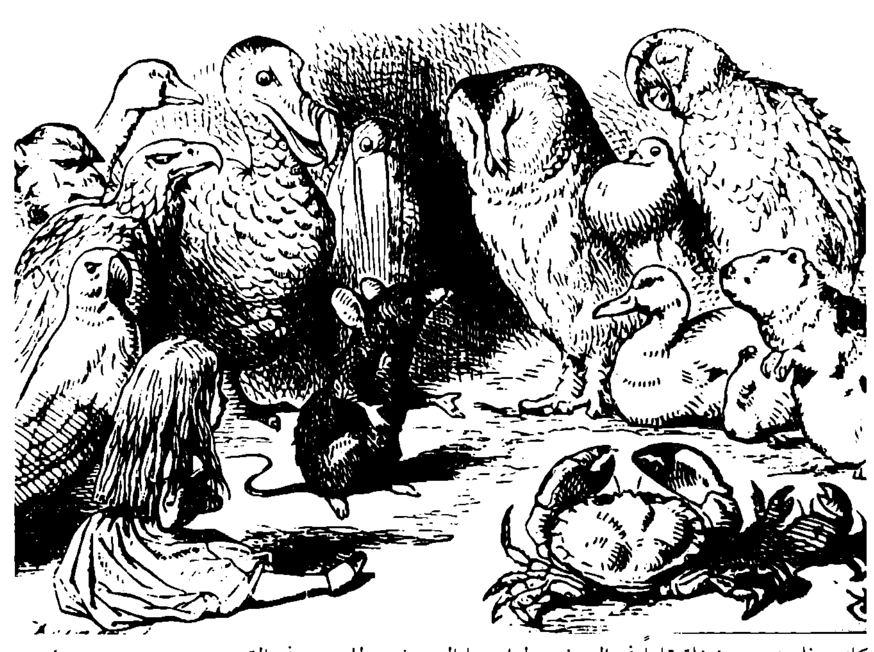
Parthenon في أثينا في حزيران ١٨٥٠، حيث كانت تعشش بوم صغيرة عادة، عندما شعرت بالهلع لرؤية فرخ بومة رضيع يعذبه مجموعة صبية يونانيين. فقد وقع هذا الفرخ من العش وكان بحاجة جلية لمهارات تمريضية كانت فلورنس معروفة بها على نطاق واسع. لقد أنقذته، وأسمته أثينا على اسم الإلهة اليونانية، وتعلّمت كيف تطعمه، كان الفقس الصغير غضاً جداً فطوّر علاقة وثيقة، وارتباطاً مع «السيدة ذات المصباح» وأصبح صديقها المخلص، لدرجة أنه كان يجلس على أصبعها لتطعمه، وتدرب على الولوج للقفص عندما تطلب منه ذلك. بعد فترة، أصبح أثينا رفيقاً حميماً رافق فلورنس نايتنجيل أينما ذهبت، يسافر مستدفئاً في جيبها.

عاجلاً ما أصبح الطائر شهيراً بوصفه علامة تجارية لها، واشتهر بفظاظته



فلورنس نايتنجيل مع بومتها المدلل أثينا، رسم تخطيطي من كتاب أختها عن الطير.

في مهاجمة الزوار بمنقاره الجحاد إذا دنوا منه كثيراً. لكن في عام ١٨٥٥، بينما



البومة والحيوانات الأخرى تصغي للفأر، في رسم جون تنيل المنقوش على الخشب التوضيحي لقصة أليس في بلاد العجائب، ١٨٦٥.

كانت فلورنس منشغلة تماماً في التحضير لواجبها التمريضي للحرب في القرم Crimea، قرّرت عائلتها ترك الطير الصغير في العلية لبرهة من الزمن، معتقدين أنه سيخلّص المكان من الفئران التي كان يعجُّ بها. لسوء الحظ، أصبح البومة أليفاً جداً لدرجة أن جلس وانتظر وجبته القادمة لتقدَّم له. عندما لم يحظَ بالوجبة، هلك جوعاً في اليوم ذاته الذي كان مقرراً فيه أن تغادر فلورنس إلى ساحة الحرب.

عندما علمت بخبر موت مدللها المحبوب فُجعت فلورنس وقرّرت تأجيل مغادرتها ليومين لإعداد الترتيبات اللازمة ليتم تحنيطه على يد خبير، أرسل جسد أثينا إلى محنِّط حيوانات في لندن، وقد نُصب بحذر على هيئة تشبه الحياة. بعد ذلك، بقي في منزل فلورنس ساكناً، إذ أضحى الآن رفيقاً لا يستجيب إلى أن وافتها المنية في عام ١٩١٠. انتقل بعد ذلك لمالكين عدة، حتى جُمع المال اللازم لشرائه وعرضه بشكل دائم في متحف فلورنس نايتنجيل

في مستشفى القديس توماس St. Thomas Hospital في لندن، فبقي هناك إلى يومنا هذا. يُعد عمل ليدي فيرني Lady Verney «حياة وموت أثينا، بومة من بارثينون Life and Death of Athena، an Owlet from «Parthenon»، الذي نشرته على نفقتها الخاصة في عام ١٨٥٥ هدية خاصة لأختها فلورنس نايتنجيل[1]. أحد أشدّ تقديمات القرن التاسع عشر الأدبية المختصة بالبومة غرابة.

أرسلت نسخة من الكتاب المختصر إلى فلورنس على الجبهة [أسأل: «هل كانت منطقة حرب الغرب أفضل»؟، لإشعارها بالهجمة في وقت كانت تعاني فيه من الحمى. وفقاً لما قالته أختها فإن الدموع الوحيدة التي ذرفتها فلورنس في أسبوع الفوضى الذي سبق تأجيلها للرحيل إلى الحرب كانت عندما وُضع جسد البومة الميّت في يديها. «يا الوحش الصغير المسكين»، فقد اشتهرت بإطلاق مثل هذه العبارات «كان غريباً كيف وقعت في حبك».

عندما نُشرت «أليس في بلاد العجائب» للويس كارول[2] lewis Carral في ١٨٦٥، كان الاعتقاد أن يؤدي البومة دوراً محورياً في هذا الخيال الفني للحيوانات، ولكن للأسف لم يؤدِ إلا ظهوراً صامتاً في إحدى رسومات جون تينيل John Tenniel التوضيحية الكلاسيكية[3]. عندما كان يلقي الفأر المعتد بنفسه محاضرة جافة لحضور مبلّل، ضم مستمعوه بومة ضجر كان يغمض عينيه بشدة. عند النقطة التي ذكرت بها أليس –بلا لباقة– مهارات

1 - Lady Parthenope Verney, *Life and Death of Athena, an Owlet from the Parthenon* (privately printed, 1855). Later reissued as *Florence Nightingale's Pet Owl, Athena: A Sentimental History* (San Francisco, 1970) in honour of the 150th anniversary of the birth of Florence Nightingale.

٢ - روائي عالم رياضي إنجليزي (١٨٣٢-١٨٩٨) وضع عددا من الحكايات المعدة للأطفال، فلقيت آثاره نجاحا منقطع النظير. أشهر اعماله «مغامرات أليس في بلاد العجائب: (المترجم).

3- Lewis Carroll, *Alice's Adventures in Wonderland* (London, 1965), illus. to chap. 3.



«البومة والهر» رسم لإدوارد ليرلشعره الهرائي (١٨٧١).

صيد الطيور التي يتمتع بها قطها المدلل، قدمت جميع الطيور الحاضرة أعذاراً وغادرت المكان، وكان هذا آخر مشهد نرى فيه البومة الرائع.

كذلك حظيت هراءات إدوارد لير الشعرية في القرن التاسع عشر بشهرة واسعة لمواربتها الساحرة. لقد عمّرت هذه الأشعار وكانت تنطق أشياء مبهمة، ولا تقدّم أي عِبَر في خواتيمها. بواكير أغنياته الهذائية (١٨٦٧) كانت تُسمى «البومة والهر»، وقد قدمت نوعاً آخر تماماً من البومة. ليس شريراً ولا حكيماً، ليس أبهةً ولا تافهاً، فلم يكن لطائر لبير إلا القليل من صفات البومة التقليدية. نقرأ في أول مقطع شعري:

ذهب البومة والهر إلى البحر
يركبان قارب جميل أخضر من قشرة بازيلاء،
أخذا معهما بعض العسل، وكثيرا من المال،
ولفّا أنفسهما بورقة نقدية من فئة خمسة جنيهات.
نظر البومة إلى النجوم في الأعلى،
أنشد على غيتار صغير،
«عزيزتي الهر! آه يا قطوة يا حبي،
يا لك من قطوة جميلة،
أنت،

أنت!

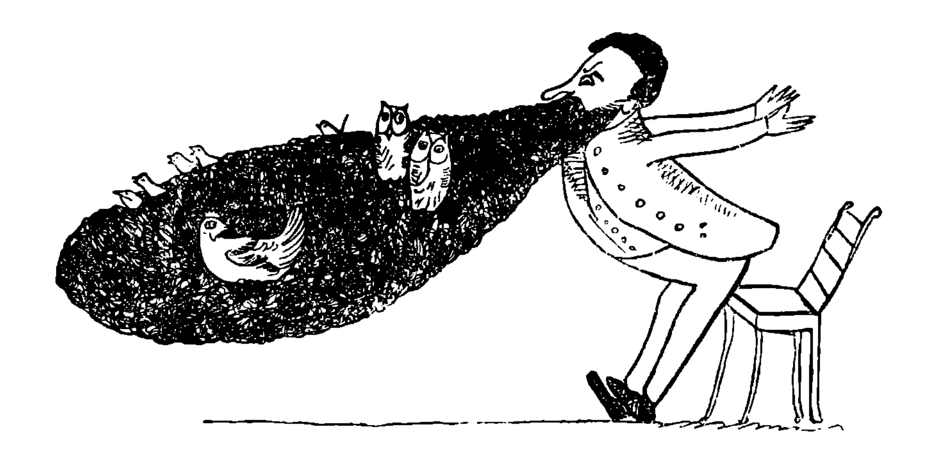
يا لك من قطوة جميل! (أسأل عن المرجع)

تزوج البومة والهر في المقاطع الشعرية المتبقية، وتناولا وجبة دسمة وفي النهاية –كما يليق بحيوانين ليليين ضاريين- رقصا تحت ضوء القمر. ليس ثمة عبرة أو إشارة إلى مزايا البومة الخاصة، سواءً العضوية منها أم الأسطورية. هذه قصيدة شعرية هرائية صريحة كتبت ببساطة لإسعاد طفلة مريضة، هي جانيت سيموندز Janet Symonds ابنة أصدقاء للسَر. على الرغم من هذا، يبقى طائر لير أكثر البوم الأدبية شهرة.

يظهر افتتان إدوارد لير بالبوم جليّاً من خلال عدد المرات التي ضمّن فيها البومة في رسوماته ورسومه التخطيطية. ويعد رسمه الكاريكاتوري للحيته في ١٨٤٦ مثال معروف آخر. فقد كان للير لحية طويلة، وكان يسلّي الأطفال مقترحا أنها كانت كبيرة لدرجة أنهم إنْ حدّقوا بها عن قرب فسوف يجدون طيوراً تعشش داخلها. وقد كتب في ذيل الرسم الكاريكاتوري:

تماماً كما كنت أخشى!

«بوم في لحية»، رسم لإدوارد لير (١٨١٢-١٨٨٨) في عام ١٨٤٦.





يتلقى ويني المتأفف نصيحة من البومة الحكيم العجوز، في رسم لـ أي. ه. شيبارد E. H. Shepard لكتاب أ. أ. مايلن (ويني المتأفف، ١٩٢٦).

بومتان ودجاجة،
أربع قبّرات وصعو،
كلها بَنَت أعشاشها في لحيتي!

في كتاب أ. أ. مايلن A. A. Milne الذي استحوذ على محبة الأطفال «ويني المتأفف»Winnie-the-Pooh، نشر في عام ١٩٢٦، كان البومة- الذي يهجأ اسمه وبمة WOl متحدراً بشكل واضح من بومة أثينا الحكيم. فلم يكن هناك أثر في شخصية وبمه لبومة السحر والشعوذة الشبحي. فقد كان هذا أنيقاً، ومحترماً يعيش في شجرة مجوّفة في «منزل عتيق الطِراز ذي سحر عظيم، كان أفخم من أي بيت آخر، له بوابة أمامية تتحلّى بطرقة ومقبض جرسي. كان عاقلاً ودوداً يلجأ إليه الآخرون لاستشارته في المعضلات الصعبة، وكان يقدّم نصائح قيّمة مستخدماً، خطباً طويلة يصعب على دبٍّ عادي فهما، إلا أن نواياه كانت حسنة، وقد قدّم لقراء ما يلين الصغار. فكرة عن البومة المساعد، والمتعلّم، الذي يشبه الجد شبها طفيفا.

اشتهر الكاتب الأمريكي الساخر جيمس ثيربر James Thurber

برسومه البدائية، والطفولية التي كان يوضح بها كتاباته. فقد أضفت عفوية كتاباته سحراً كان يمكن أن يُفقد لو أنه حاول تحسين أسلوبه. ففي إحدى المناسبات التي حاول بها تعديل أسلوبه، حذّره زميل له قائلاً «إن أفضل شيء فعلته هو كونك عادي ومتوسط».إلا أنّ أشهر بومه رسمه لم يتوافق مع هذا. فقد رسم « البومة الذي كان إلها» لترافق قصة حيوان غريبة -كالعادة- كتبها. على الرغم من أنها استمدت شيئاً من حكاية «تتويج البومة» التي وُضعت في بانكاتانترا في القرن الثالث، إلا أن ثيربر نجح في صبغ القصة بصبغته الخاصة. يمكن تلخيص القصة بالشكل الآتي:

في إحدى الليالي الخالية من النجوم كان بومة يخاطب خُلدين. وبسبب انذهالهما لقدرة البومة على رصدهما في الظلام الشديد، هرعاً مسرعين ليخبرا بقية الحيوانات عن حكمته العظيمة. قرّر الطائر الكاتب (طائر كبير يقتات على الزواحف) أن يفحص الأمر، وطلب من البومة أن يعطيه كلمة بديلة «أعني» namely. «اقصد» قال البومة: «ويزور الحبيبُ صبية؟» سأل الكاتب: «لينوح» قال البومة. لدى تأثره البالغ بمعرفة البومة الواسعة، لم يسع الكاتب إلى إخبار بقية الحيوانات. فقرّرا أن يكون البومة إلهاً، وتبعوه أينما ارتحل. حتى أنهم كانوا يتبعونه عندما -في ذروة الظهر- كان يمشي أسفل الطريق الرئيسي. ولأنه لم يكن قادراً على الإبصار في وهج الشمس لم يلحظ اقتراب شاحنة، فلقي حتفه مع كثير من أتباعه السذج.

كانت العبرة النمطية الغريبة التي يقدمها ثيربر: «بوسعك أن تخدع كثيراً من الناس لفترة زمنية طويلة» (أسأل عن المرجع).

تعد ج. ك. راولنج J. K. Rowling الكاتبة الوحيدة في القرن الواحد والعشرين التي أبرزت البوم في سياق عمل أدبي مهم. ففي عملها الرائع الإحيائي الشهير لموضوع أعمال السحر الذي طواه الزمان-سلسلة هاري بوتر Harry Potter الذي نشر بين ١٩٩٧-٢٠٠٧، ضمّنت الكاتبة تشكيلة من البوم كانت تؤدي دور الرُسل بين عالمها السحري وعالم «العوام»[١]

١- يشار بها إلى الشخص الذي يفتقد لأي قدرة سحرية، ولم يولد في عالم السحر: (المترجم).

العادي muggles. يملك هاري بوتر نفسه بومة ثلجية تدعى هيدويج Hedwig. تؤدي سبعة طيور ذكور في الأفلام المأخوذة عن الروايات دور هيدويج: جيزمو Gizmo، وكاسبر Kasper، وأووبس Oops، وسوبس Swoops، وأوه-أوه Oh-Oh، وإلمو Elmo، وبانديت Bondit. كانت كلها ذكوراً؛ لأن ذكور بوم الثلج أصغر من إناثها، لذا يسهل على الممثل الصغير أن يتعامل معها، وهناك سبعة طيور لأنه -من الواضح- أن البوم المحترفة لها إجازات ولا بد من وجود بدائل لها لتؤدي مكانها. يملك رون Ron صديق هاري بومة أوروأسيوية قِزمة تدعى بيجويدجيون Pigwidgeon، أو بيج Pig اختصاراً. ثمة بوم أخرى عديدة في الروايات تضم بومة نسر أوروآسيوية ضخمة، كانت تملكها عائلة مالفوي Malfoy، وإرول Errol، البومة الرمادي العجوز الذكر العظيم، الذي يخص عائلة ويزلي Weasley، وهو بومة أخرق جدا عادةً ما يصطدم بالأشياء لدى هبوطه إلى الأرض. شعرنا بالثقة أن كل الحوادث العنيفة يقوم بها بومة غبي معوّق.

من السهل الإدعاء، أنه لمن العار رؤية هذه الطيور الرائعة تُجرُّ ثانية إلى الخرافات، وعالم السحرة غير الطبيعي، واللعنات التي كان يفترض اندثارها منذ قرون، لكن ما يحفظ كرامة قصص هاري بوتر أنها موّجهة بشكل واضح ليقرأها الأطفال، خاصة القصص الخيالية الحالمة ولا يجدر أخذها جديًا. لذا لم يحدث أي ضرر، أو -كما يقولون في مدائح هوليود Hollywood. في هذه الأيام -لم يتأذ طائرٌ أثناء صناعة هذه الأفلام.

7- البوم القَبَلِيَّة TRIBAL OWLS

تنتشر الأساطير والخرافات القَبَلِيَّة التي تتناول البوم في أرجاء المعمورة كافة، وتتمثل في قصص نجحت في البقاء وصولاً إلى القرن الحادي والعشرين. ما تزال القبائل المعنية- في بعض الحالات- تتشبث بإصرار بطريقتها التقليدية في الحياة، لكن -حتى عندما يتأقلمون مع أسلوب الحياة الأكثر حداثة- ما زالت حكايات البوم الحكيمة والبوم الساحرة تُروى بإطّراد.

وحتى في أوروبا الحديثة، التي انصهرت القبائل القديمة فيها في أمم أكبر منذ أمد بعيد، يجب على أحدنا أن يخرج إلى المناطق الريفية النائية ليعثر على أساطير حول البومة وطقوس تُعمل وفق مستوى العصور الوسطى تقريباً [أسأل: ألا يتم تذكرهم بالمستوى الذي يُعتقد به في يومنا هذا؟. فمثلا، في ترانسيلفانيا[1] Transylvania، ما زال مزارعون في بعض المناطق يعتقدون أن المشي حول حقولهم عراة سيرهب البوم ويطردها. أما في ويلز Wales، فإن سماع نداء البومة بين المنازل يعني لهم أن فتاة عزباء قد فقدت عذريتها. وفي روسيا يحمل بعض الصيادين تعويذة جلب الحظ على شكل مخالب البومة -إذا قُتلوا- لتتمكن أرواحهم أن تستخدم المخالب لتتسلق إلى الجنة. وفي بولندا إذا توفيت امرأة متزوجة فسوف تتحوّل إلى بومة. وفي فرنسا إذا ما سمعت امرأة حامل صوت بومة، فسوف تنجب طفلة. وفي فرنسا أيضاً، في بوردو Bordeaux، يجب أن تنثر الملح على النار لتتفادى لعنة البومة، بالمقابل إذا رُئي بومة في وقت الحصاد فهذا يعني أن الإنتاج سيكون وافرا. وفي ألمانيا إذا نعب بومة عند مولد طفل، فسوف يعاني الرضيع حياة غير سعيدة. وإذا دخل بومة بيتاً في إيرلندا فيجب أن يُقتل، وإلا سيأخذ حظ البيت معه عندما يغادر. وفي إسبانيا هناك خرافة تقول إنّ البومة كان معتاداً على الغناء بصوت جميل إلى أن رأى المسيح يقضي على الصليب، فلم يستطع بعدها إلا

1- المنطقة الشمالية الغربية لرومانيا، هضبة خصبة مليئة بالأشجار: (المترجم).

أن يصبح كروز Cruz، Cruz وتعني صليب Cross.

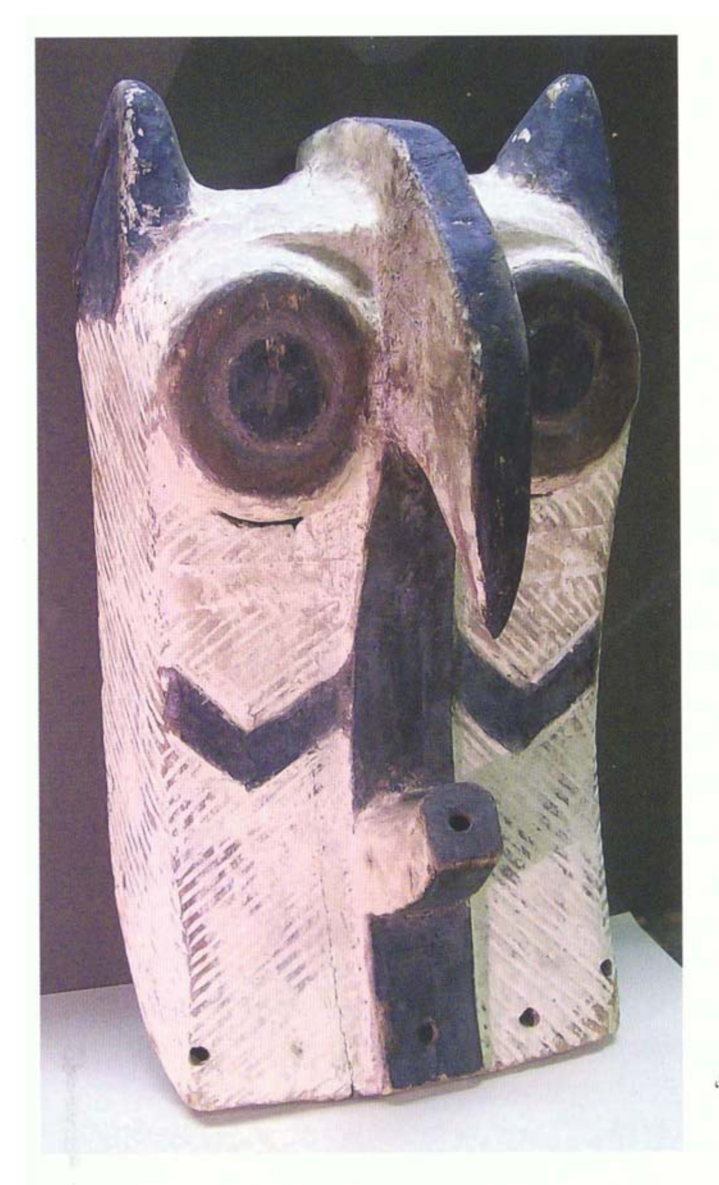
فإذا أجريت دراسة مسحية متأنية تطال كل بلد من بلدان العالم، فإن قائمة الخرافات البومية الباقية هذه ستملأ صفحات كثيرة بلا شك. وسيضحك ساكنو المدن الأوروبية عليها طبعا، لكن سكان الريف لا بد أنهم سمعوا بواحدة أو أكثر منها حتى في زمننا الراهن. يسخر معظم الناس من هذه الخرافات، ويضحك من أي اقتراح يدعي أن لها أساسا من الحقيقة، لكن حتى لو عددناها (الخرافات) هذيانا خياليا محضا، فإن تكرار روايتها يبقيها حيّة بوصفها جزءاً من التراث الشعبي المحلي.

من الممكن أن تكون أوروبا قد سخّفت كثيراً من أساطيرها، وخرافاتها القديمة إلى مستوى قصص الجن الطفولية ليس غير، إلا أن القصص التي تُحكى عن البوم في أجزاء أخرى من العالم ما زال ينظر إليها جديا، لاسيما في قارة أفريقيا الموطن الأكبر للقبائل على الإطلاق.

البومةالأفريقية AFRICAN OWLS

لا يحظى البوم بمنزلة حسنة في أساطير القبائل الأفريقية؛ لأنه يُنظر لها عامةً أنها شريرة. فهي تُربط في مواطن كثيرة بأعمال السحر والشعوذة، ويُعمد إلى قتلها كلما سمحت الفرصة بذلك. فالاسم الإنجليزي الهجين للبومة في غرب أفريقيا هو طائر السحر Witchbird. يُعد البومة في أجزاء من الكاميرون شريراً جداً لدرجة أنهم يمتنعون عن ذكر اسمه ولا يُشار إليه هناك إلا بالطائر الذي يخيفك. هناك — وفي أجزاء من نيجيريا أيضاً- يُشاع أن السحرة يحوّلون أنفسهم إلى بوم في الليل.

أما في زيمبابوي فتعدُّ بومة الحظيرة طائر السحر. وعند السؤال لمَ اختير هذا النوع تحديدا يجيب عالم طيور محليٌّ، «لأنه أبيض». فهي تُعدُّ فأل شؤم تُقتل أينما تُمكّن من ذلك. ويستخدم الحكماء المشعوذون المحليّون بعد ذلك مناقيرها ومخالبها لصنع مستحضرات قوية ليحدثوا الضرر بالآخرين. تؤمن



قناع بومة كيفويبي Kifwebe أفريقي، لفنان من قبيلة سونغي songye، الكونغو.

قبيلة بالوزي Balozi في ناميبيا Namibia أن حضور البوم حسب يجلب المرض. لذلك يُطلق الرصاص على البوم متى دخلت إلى القرية. أما قبيلة كيكويا Kikuyu في كينيا فتعتقد أن ظهور البومة يتبعه موت شخص ما.

أدى هذا الاتجاه السلبي عن البوم في أفريقيا دوراً تخريبياً ضد محاولات الغرب لحماية بعض أنواع البوم المغادرة، من مثل: بومة خليج الكونغو. لم تكن فرص الحماة ذوي الخلفية الثقافية البسيطة الذين أخفقوا في فهم الخرافات المحلية، فرصاً جيدة في تقديم إجراءات حماية فاعلة لهذه الطيور المهددة بخطر الانقراض. إلا أن قدرة البوم على الرؤية في الليل قد أبهرت الحكماء الأفريقيين بما يكفي لدرجة أنهم كانوا يوصون بأكل عيون البومة لتحسين القدرة على الإبصار ليلا عند الصيّادين والمحاربين.



بومة وطفل، نحتها فنان من قبيلة تشوكوي، أنجولا. في القرن العشرين، منحوتة من الخشب. تعد قبيلة تشوكوي البومة مخلوقاً حكيماً يمتلك معرفة واسعة اكتسبها في الغابة، يرمز هذا الشكل إلى كيفية تأمين أرواح الأسلاف الحماية للأجيال القادمة.

ففي أرجاء كوبا Kuba القبيلة الموجودة في جمهورية الكونغو الديمقراطية تحدّد منزلة الشخص الاجتماعية من نوع القبعة التي يعتمرها في المناسبات الخاصة. فالقبعات التي يعتمرها زعماء القبيلة تُزيّن بالريش. أما أعلى مسؤول في القبيلة -زعيم ريشة النسر- فيعتمر قبعة عليها ريشة نسر؛ لأنهم يعدّون النسور أقوى طيور النهار. أما الذي يليه في الأهمية -زعيم جماعة منح العضوية- فيعتمر قبعة عليها ريشة بومة؛ لأن الاعتقاد السائد بينهم أن البوم هي حكّام الغابات وسماء الليل. ويصنع أهل قبيلة كوبا أقنعة بومة معبّرة أيضاً، فيصوّرون الطيور بعيون واسعة، ومنقار حاد مستدق، وأذنين قصيرتين مثقوبتين يُغطيهما الزغب.

تنحت قبلية سونغوي Songwe في الكونغو كذلك أقنعة بومة مسرحية لمناسبات خاصة. تلوّن أقنعتهم عادة باللونين الأسود والأبيض الزاهيين، ويصمم لهم فماً مقلوباً غريباً. وهي ثقيلة أيضاً عند وضعها، ولا تسمح بالرؤية إلا بصيصاً، إذ تقتصر رؤية الراقص على ما يستطيع رؤيته من خلال شقّين ضيّقين أسفل عيني البومة المدورتين الواسعتين.

يَعدُّ أهل قبيلة تشوكوي البومة مخلوقاً حكيما يمتلك معرفة واسعة اكتسبها في الغابة. تُظهر أشكال الأسلاف أحياناً بجسد بشري ورأس بومة، وتُصوّر أنها

تؤدي دور حماية يرعى أجيال المستقبل.

البوم الآسيوية ASIAN OWLS

هناك بوم جيدة وأخرى سيئة في آسيا -كما في مناطق كثيرة أخرى-. تدعى الأسطورة الأسيوية الشائعة أن البوم تأكل الرضّع حديثي الولادة أو أنها تؤذي الأطفال. يكتسب هذا الاعتقاد قوة كبيرة في ماليزيا، فتعرف البوم هناك بـِ burung hantu وتعني الطائر الشبح. ثمة منهج عملي أكثر تجاه البوم في الصين وكوريا. إذ تُقتل البوم هناك وتستخدم أجزاؤها في صنع مستحضرات طبية، إضافة إلى ذلك، ففي مونغوليا، يُعتقد أن البوم تدخل البيت أثناء الليل لجمع أظافر البشر. لا يبدو واضحاً أكانت هذه حالة بومة جيدّة ينظف البيت أم أخرى سيئة تسرق أجزاء صغيرة من أظافر الأرواح. يُعرف عن أولئك المعنيين بطقوس الدفن في منغوليا أنهم يعلّقون جلود البوم لتفادي الشر، إلا أننا غير متيقنين أيضاً أكان هذا لأن أجزاء البومة المعلّقة تمتلك أرواحاً خيِّرة تقي من الأرواح الشريرة، أم أنها حالة شرير يَصدُّ شريراً آخر.

وفي الجانب الخيِّر، كرِّمت بوم في بعض أنحاء آسيا بوصفها أسلاف سماوية ووصفت أنها كانت متعاونة في تفادي المجاعة والطاعون الدُبلي. يدعي بعض قاطني جزيرة سولاويسيSulawesi –المعروفة أكثر باسم سيلتيز Celebes– في إندونيسيا أن البوم حكيمة جداً. ويجب استشارتها عند العزم على الترحال دائماً. إذا أراد أحدهم السفر فيجب أن يصغي أولاً للبوم. فالطائر يحدث صوتين مختلفين في الليل؛ أحدهما يقول سافر والآخر يقول: الزم البيت. هذه التحذيرات تُؤخذ جديًا. لا يُشرع في أية رحلة إذا أطلق البوم صرخة الزم البيت.

البوم الأسترالية AUSTRALIAN OWLS

لا تحتفظ البوم بمكانة رفيعة في الأساطير القَبَلية للسكان الأصليين في أستراليا، ولكن عندما تُذكر تَخلق -مرة أخرى- ذلك التناقض غير العادي

بين البومة الخيِّرة والبومة السيئة. يؤدي البومة في هيئته الشريرة دور رسول إله الشر موورروب Muurup الذي يأكل الأطفال ويقتل الناس. وتوجد الخرافة المألوفة -التي توجد في أنحاء كثيرة من العالم- التي تقول إن مراوحة بومة حول موقع البيت لأيام قليلة يعني أن أحد ما سيقضي. أما في الجانب الخيِّر، فثمة اعتقاد أن البوم تمثل أرواح النساء، أو أنها تحرس أرواحهن. لذا يُطلب من النساء حماية البومة ليحمينَ أقاربهن النساء. وتبالغ بعض المرجعيات بالأمر لحد قولهم أن هذا يجعل من البومة طائراً مقدساً ، لأن «أختك بومة-والبومة أختك»، (تمثُّل أرواح الرجال بالوطاويط مصادفة).

البوم الهندية الأمريكية

AMERICAN INDIAN OWLS

نعلم جميعاً عن الصورة الشائعة لسارية طوطم[1] (totem) العملاقة التي تحمل نحتاً لوجه بومة قاسية يحدِّق بغضب بنا من أعلى، ولكن ما هي بالضبط العلاقة التي تجمع قبائل أمريكا الشمالية وهذا الطائر الليلي الجارح؟ تمتلك قبائل كثيرة خرافات معقدّة تُعنى بالبوم الماورائية وتربط هذه الطيور عادة بالموت، ولكن ليس بالضرورة بطريقة سلبية. فهي تظهر غالبا أعواناً مساعدين في عملية خلق ارتباطات مثمرة بين الأحياء وبين الأموات. عادة ما تملك أمريكا الشمالية كهنةً، أو حكماء تتضمن المهام التي يقيمون بها اتصالاً بالأموات ويمكن أن يجنّدوا البوم لتساعدهم في هذا. في الحقيقة، يُشار إلى البومة أحياناً بطائرة السحرة.

ولضرب مثل محدد، يوضع البومة الحي الذي طرح ريشه في راحة شخص يحتضر ليرشده في رحلته الطويلة إلى الحياة الآخرة. ويستخدم ريش البومة في قبائل أخرى عادة تعويذات سحرية. وتتخذ الروح البشرية -كما هو الاعتقاد في قبيلة نافاجو Navajo- شكل البومة بعد الموت. وينطبق الأمر أيضاً على

١- وثن يمثّل الأسرة أو العشيرة: (المترجم).



بومة طوطمية: سارية طوطم
على الساحل الشمالي
الغربي للمحيط الهادي.

شعب تسيمشيان Tsimshian في الساحل الشمال الغربي للمحيط الهادي. ففي إحدى رقصاتهم الخيالية يُلقى راقص ذكر في النار فيأتي اللهب على جثته كاملةً. ثم يظهر الشخص مرتدياً قناعاً بشكل الجمجمة، إلا أن قلبه يُعرض سليماً لم يمس. أسأل: هل لك أن توضح كيف تعافى من الحروق؟ لقد أخفي هذا القلب -الذي يتخذ شكل صندوق خشبي منحوت- بدهاء تحت ثيابه خلال الرقص. وقد أظهر بعد ذلك بشكل سحري وفُتح ليظهر بومة صغير يمثّل روحه الباقية جاثماً فيه[1].

لأن القبائل الهندية الأمريكية تصوروا مثل هذه الصلة الوثيقة بين البوم وبين الموت، فمن الحتمي أن يخلق هذا توجهات متضاربة تجاه هذه الطيور. فترى إحدى القبائل البوم أنها توفر تحذيرات مُعينة عن الموت، في حين يمكن



تعويذة على شكل قلب من الخشب الملوّن: عندما يُفتح يظهر بومة يمثّل روح شخص مات حديثاً. الساحل الشمالي الغربي للمحيط الهادي.

1- Norman Bancroft-Hunt, *People of the Totem: The Indians of the Pacific Northwest* (London, 1979), p. 97.

أن تراها قبيلة أخرى رُسلاً للبشر تسبب الموت في الواقع. بناءً على المنطلق ذاته يمكن لقبيلة أن تحترم البوم وينتهي الأمر بأخرى أن تكيل لها الكره. وتضم القبائل التي تُجلُّ البوم قبيلة الباوني Pawnee. يرونها رمزاً للحماية؛ وياكاما yakama يعدونها رمزاً طوطمياً جليلاً؛ واليوبيك Yupik يرتدون أقنعة بومة طقوسية في مناسبات خاصة، ويعتقدون أن البوم أرواحا مساعدة، والشيروكي Cherokee رأوا في البوم مستشارة مساعدة للكاهن تجلب أخباراً نبوئية؛ واللنيب Lenape يعتقدون أنه إذا رأيت بومة في حلمك فسوف يصبح حارسك؛ والتلنجت Tlingit ادعوا أن البوم تحذرهم من الخطر الوشيك، وينعب محاربوهم كما البوم عندما يذهبون إلى المعركة؛ لأنهم يؤمنون أن البوم ستمنحهم النصر؛ والأوجلالا Oglala يعتمر محاربوها قلنسوات مصنوعة من ريش البومة الثلجية؛ لإظهار شجاعتهم، والسيوكس Sioux يؤمنون أن الرجل الذي يرتدي ريش بوم سيمتلك رؤية قوية وحادة أكثر؛ والزوني Zuni يضعون ريشة بومة جانب الرضيع لتساعده على النوم؛ واللاكوتا Lakota يرتدي حكماؤها ريش البوم، ووعدوا أن لا يوقعوا الأذى ببومة أبداً في حالة فقدوا قواهم السحرية؛ وقبيلة الموهين Mohare يصبح أهلها مجسّدين من جديد كما البوم عندما يموتون؛ والكواكيوتل Kwakiutl يملكون أقنعة البومة، ويعتقدون أن كل إنسان متصل ببومة معينة، وإذا قتل أحدهم نصف البومة فإنك ستموت أيضاً.

ومن بين القبائل اللائي بغضن البومة قبيلة الهوبي Hopi كانوا يعدّون البومة نذير شؤم وسوء حظ، وقبيلة الأباتشي Apache كانوا يخافون البوم، وكانوا يقولون أنه إذا حلمت بواحد من هذه الطيور فإن هذا إشارة إلى دنو أجلك؛ وقبيلة كاجون Cajun اعتقدوا أنهم إن استيقظوا على صياح البومة فإن هذا نذير شؤم؛ وقبيلة أوجيبوي Ojibway رأوا في البومة رمزاً للشر والموت؛ وقبيلة كادو caddo، وقبيلة كاتوبا Catawbaوقبيلة مينوميني Menonini، وقبيلة سيمينول Seminole نظروا جميعاً إلى البومة أنه نذير شؤم وإشارة إلى الهلاك الوشيك، وربطوه عادة بالسحرة.

البومة الرسول الحكيم بين خرافة قبيلة كواكواكاء واكو Kwakwaka'wakw من القرن العشرين؛ منحوتة من شجر الأرز الأحمر عليها حبل من الأرز وخُصَل شعر من اللحاء، من صُنع والي بيرنارد Wally Bernard، شمال جزيرة فانكوفر Vanco-ver.



تظهر الطبيعة المتناقضة للبومة جليلة واضحة مرة أخرى؛ لأنه كان نشطاً خلال الليل وكان يطلق أصواتاً غريبة ومخيفة، أصبح البومة طائراً شبحيا، لذلك جعلته المبالغات التي كان يروجها خبراء الحكواتية القبليين طيفاً حميداً وودوداً أوشبحاً شريراً مؤذياً. تعتمد –ببساطة– نوع معرفتك بالبومة الرمزية التي اكتسبتها في طفولتك وَنَمَتْ معك حتى مرحلة الرشد على القبيلة التي وُلدت فيها. لكن الأمر الأكيد –أنه– يندر عدم تعرّف هندي أمريكي شمالي على أية روح بومة بتاتاً.

إذا رغبنا العثور على بوم قَبَلية في العالم الحديث تصوّر لذاتها حسب، طيوراً جذابة لا تحمل أية رسائل شجية، فعلينا أن نتوجه نحو الجنوب، إلى ريف بنما البلد التي تقع في قلب القارة الأمريكية. هناك –ضمن هنود كونا الذين عمّروا الجزر الصغيرة لأرخبيل سان بلاس مقابل الساحل الشمالي– يوجد افتتان بالطيور بأنواعها المختلفة، بما في ذلك البوم المحلية. تظهر صور البوم،

فنان هندي من كونا Kuna؛ «خمس بومات»، أواخر القرن العشرين، زخرفة على الملابس مقلوبة مشغولة يدوياً بالإبرة، جزر سان بلاس،San Blas Islands بنما Panama.



وصور طيور كثيرة أخرى على ملابس النساء اللواتي -على خلاف نظرائهم الرجال- قد حافظن بتصميم بالغ على الأزياء التقليدية لقبيلتهن، حتى في الوقت الراهن. فهن يرتدين قطعة قماش عريضة مزينة توضع على الصور فوق ملابسهن تسمى مولا Mola، يتم صناعتها بعناء وجهد شديدين عن طريق التطريز اليدوي المعكوس. يستغرق العمل لإنهاء واحدة جيدة منها حوالي ٢٥٠ ساعة من الشغل المُجهد بالإبرة، وقد ابتُدئ مؤخراً جمعها كناية عن أعمال الفن القَبَلي الجاد.

هناك خمسة عشر نوعاً من البوم تعيش في بنما، إلا أن لا أحد فيها يملك شوارب كما القطط. ولكن أينما أظهر فنان من كونا وجهاً من الأمام فإنه لا يملك إلا أن يزوّده بشوارب. فثمة بشر وطيور بوجوه قطط، ولا ينتهي الأمر عادة إلى حد الشوارب حسب. أصبح المنقار الحاد المستدق الطبيعي لهذه البوم أنفاً مفلطحاً كليلاً، وقد أنبتت العيون رموشاً (أو ربما حواجب)، وقد اتسع الفم ونمت فيه أسنان وشفتان بارزتان. في الحقيقة فإنّ هذه بوماً ماكرة مؤنسنة تمتلك شخصية بدائية محبّبة تعكس شخصية مبدعها أحد أكثر إبداعات فناني كونا سحراً. توحي حقيقة أن لها شقوق أُذْنية بارزة فالنوع الحقيقي الذي ترتكز إليه هو البومة المقرّنة. هذه بوم وُظِّفت لمرة واحدة للمتعة البصرية، بعيداً عن أعباء الخرافة، والأسطورة التي تثقل كاهلها.

تعيش في الغابة المطيرة، في برٍّ بنما، في منطقة دارين Darien، ليس بعيداً عن كونا، جماعة صغيرة أخرى من السكان الأصليين الذين حافظوا على بقائهم تسمى هنود وونان Wounan Indians تتمثل مهارة الرئيسة في نسج السلال، وهو شكل من أشكال الفن عملت نساء القبيلة على صقله لمئات من السنين. كما في قبيلة كونا، فإن أعمالهم الفنية قد أصبحت معروفة مؤخراً ويتم جمعها حالياً. وقد وظف سكان قبيلة وونان هذه المهارات في المناسبات لصناعة أقنعة -وعندما كانوا يفعلون ذلك- كان البومة المقرّن أحد مواضعهم. كان كل قناع يبدعونه يتكون من آلاف الغرزات الدقيقة تتخللها نقوش لونية معقدة. يتضمن صنع واحد من هذه الأشغال خمس مراحل

منفصلة. أولاً: العثور على سعف النخيل وتحديده وقطعه الذي سيصنع منه الخيوط. يتوجب القيام بهذا الأمر في التوقيت الصحيح من السنة ولا يصلح استخدام إلا نوعين من النخيل؛ النخيل الأسود ونخيل نافالا (Navala). ثانياً: التجفيف، والتبيض ونسل السعف للحصول على خيوط منفصلة. ثالثاً: جمع الصبغات النباتية لتلوين الخيوط ثم صبغ السعف وإعادة صبغه. رابعاً: صُنع التصميم المعقد للقناع، وأخيراً، درز الخيوط بعضها ببعض لإنجاز العمل النهائي، وهي عملية يمكن أن تستغرق بذاتها أسابيع عدة.



قناع من قبيلة وونان الهندية منسوج من سعف النخيل، قناع حديث من بنما.



قماشة موليتا Molita من قبيلة وونان الهندية مطرزة يدوياً «بومة فوق غصن».

للعالم الخارجي.

وتتمتع نساء قبيلة وونان بعملية إبداعية تستدعي جهداً أقل تُعنى بصنع لواصق قماشية تجميلية صغيرة مطرزة يدوياً تسمى موليتا Molita. ويبقى البومة هو الموضوع المفضل على هذه أيضاً. كما في قبيلة كونا، يبدو أن الوونانيين يوّظفون البوم -ببساطة- في مواضيع تصميمية لا تحتمل تعابير أسطورية أو رمزية. ويفسِّر هذا لمَ زُيِّنت البوم الوونانية كما نظيراتها الكونانية -مع إنجلاء كل معتقدات الكهاَنة والسحر- بشكل أبهى وأكثر دفئاً مما هي عليه كثير من صور البوم القادمة من ثقافات قبلية أخرى.

بوم الإسكيمو ESKIMO OWLS

تُعد الإسكيمو فنياً جماعة أخرى من جماعات هنود أمريكا الشمالية، على الرغم من ذلك، إلا أنها تستحق معالجة مستقلة؛ لأن البوم تظهر على نحو متكرر في فنها أكثر من أية جماعة عرقية أخرى في

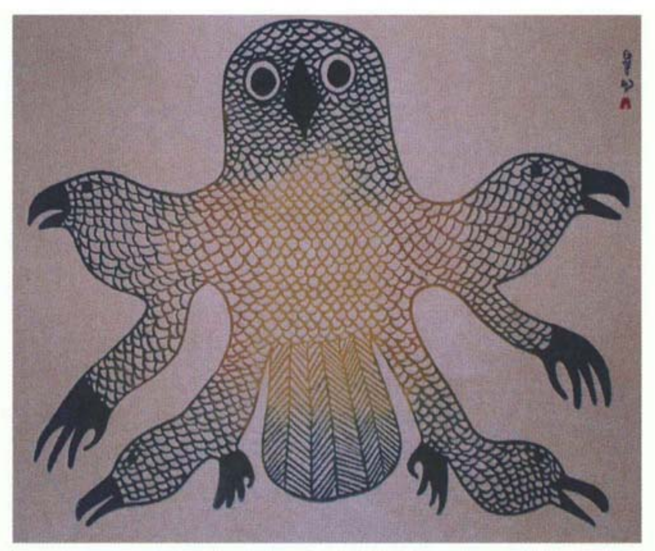
الزمن الراهن. أشهر فنان من الإسكيمو هي الفنانة كينوجواك اشيفاك Kenojuak Ashevak إحدى أشهر النحاتين على الصخر التي ذاع صيتها لدرجة أن بريد كنر وضع في عام ١٩٧٠ رسمها «البومة المسحورة» الذي أنجزته في عام ١٩٦٠ على طابع بريدي بقيمة ست سنتات؛ لإحياء الذكرى المئوية لمناطق الشمال الغربي. تعد الطريقة التي بالغت بها كينوجواك في حجم ريش البومة في هذه التركيبة لخلق صورة خالدة في الذهن لافتة للنظر. عندما سُئلت عن قرارها لتعديل شكل البومة ليصبح على ما هو عليه الآن، أجابت أنها قامت بذلك من أجل «إقصاء الظلام».

ظهر البومة في صور كينوجواك لمرات عديدة على مر سنين عديدة. فقد ظهرت صورة البومة في دراسة تناولت أعمالها الفنية في أكثر من ٨٩ رسماً مطبوعاً من أصل ١٦١ رسماً توضيحياً اشتملت عليها الدراسة[1]. وكانت تشير إليه أحياناً بـ «الطائر الشبح» ويمكن جمعه مع طيور أخرى من مثل النوارس. إلا أنها كانت عندما تعمد لفعل ذلك تبقي على البومة علامة مركزية يخرج من ريشه رؤوس الطيور الأخرى. فقد زيّنت الطائر في إحدى رسومات بوماتها الشبحية بذيل سمكة يأخذ شكل الشوكة، يظهر



«البومة المسحورة»، لكينوجواك اشيفاك، ١٩٧١، رسم مطبوع منحوت من الحجر.

1- Jean Blodgett, *Kenojuak* (Toronto, 1985).



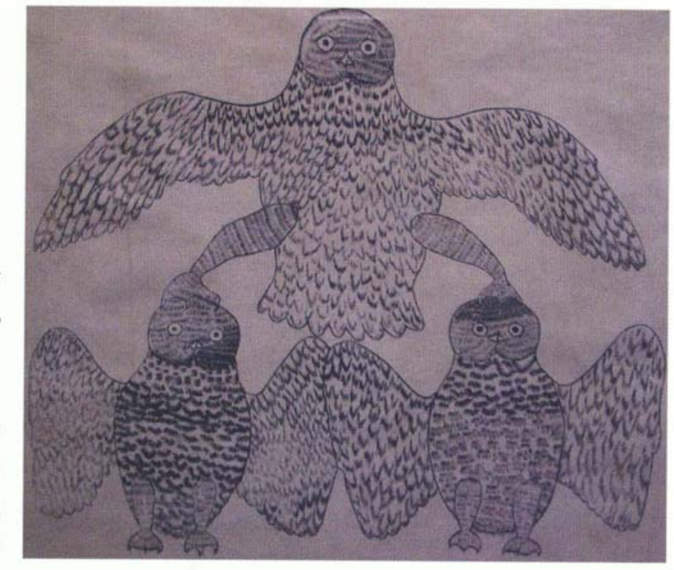
البومة الشبح لفنانة إسكيمو كينوجواك أشيفاك، ١٩٧١، رسم مقطوع منحوت من الحجر.

من وراء رأس البومة. وتسمى الصورة في عمل آخر بـ «بومة الشمس». إذاً يصبح رأس البومة المدوّر هنا و ريشه المشع أشعة الشمس. لا بد أن هذا الربط بين البومة والشمس يعد ربطاً متفرداً في رمزية البومة. إذ إنه -طبعا- نتيجة لحقيقة أن البومة الذي كان يصادفها فنانة الإسكيمو هو بومة الثلج، صيّاد النهار الذي لا ينفر من ضوء الشمس بخلاف أنواع البوم الأخرى. هذا ما سيفهمه كل من زار الدائرة القطبية الشمالية، فبالنسبة للإسكيمو «فإن وصول الشمس إلى الدائرة القطبية الشمالية شيءٌ رائع جدير بالمشاهدة[1]»، ويعني هذا أن ربط كينوجواك للبومة بالشمس قد رفع من مكانة هذا الطائر لمستوى رائع.

عمّرت كينوجواك المولودة ببيت ثلجي في عام ١٩٢٧ طويلاً، لترى عملها مُكّرما في وطنها، فنُصّبت عضواً في درب كندا للشهرة Canda's Walk of

1- W. T. Larmour, *The Art of the Canadian Eskimo* (Ottawa, 1967), p. 16.





بومة الشمس، للفنانة كينوجواك، أشيفاك، ١٩٧٩، مطبوع على الحجر.

ثلاثة بومات، للفنانة ليولا لينجواتسياك Lyola Kingwatsiak، ١٩٦٦، كليشيه محفور.

Fame في عام ٢٠٠١. وقد أبدعت في ٢٠٠٤ أول نافذة زجاجية مبقّعة ذات تصميم إسكيمو في التاريخ، ويمكن رؤية هذه النافذة في إبرشية جون بيل John Bell Chapel في كلية أبلبي Appleby College في أوكفيل Oakville، أونتاريو Ontario. وقد رُشّح وثائقي عن حياتها لنيل جائزة الأوسكار Oscar في عام ١٩٦٤.

وقد أبدعت لوسي Lucy -الفنانة الإسكيمويّة الأكبر سناً المولودة في عام ١٩١٥- بعض البوم الخالدة، في حين أن بومها الذي ينبض بالحياة كان «البومة الراقص»، التي أبدعتها في ١٩٦٧، وصوّر فنان إسكيموي ذكر يدعى لبولا كينجواستياك (١٩٣٣-٢٠٠٠) بوماً أشد صرامة وتحفظاً، ويظهر عمله «ثلاثة بوم» الذي أبدعه في عام ١٩٦٦ طيراً يقبض رأسي طائرين آخرين، كل واحد بقدم.

يجب أن لا نندهش من فرط اهتمام الشعوب القبلية في أرجاء العالم كافة بالبومة؛ لأن القبائل تعيش ضمن تجمعات صغيرة، فيمكن مصادفة البوم بحرية أكبر من البلدات أو المدن. وستسمع صراخاتها كثيراً، وستُلمح أشكالها الساكنة التي تحوم وتطوف عبر الغسق بشكل متكرر كثيرا. فتؤدي الأصوات الآلية القاسية وأضواء المراكز العمرانية الصناعية المشعّة إلى أن البوم -الذي كان بوماً جارحاً شبحياً- سيضحى حالة نادرة تسكن الذاكرة البعيدة.

8- البوم والفنانون OWLS AND ARTISTS

لا بد أن لوحات البوم تعدّت كثيرا لوحات أي طائر آخر؛ لأن شكله سهل الرسم، فكل واحد يشعر برغبة في رسمه، وتلوينه، أو قولبته، أو نحته. فهناك لوحات البوم العاطفية، والبوم الكرتونية، والبوم المرسومة بمهارة فنية بسيطة، والبوم الظرفية، والبوم الهزلية. إضافة إلى الرسومات، واللوحات، والأشكال، ظهرت صورة البومة مراراً على الأواني المنزلية، وقد وضعت كتب كاملة عن المقتنيات البومية.



عاني البومة في الزمن الراهن من المعاملة المهينة لاتخاذه حيلة تافهة. فثمة علاّقة مفاتيح، وثُقّالة ورق، وقفازات الفرن، وفتاحات قناني، وحصالات، ومنفضات سجائر، وورق لعب، وزجاجات رضاعة، وأباريق شاي، ومحبرات بشكل البومة، وغيرها كثيرا مثل كل أشكال الحِلي التي يمكن أن تتخيلها تقريباً. وظهر البوم أيضاً على الأوراق النقدية، والعملات، والمداليات، وبطاقات الهاتف، وعلب أعواد الثقاب، وملصقات وإعلانات لا حصر لها. ومع تفشي عادة الوشم، نجح البوم في أن يحطّ على جلد البشر بشكل دائم.



طابعا بريد يحملان صورة بومة من الولايات المتحدة الأمريكية.

أما في حقل جمع الطوابع ودراستها فقد كان للبوم حضوراً طاغياً. إذ عرض النيوزلندي مايك دوغان Mike Duggan المهووس بالحصول على كل طابع معروف يحمل صورة بومة، قد انتهى به الأمر إلى جمع مجموعة ضخمة من الطوابع المعروضة للبيع ما لا يقل عن ١,٢٢٤ طابعاً مختلفاً من ١٩٢ دولة من أرجاء المعمورة المختلفة. أنتجت معظم الأمم أعداداً قليلة من الطوابع التي تحمل صورة البومة إلا أنه يبدو أن بعض هذه الدول لديها ضعف خاص بهذا الموضوع تحديدا. فقد أصدرت أنجولا ٣٠ طابعاً على الأقل؛ وأصدرت ساحل العاج ٣٢؛ وغينيا بيساو ٣٣؛ وبينين Benin والكونغو ٤٤.

يخرج الهوس بجمع التحف التي تتخذ شكل البومة أحياناً عن نطاق السيطرة. ففي عام ١٩٧٨ كانت مونيكا كيرك Monika Kirk في رحلة




وشم بومة للوشامة كلوديا من محل وشم شارع فيرث، لندن، على ذراع لينسي تروايس Linsay Trerise.

إلى اليونان عندما اشترت عقداً بشكل بومة صغير تذكارياً. بعد مرور ٣٠ عاماً أصبح لديها ما لا يقل عن ١,٩٥٠ بوماً شكلت الأساس لـِ» عالم البومة» Eulenwelt الذي كان معروضاً في منزلها ويضم ٢٥٠ قطعة جواهر بشكل بومة: مشاجب، ودبابيس زينة، وخواتم، وأقراط تتدلى فيها جواهر، وحلق.

على الرغم من الإعجاب الصريح الذي تمتع به البوم، فإن المقتنيات البومية عادة ما تكون أشغالاً متواضعة فنياً بأحسن حالاتها. إلا أنه ثمة استثناءات بسيطة لهذه القاعدة. فقد انجذب فنان بارع إلى صورة البومة وترك لنا عملاً استثنائياً. ومن بين الأسماء العظيمة التي منحتنا بوماً خالدة في الذكرى: بوس Bosch، ودورير Dürer، ومايكل أنجلو Michelanglo، وغويا Goya وبيكاسوPicasso.



بومة بأجنحة مفرودة، أواخر (؟) القرن العشرين، منحوتة من النحاس بيد فنان محلي من العقبة، الأردن.

جزء من معرض مونيكا كيرك، «عالم البومة»، مجموعة تضم ١,٩٥٠ تحفة بومية، للفنان بوس Bosch.

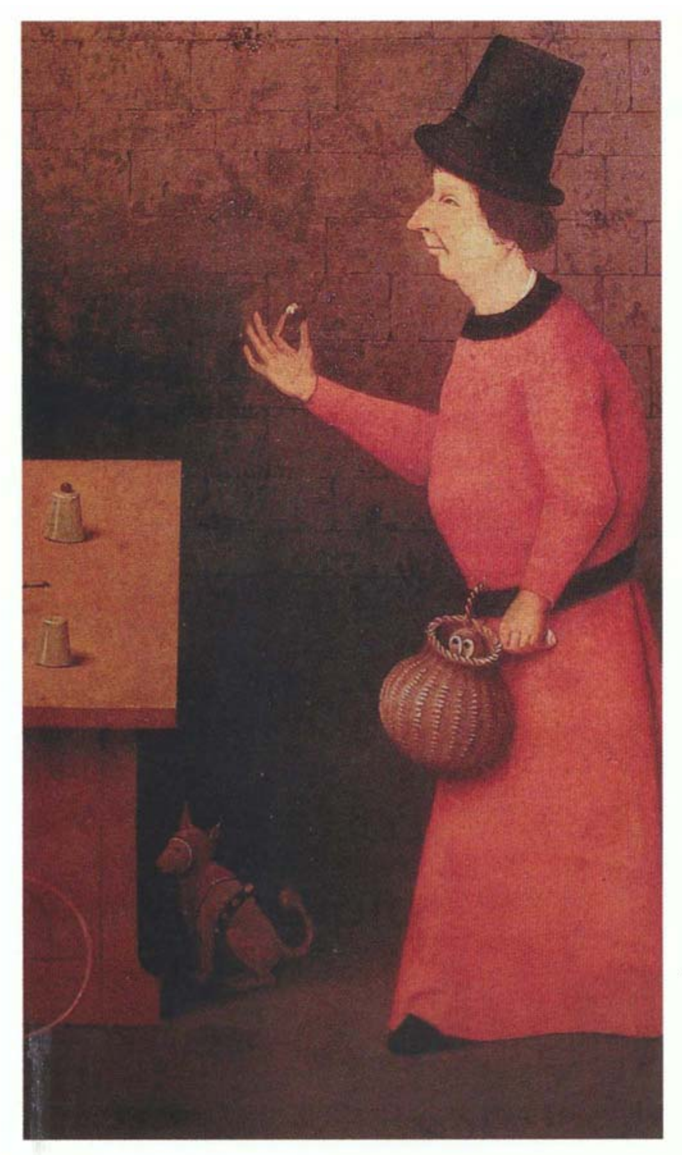


هيرونيمس بوس[1] (HIERONYMUS BOSCH)

وظف هيرونيمس بوس - يعد جدلياً أشد أساطين الفن الغربيين خيالاً كئيباً قاتماً- صورة البومة مرارا وتكراراً في أعماله، وأضفى عليها نوعاً من الدلالة الرمزية تقريباً. يُظهر أحد بواكير أعماله بومة محدقاً من كوة فوق الباب بقوة شديدة؛ أحد مشاهد «الخطايا السبع القاتلة» التي أتمها في سبعينيات أو ثمانينيات القرن الخامس عشر. ينظر الطائرمتيقظا نحو الأسفل إلى مشهد جشع وسكر بشري مفرطين. ووفقاً للمؤرخ الفني الفرنسي، «فإن هذا البومة المحدّق يعد رمزاً لأولئك الذي يفضلون ظلمة الخطيئة والهرطقة على نور الإيمان»[٢].

١- رسام هولندي (١٤٥٠؟-١٥١٦) عُرف بلوحاته الدينية، وبتصويره للشياطين وعجائب المخلوقات. نزع في بعض آثاره نزعة كاريكاتورية ساخرة. من أشهر أعماله: حديقة المباهج الدنيوية والمشعوذ. (المترجم)

2- Jacques Combe, *Jheronimus Bosch* ([[AQ place of pub?]], 1946), p.10.



هيرونيموس بوس، المشعوذ،
أواخر القرن الخامس عشر،
بالزيت على الخشب.



بومة يعشعش في نافورة الحياة في «جنة عدن» في لوحة بوس الثلاثية جنة المباهج الدنيوية ١٥٠٣-١٥٠٤، بالزيت على لوحة.

وقد وظّف في عمل مبكر الأداة ذاتها؛ بومة يحدّق للأسفل إلى مشهد الفسوق والفوضى البشرية. ويطلعنا في «سفينة الأغبياء» على راهب وراهبتين يستمتعون بجلسات سُكر وألعاب ماجنة مع مجموعة من الفلاحين. وقد أخرج شراع قاربهم الصغير شطأه على غصون الشجرة التي يجثم عليها البومة الجليل، من الواضح أن البومة، صوّر هنا مرة أخرى بشكل واضح رمزاً ليلياً للشر المظلم. يرى أحد النقاد في هذا الشراع المثير للفضول كتابة استخدمها بوس من شجرة الحياة التي فيها «البومة المحدّق، طائر الظلام، يأخذ مكان الثعبان الشيطان الماكر» مفترس ليلي آخر[1]. يبدو وضع بوس للبومة في لوحة «المشعوذ» the Conjuror محيّراً حقا. فهذا الطائر – من الواضح أنه بومة الحظائر– يظهر أنه رأس فقط يحدّق للخارج من سلة صغيرة تتدلى من حزام

1- *Ibid*., p. 21.



بومة يجثم على أيكة برتقال في «فردوس الأرض»، اللوحة المركزية لـ«حديقة المباهج الدنيوية» لبوس، ملاحظة ٨١+٨٢ من اللوحة نفسها.

بومة محضون في الماء، في «فردوس الدنيا».



ساحر. ويظهر الرجل وهو يؤدي خدعة للجمهور المنتشي، إلا أن الفنان لا يقدم أي تفسير للحضور الغامض للبومة، أو لمَ لَمْ يطر بعيداً ببساطة بما أن للسلة قمة مفتوحة. ومن الصعب أن نخمِّن ما هيَ الخدعة القادمة التي سيؤديها الساحر التي يمكن أن تتضمن وجود بومة أليف. مرة أخرى رأى مؤرخو الفن في حضور البومة هذا حضوراً رمزياً كاملا عند دراستهم للّوحة دراسة متأنية. إلا أنهم لا يتفقون جميعاً -رغم ذلك- على طبيعة هذه الرمزية. إذ رآها البيض رمزية جنسية، تمثّل السلة الخاصة فيها أعضاء الساحر التناسلية. بالنسبة لهم: «اتّخذ

طائر الحكمة مكان القوى المنوية التي يجب إزالتها لإتاحة المجال له»[1]. ويرى آخرون أن البومة يرمز للخدع الشريرة للمشعوذ الساحر يُضلّ بأدائه العامة الأغبياء السذج محتالا عليهم بخدعه. بالنسبة لهم «الضفدع على الطاولة، والبومة المخفي نصفه في السلة، والكلب بقبعة المهرج ما هي إلا تعابير رمزية عن السذاجة، والهرطقة، والجانب التافه السخيف للقوة الشيطانية...»[2].

ظهرت أبوام عديدة في عمل بوس الرئيس، الرسم الثلاثي العظيم المسمى «الألفية» المعروف في يومنا هذا باسم «حديقة المباهج الدنيوية». ففي اللوحة اليسار؛ حديقة عدن، تحدّق عينا بومة من ثقب مظلم مدوّر في ينبوع الحياة. وفقاً لأحد الباحثين، في هذه الحالة «فإن المعنى الأقصى للبومة يتمثل في أن حكمته تأسست من معرفة وسمو الموت». ويفسر هذا موقع الطائر «على المركز الميّت لقاعدة ينبوع الحياة يحدّق البومة للخارج من بؤبؤ عين الإله الحاضر المشاهد الحي كليا، - رمزاً لصوفيا (Sophia) (=الحكمة)»[3]، إلا أن مؤلفين آخرين ينظرون إلى هذا البومة من زاوية مختلفة تماماً. فإنهم -في الواقع- يرون بوم بوس كلها «رموزاً مفضّلة للموت». أو رموزاً شريرة مترصدة للكهانة والشيطنة»، لأن هذه كانت النظرة المهيمنة عن الطائر في العصور الوسطى حينما كان يعمل بوس[4]. ونواجه مرة أخرى بالتناقض الذي يرى في البومة طائراً عجوزاً حكيماً وشبحاً ليلياً شريراً سواء بسواء. وإذا لم يستطع الباحثون المتنوّرون الذين قضوا حياتهم بدراسة صور أعمال بوس المعقدة أن يتفقوا، إذاً فمن الواضح في الحقيقة، أن الفنان ترك لنا مشكلة يتعذّر حلها.

هناك في اللوحة المركزية الرائعة من الرسم الثلاثي المزيد من البوم، ويمكن

1- Wilhelm Fraenger, *Hieronymus Bosch* ([[AQ place of pub?]], 1999), p. 201.

2- Mario Bussagli, *Bosch* ([[AQ place of pub?]], 1967), p. 10.

3- Fraenger, *Hieronymus Bosch*, p. 44.

4- Herbert Read, *Hieronymus Bosch* ([[AQ place of pub?]], 1967), p. 5.

القول :إنْ كانوا رموزاً للشر، فإن مناظرها تبرز أنها طيور ودودة جديرة بالعناق. في الواقع إنَّ البومة الكبيرالجالس في مياه ضحلة أقصى شمال اللوحة يعانقه فعلاً إنسان صغير عارٍ يلف يده الشمال بلطف على صدر الطائر. يفسر أحد الباحثين هذا أنه تصوير لـ «شاب صغير يعهد بنفسه إلى بومة إشارة منه أنه وهب نفسه إلى حكمة الطبيعة المقدسة، تماماً مثل رفقائه الذين تضامّوا تجاه معلّميهم الطيور بشكل طبيعي التماساً للدفء»[1]. يبدو هذا التفسير مناسباً أكثر لمشهد يفترض أنه يصوِّر «مباهج دنيوية». ما لم يكن بوس يطري طبعا على وجهة نظر رجل الكنيسة النكد في العصور الوسطى الذي كان يرى أشكال المتع كلها شيطانية و أشكال الحكمة كلها تهديداً لبراءة المؤمن الصادق الجاهلة.

البريخت دورير ALBRECHT DÜRER[2]

يعد البريخت دورير فنان عصر النهضة العظيم في شمال أوروبا قضية أخرى بكل ما في الكلمة من معنى. فقد كان مأخوذاً تماماً بالبوم، وقد أصبح رسمه التخطيطي بالألوان المائية لبومة عام ١٥٠٨ الصورة الأكثر شهرة والأشد إعجاباً في تاريخ الفن. سافر دورير المولود في نيوريمبيرغ Nuremberg كثيراً في أرجاء أوروبا، وجمع ملاحظات هامة عن الطيور البرية التي صادفها أثناء ترحاله. وقد خلقت تصاويره الدقيقة المدهشة النابضة بالحياة لهذه الحيوانات -كانت تملأ عادة الصفحة وتستثني أية صورة بشرية- منه أول فنان جاد للحياة البرية بلا منازع في تاريخ الفن الغربي. بومة دورير كأي بومة؛ صورة موضوعية لعالم حيوانات، خالية من أية اصباغات رمزية معتادة. لم يكن هذا البومة خيّراً أو شَريراً، فقد كان ببساطة يجثم ليتم تصويره وتسجيله بشكل صادق، خالقاً عملاً فنياً سبق زمانه بخمسمئة عام.

1- Fraenger, *Hieronymus Bosch*, p. 116.

٢- رسام ونقّاش ألماني (١٤٧١-١٥٢٨) يعدّ أعظم الفنانين الألمان في عصر النهضة من أشهر منقوشاته النحاسية: الفارس والموت والشيطان، ومن أهم لوحاته الزيتية: الرسل الأربعة: (المترجم)



بومة صغير للفنان البريخت
دورير، ١٥٠٨، بالألوان
المائية. مايكل انجلو.

لا يعني هذا أن دورير كان محصّناً ضد الإلحاح السائد لجعل البوم صوراً رمزية. فقد أظهر في عدد من الأعمال البومة تحتشد حوله الطيور الأخرى، حدث هذا الاحتشاد في أحد هذه الأعمال فوق رأس صورة المسيح تماماً بتعابير حزينة. أما تفسير هذا العمل فهو أن «البومة سيلاقي المصير ذاته الذي لاقاه أحكم الرجال، تحوّطه الطيور الحاسدة تماماً مثلما قُتل السيد المسيح على يد رجال صمّوا آذانهم عن كلماته»[1]. هذا التفسير الذي يرى في البومة المحاط بالجماهير رمزاً للمسيح المحاط بالجماهير قبل صلبه، يتناقض مع قراءات مبكرة لهذا الحدث الطيري فيرى البومة المحاط بالحشد بشخصيته الشريرة «شريراً يتعرض لهجوم من قوى الخير»، أو أن مخلوقات الليل تهاجمه طيور النهار، «المتنورة». لربما كان دورير عالم الطبيعة التواق مغرماً كثيراً بالبوم ليصورها بمظهر انتقاصي.

مايكل أنجلو[2] MICHELANGELO (1475–1564)

كان مايكل انجلو السماوي -كما كان يُعرف في حياته- منشغلاً تماماً بالشكل الإنساني، ونادراً ما صوّر حيوانات ما لم تكن -مثل الأحصنة والماشية المحلية- مرتبطة بالشكل البشري. فقد أنتج نحتاً وحيداً لبومة، وحتى هذا كان يؤدي دوراً داعماً لأنثى عارية متكئة. مثلت العارية هذه «الليل»، وكان البومة هناك ليؤدي دور رمز الظلام الليلي. جلس أسفل ساق المرأة الشمال المرفوعة، وكانت قدماه راسختان على الأرض. كان طائراً فخوراً، وقوياً يمتلك فخذين ذكوريين وصدر منتفخ للأمام. يقترح وجهه أنه يمثّل بومة الحظائر. يمكن رؤية هذا النحت الوحيد للبومة الذي أبدّعه مايكل أنجلو في كنيسة سان لورنيزو (San Lorenzo) في فلورنس (Florence)، إذ شكل جزءاً من

1- Colin Eisler, *Dürer's Animals* (Washington, 1991), pp. 83–5.

٢- مايكل أنجلو بووناروتي Buonarrti نحات ورسام ومهندس معماري وشاعر إيطالي. يعدّ واحدا من ألمع رجال عصر النهضة الأوروبية، وواحدا من أعظم الفنانين في العصور جميعا. من أشهر أعماله في النحت: داود، وموسى، وفي الرسم: يوم الحساب: (المترجم).



بومة مايكل أنجلو، جزء من الضريح الذي شيّده لجوليانو دو بيديسي، ١٥٢٦-٣١، سان لورينزو، فلورنس.

عمل ضخم ضمّ قبر جوليانو دوميديسي (Giuliano de Medici). بدأ العمل في هذا القبر في ١٥٢٦ واكتمل في ١٥٣١ وقد أبرز عاريين «الليل» (امرأة) و«النهار» (رجل). يرمز هذا الشكل إلى حياة الإنسان المحكومة بقوانين الزمن ومرور الأيام.

يؤدي حضور البومة المنحوت دور ملصق يعلن «هذا التمثال هو من يمثّل الليل» حاول بعض مؤرخي الفن الاستزادة في تفسير حضور البومة، فعلّقوا أن هناك شيئاً حامياً به. فوضعيته -إذ يقف بجرأة تحت ركبة ساق المرأة المنحنية- تغلق الفراغ الذي كان يمكن أن يفتح الطريق لمنطقتها الحساسة، كما لو أن

الطائر يقف حارساً على أجزائها الخاصة جداً. فهل يظهرهذا أيضاً البومة في دوره الحراسي، أم دوره الأكثر شراً المرتبط بالموت؟ في أية حالة، ربما يكون الفنان يتلاعب بفكرة وضع رمز للموت تماماً مقابل الجزء الذي ينتج الحياة في جسد المرأة. هذا النوع من التجاذبات التي يُستعصى تسويتها هو الذي جعل مؤرخي الفن يبقون شوكة في حلق بعضهم بعضا دائما.

نادراً ما صوَّر مايكل أنجلو أي حيوان بري طوال حياته. حتى أن رسم الأفعى في جنة عدن التي تظهر في سقف إبرشية سيستين فإنها مخلوقة مؤنسنة تحمل رأس رجل، وذراعيه، وجذعه، وذيل ثعبان حسب. ضمن عمله النقشي، هناك رسمان لنسر منشغل في صراع مميت مع تمثال نسري، وآخر لأسد في سياق مشابه. ويوجد رسم تخطيطي استقرائي لتنين أو اثنين وخربشة صغيرة لصورة زرافة، هذا كل شيء. ويُعد البوم الطائر الوحيد الذي أبدع له تمثالاً منحوتاً في حياته، شرف متفرد لطائر متفرّد[1]. من الواضح أنّ صِنو مايكل أنجلو الفنان ليوناردو دافنشي[2] Leonardo da Vinci، ١٤٥٢-١٥١٩ -الذي كان مهتماً أكثر بتصوير الطيف الواسع للأشكال الحيوانية مثل :السلطعون واليعسوب إلى الدب والذئب- لم يشكّل أي عمل فني للبومة البتة. فقد انحصرت طيوره بالنسر، والصقر، والبطة، والببغاء.

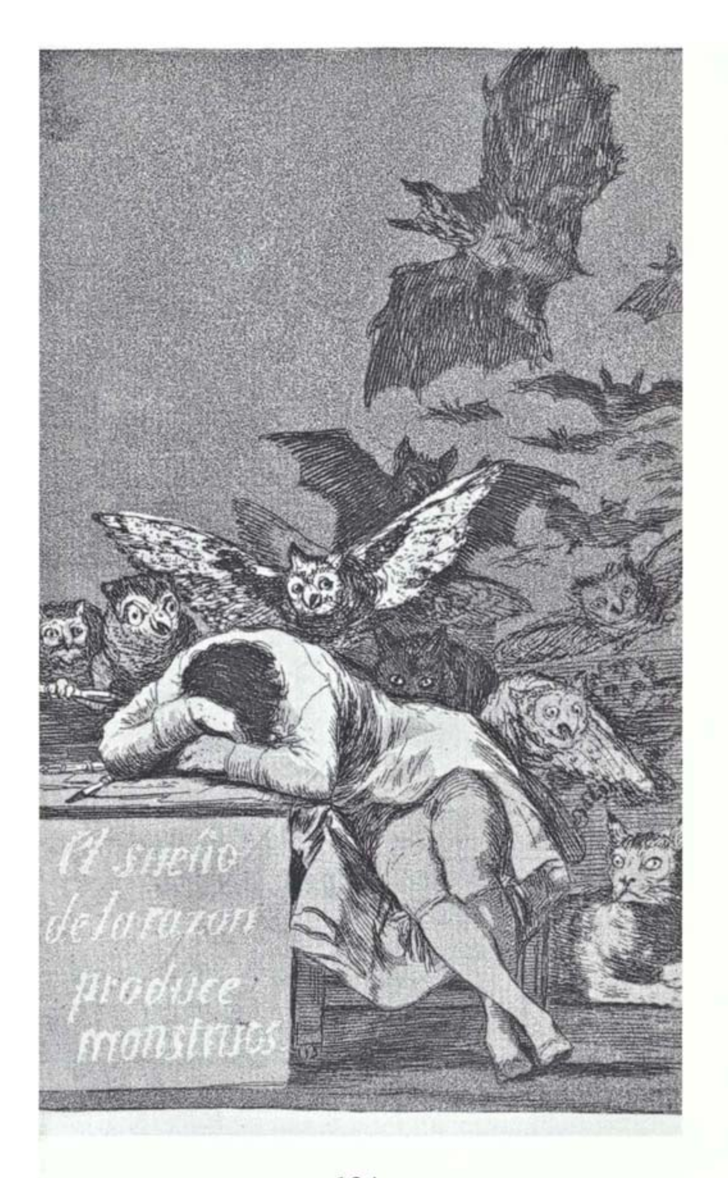
فرانسيسكو غويا[3] FRANCISCO GOYA (1746-1828)

كان الفنان الإسباني الأستاذ فرانسيسكو غويا -في القرن الثامن عشر-

1- Mario Salmi et al., *The Complete Works of Michelangelo* ([[AQ place of pub?]], 1966), fig. 91, p. 119.

٢- رسام ونحات ومهندس معماري وموسيقي إيطالي. يعدّ عبقرية قلّ نظيرها في التاريخ، درس التشريح وعلم البصريات والفيسيولوجيا والميكانيكا والجيولوجيا وعلمي الحيوان والنبات. وحاول إنشاء آلة يطير بها الإنسان في الأجواء. أشهر آثاره الفنية: العشاء الأخير والموناليزا: (المترجم).

٣- رسام إسباني.تميز فنه ابتداءً من عام ١٧٩٢، بواقعية جديدة. شجب في آثاره الحرب والتعصب الكاثوليكي وكراهية الأثرياء للثقافة. قضى السنوات الأخيرة من عمره في فرنسا. من أشهر أعماله: لا ماجا فستيدا، وكوارث الحرب، والسّقّاء، وزمرة الرمي: (المترجم).



فرانسيسكو غويا، نوم العقل ينتج وحوشاً، ١٧٩٧-١٧٩٩، رسم حفري وحفر مائي.

غويا، «ألم يبق أحد يفكّنا؟» رسم حفري وحفر مائي. ليرLear .



يرى في البومة وحشا ليليا، ومخلوق الكوابيس الذي ينتهز الفرصة للهجوم. فقد صوّر في رسمه الحفري الشهير في دورة كابريكوس[1] Caprichos فناناً (غالبا نفسه)، يتهاوى نائماً فوق طاولة عمله. تحوم حوله أكثر من مجموعة من الحيوانات المجنَّحة ذات المناظر الشريرة. وتظهر وطاويط عملاقة عن بعد، لكن عندما تقترب ونتمكن من رؤيتها بوضوح كبير في ضوء الغرفة ندرك أن لها أجنحة ووجوه بوم. قُصد من وراء هذه الوطاويط البومية، أو البوم الوطواطية أن تلازم أحلام النائم، وتُغير عليه من الجوانب كلها، وتقترب من مهاجمته.

نجد هنا وفي أمكنة أخرى من لوحات غويا الحفرية البومة الشرير الذي يخرج من الظلام ليوقع بنا الأذى.

يوضع البومة أيضاً في سلسلة غويا سيئة السمعة المعروفة باسم «كوارث الحرب» The Disasters of War -المليئة بمشاهد الاغتصاب، والتعذيب، والموت التي لا تنسى- في مظهر مسرحي على الرغم من اختلاف دوره الرمزي

١- مجموعة صور لثمانين نقشاً على النحاس أبدعها الفنان الإسباني غويا في الفترة ما بين ١٧٩٧-١٧٩٨، وقد نُشرت في ألبوم في عام ١٧٩٩.

بشكل طفيف هنا»[1]. أبدع الفنان هذه السلسلة ردةَ فعل شخصية للأعمال الوحشية التي كانت تُرتكب في حرب شبه الجزيرة[2]Peninsular War ١٨٠٨-١٤. تظهر الصفائح الأولى حوادث محدّدة للوحشية، لكن الصفائح المتأخرة تحمل رمزية أكثر. تظهر إحدى الصفائح- التي تحمل عنواناً مثيراً للفضول «الممثلون الإيمائيون السنّوريون» -حشداً دينياً يعبد قطة ضخمة، على طريقة المصريين القدماء في الزقازيق.

يُغير بومة من عنان السماء، من الواضح أنه ينوي غرز مخلبيه في القطة التي لفّت رأسها قليلاً متنبئةً بالهجوم. يبدو أن غويا يصنع هجوماً مستتراً على الكنيسة وقد جنّد البومة مدمّراً الأوثان الزائفة. لذا وعلى الرغم من كون هذا البومة قاتلاً، وقد صوّر في لحظة وحشية وشيكة، فإن وظيفته تتمثل هنا في مواجهة وتدمير موضع العبادة لجماعة الكهنة الضالة. إذا نظرنا إلى هذا البومة ضمن بوم غويا الكابوسية الأخرى فإنه يؤكد استخدام الفنان للبومة رمزاً عاماً للموت والدمار، على الرغم من تباين المواضيع التي تتعرض للهجوم.

إدوارد لير (EDWARD LEAR) **1812–1888**

كان إدوارد لير فناناً جاداً من العصر الفيكتوري تخيّم على لوحاته قصائد زاهية، ورسومات كرتونية يبدعها لتسلية أطفال راعيه إيرل ديربي. وكان لير فناناً طموحاً اشتغل في إحدى فترات حياته بتعليم الملكة فيكتوريا الرسم، إلا أن نتاجاته عانت من حقيقة أنه كان عبداً لنوبات الصرع، وفترات الاكتئاب

1- Philip Hofer, *The Disasters of War by Francisco Goya* (New York, 1967), a reproduction in its entirety of the first edition of Goya's *Los Desastres de la Guerra* (1863) published by the Real Academia de Nobles Artes de San Fernando. Plate 73: *Gatesca pantomima*.

٢- حرب وقعت في شبه الجزيرة الأيبرية في الفترة ما بين (١٨٠٨-١٨١٤) بين بريطانيا والبرتغال وإسبانيا ضد فرنسا. (المترجم).



إدوارد لير، بومة بعلامة جلد النظارة، ١٨٣٦، بالألوان المائية. بيكاسو.

الكامل التي كانت تنتابه. لو أنه لم يعانِ لعنة المرض طيلة حياته، لكنّا عرفناه في الزمن الحاضر فناناً مهماً. يكشف تفحُّص دقيق للوحات البومة التي رسمها الجودة الاستثنائية التي كان يتمتع بها عمله. إذ تصوِّر إحدى صوره البومية المذهلة بومة له علامة جلد كنظارة رسمها في عام ١٨٣٦ عندما كان في أوائل العشرين من عمره[1].



بابلو بيكاسو، البومة، ١٩٥٣، طين نضيج ملوّن.

بابلو بيكاسو[2] PABLO PICASSO (1881–1973)

بقي البومة بسبب رأسه المميّز وعينيه الواسعتين صورة مفضلة للفنانين في الزمن الحاضر. فقد أنتج بابلو بيكاسو سلسلة كاملة من لوحات، ورسومات

1- Vivien Noakes, *Edward Lear, 1818–1888* (London, 1985), plate 10g, pp. 27 and 86.

٢- رسام ونحات إسباني. قضى الشطر الأعظم من حياته في فرنسا. يعدّ أغزر فناني القرن العشرين انتاجا وأكثرهم إبداعا. عُرف بولعه باستكشاف الأفكار والأشكال الجديدة. أسّس هو وجورج براك المذهب التكعيبي. من أشهر آثاره: آنسات أفينيون، وثلاثة موسيقيين، والملاأة الباكية.



بيكاسو يتفحّص صورته
الشخصية كبومة، صوّرها
ديفيد دونكان، دوغلاس.



بيكاسو مع البومة.

البومة في أربعينات وخمسينات القرن العشرين، فحينما حوّل اهتمامه الفني لصنع الخزف، كان البومة موضوعاً متكرراً لأباريقه وجراره.

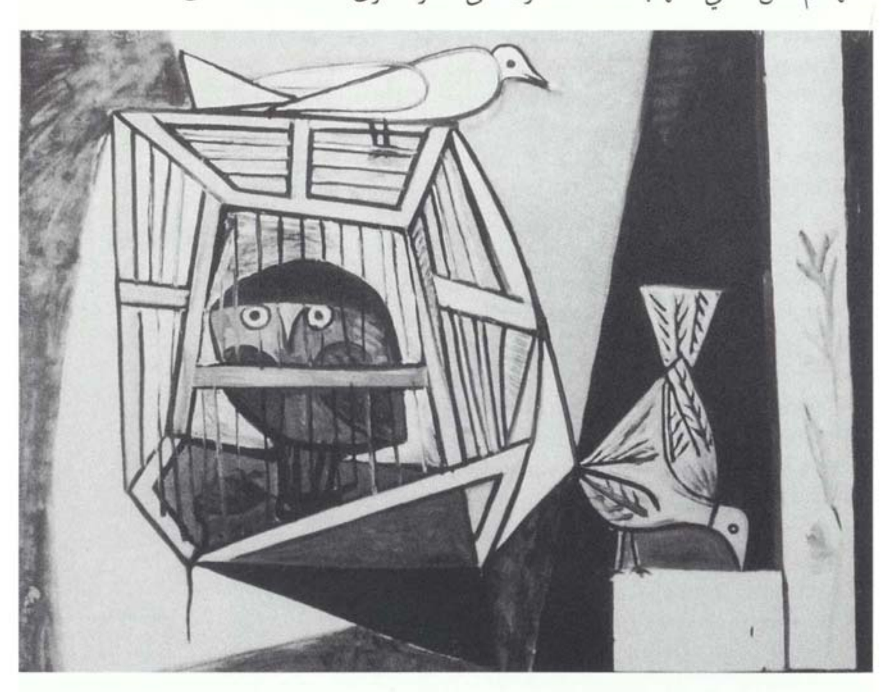
حتى أنه كان يحسب نفسه بومة بسبب عينيه الجاحظتين الشهيرتين. ففي إحدى المناسبات عندما أخذ صديقه المصوّر ديفيد دونكان (David Duncan) لقطة قريبة لجحوظ عينيه الشديد، حوّلهما إلى عيني بومة. طبع دونكان صورتين مكبرتين طالبا من بيكاسو أن يوقعهما له. رفض الفنان «ثم التقط رِمَة رسومه الأولية، ومزّق ورقتين، وتناول مقصه، وقلمه الفحم، وأنهى في دقيقتين رسم صورتين لبابلو بيكاسو كبومة». لقد قام بهذا عن طريق قص عينيه من الصورة، وإلصاقهما على صفحة الرسم الأولي ثمّ رسم رأس بومة حولهما[1].

كان بيكاسو مفتوناً بالبوم ويعي تماماً حقيقة أن وجهه يمتلك صفة تشبه البومة. فقد احتفظ في إحدى المناسبات ببومة صغير حي في بيته طائرا مدللا. لقد أعطاه إياه مصوِّر الوجوه مايكل سيما (Michel Sima، ١٩١٢-

1- David Duncan Douglas, *Viva Picasso* (New York, 1980), pp. 86–7.

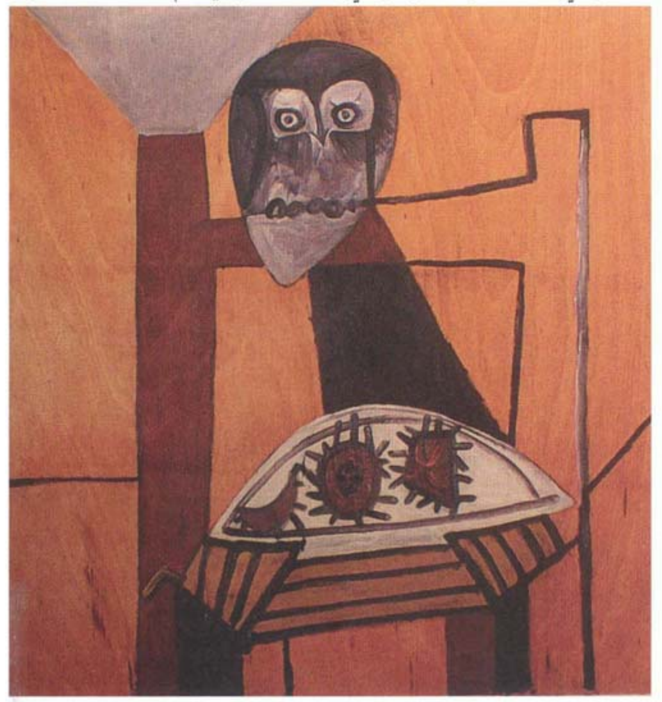
١٩٨٧) في انتايبس[1] (Antibes) في عام ١٩٤٦، وقد التقط سيما صورة لا تنسى لبيكاسو حاملاً طيراً. عثر سيما على البومة في إحدى أرجاء موسي دانتايبس، حيث كان يعمل بيكاسو. لقد كان في حالة يرثى لها، فقد أصيب أحد مخالبه، فأخذه وشمله برعايته وضمّد المخلب إلى أن شُفي. وُضع البومة في قفص خاص ونُقل إلى باريس حيث كان يعيش في مطبخ بيكاسو إلى جانب طيور الكناري، والحمائم، واليمام. كان يطعمه بانتظام الفئران التي يصطادها في غرفة التصوير التي كانت تعجّ بها، إلا أنه كان طائراً نكداً لم يمنح مالكه أكثر من شخرات من وقت لآخر. عندما كان يحدث هذا يكيل بيكاسو له الشتائم، لكنها لم تكن تعطي أُكُلها باستثناء الحصول على شخرة أخرى.

٩١. بابلو بيكاسو، قفص البومة، ١٩٤٧ بالألوان الزيتية على لوح.



١- بلدة منتجع في جبال الألب في فرنسا: (المترجم).

كان بومة بيكاسو الصغير طائراً خاصاً، يمتنع عن أكل الفأر المقدّم في حضرة أي شخص في المطبخ. مع ذلك، فإذا شغرت الغرفة لدقيقة واحدة فقط فإن الفأر يكون قد اختفى لدى عودة الفنان. سجّلت فرانسوا جيلوت Francoise Gilot في سيرتها الذاتية «حياتي مع بيكاسو» Life with Picasso أن بيكاسو «كان معتاداً على إدخال أصابعه من بين قضبان القفص ليعضها البومة، إلا أن أصابع بابلو- رغم صغرها- كانت قاسية ولم يكن الطائر يؤذيه. في النهاية كان يسمح الطائر له أن يهدهد رأسه، وتدريجياً كان يقف فوق إصبعه عوض عضه، ولكن كان منظره الحزين لا يتغيّر حتى عندما يفعل ذلك». استخدم بيكاسو طائره المدلل موضوعاً لرسم لوحته عن البومة الواقف على قمة كرسي المسماة «بومة على كرسي وقنافذ البحر» في عام ١٩٤٦، وثمة صورة



بابلو بيكاسو، بومة يجلس كرسياً و قنافذ بحر، ١٩٤٦، ألوان زيتية على الخشب.

أخرى متأخرة له يحمل بومته الكئيب في راحتيه، مع وجود اللوحة خلفه. لذا تمتلك هذه الصورة ثلاثة أزواج من العيون شديدة الجحوظ، عينيه، وعيني الطائر، وعيني اللوحة، أما التشابه فيما بينها فكانت نتيجة لنيّته الواضحة في خلق وضعية يصعب الاستمرار بها[1].

عندما يتعلق الأمر برمزية البومة- على الرغم من معرفة بيكاسو بأن هذه الطيور كانت ترمز للحكمة في اليونان القديمة- إلا أنه رأى فيها هو ذاته وحوش الليل، والموت الوشيك. لا بد أنه كان عارفاً برسم غويا الحفري لعام ١٧٩٩ «نوم العقل يولّد وحوشاً» المصاحبة لإنسان قائم يحيط به سرب من البوم شريرة المظهر. (أسأل: هل من الواضح أن هذا هو الرسم الحفري ذاته الذي ناقشناه تحت عنوان غويا آنفاً؟). وقد أبدع بيكاسو في عام ١٩٤٨ رسماً أولياً مشؤوماً لحصان منزوع الأحشاء (صورة مأخوذة من معرفته بكيفية الإساءة للأحصنة في صراع الثيران الإسباني) يظهر مع بومة -يجثم بسكون فوق رأسه- من الواضح أنها ترمز للموت الوشيك الذي يحيط بالحصان الجريح.

رينيه ماجريت RENÉ MAGRITTE(2) 1898–1967

يظهر البوم مراراً في أعمال الفنان السريالي البلجيكي رينيه ماجريت. أول صورة ظهرت لها (البوم) كانت في عمل كئيب من عام ١٩٤٢ يدعى «رفقاء الخوف» The Companions of Fear. فقد صوّرت اللوحة التي رُسمت في براسيل Brussels إبّان الاحتلال النازي لبلجيكا منظراً

1- Gertje R. Utley, *Picasso: The Communist Years* (New Haven, ct, 2000), p. 160, fig. 130.

٢- فنان سريالي بلجيكي. أصبح مشهورا بسبب أعماله الفنية المتمثلة في عدد من الصور الذكية المثيرة للفكر، عزل الثيمة في مشهد هلوسي كما لو كان ساذجا يطرق واقعية الخداع البصري، وغالبا ما يستشف من صوره أحجيات تثير أسئلة محرجة حول طبيعة الحقيقة الموضوعية، وما تستبطنه رغبة الإنسان في السيطرة عليها بتسمية الأشياء ورسمها. من أشهر لوحاته حالة إنسانية. انظر: الآن باونس. الفن الأوروبي الحديث، ترجمة: فخري خليل، بغداد، دار المأمون، ١٩٩٠، ص٢٤٦-٢٤٧: (المترجم).



بوم تنمو كالنباتات: رينيه ماجريت، رفقاء الخوف، ١٩٤٢، رسم غواشي على الورق.

طبيعياً صخرياً مقفراً تنبت النباتات ببأس شديد من خلال السطح الصلد. أنتجت خمس من تلك النباتات براعم، ليست زهوراً بل بوماً خضراء. وتتحوّل الأوراق -أثناء خروجها عامودياً من الأرض- تدريجياً إلى أجساد بوم، خالقة كائناً ورقياً/طيراً هجيناً. تعد الصورة -كما هي الحال في كثير من أعمال ماجريت -مزعجة لأنها تحدث خدعاً في عقل الناظر. وقد علّق الفنان في رسالة بعثها لصديقه قبل أعوام عدة من رسم اللوحة: «لقد حققت اكتشافاً مذهلاً في الرسم. فلحد الآن ... كانت وضعية الشيء كافية لجعله غامضاً. ولكن نتيجة للتجارب التي قمت بها هنا، وجدت إمكانية جديدة في الأشياء - قدرتهم على التحول تدريجياً إلى شيء آخر، شيء يلتحم في شيء غيره ... أعني بهذا أنني أنتج صوراً توجب على العين أن «تفكر» بطريقة

مغايرة تماماً عن الطريقة المعتادة»[١].

تمتلك البوم الورقية في هذه اللوحة صفة شريرة. فهي ليست بوما حكيمة أو ودودة، بل إنها قتلة. وكأن ماجريت يقول إنه إبّان حرب الاحتلال النازي عندما اجتاح الخوف سائر البلاد، أصبحت حتى الخضرة عرضة لتحويل نفسها إلى مجموعة من الضواري الليلية المختلسة. ورسم في ١٩٤٤ مشهداً مشابهاً، إلا أن البوم هنا قد أصبحت بيضاء. ولدى الطائر المركزي شِقّي أُذُن ضخمين كأنهما قرنين، وقد كتب ماجريت لصديقه عن «زوجٍ من أذنين مستدقتين في صوري ... هل لهذا علاقة بالشيّطنة؟[٢] كأنه يقول إنه يفكر في البوم من خلال دورها الشرير الشيطاني.

عندما احتدمت الحرب العالمية الثانية قرّر ماجريت أن يقاوم بؤس الفترة الكئيبة عن طريق تقديم أسلوب جديد في الرسم سمّاه أعمال «أشعة الشمس» تبنّى فيها نهجاً متفائلاً وبهيجاً بجرأة وبجد في تقديم صوره موظفاً أسلوباً انطباعياً. يطلعنا في إحدى هذه اللوحات المسماة «السائر في نومه» The Sleepwaker على بومة ضخم يجثم على نافذة تضيؤها أشعة الشمس. يسترخي الطائر وهو يتناول المشروب وبيده غليون التدخين برضى تام. يعلّق مرجع في فن ماجريت قائلاً «الدلالة هنا أنه حتى عاشق الظلام والليل -البومة، يظهر أنه يمرح في حضور الضوء وأشعة الشمس. أما الجميع فينظر إلى اللوحة أنها رمزية للنزعة العاطفية، إذ عدُّ هذا العمل التحاما وانصهارا للمتضاربات -الضوء والبومة المظلم. إنه تحقيق للمستحيل، جارح ليلي عاشق لأشعة الشمس[٣]، يُظهر لنا ماجريت من خلال مشاكسته المعهودة طائر الظلام يستمتع بضوء النهار الساطع، شيء لا يفعله بومة حقيقي. أما الرسالة السياسية فتبدو واضحة.

1- Evelyn Benesch et al., *René Magritte: The Key to Dreams* (V - enna, 2005), p. 168.

2- David Sylvester, *René Magritte, Catalogue Raisonné* (London, 1993), vol. ii, p. 340.

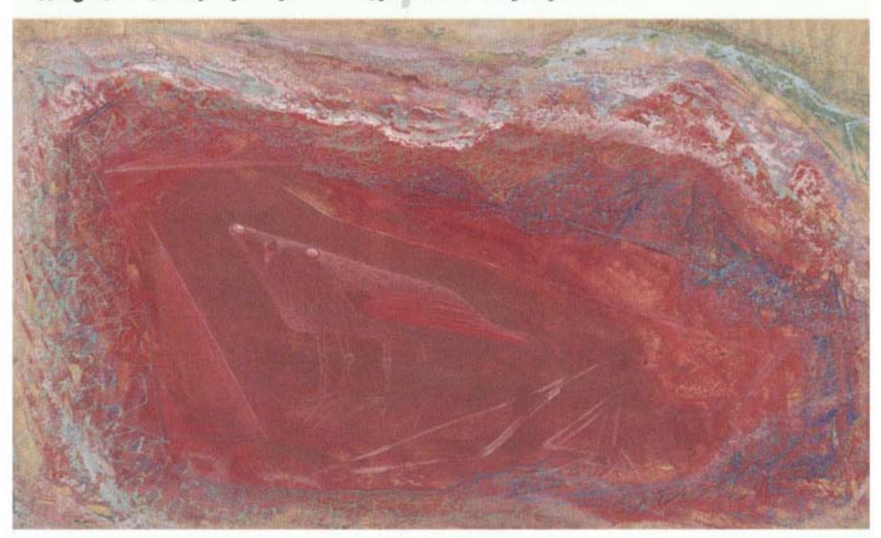
3- Silvano Levy, personal communication, 29 October 2008.

فهو يخاطب النازيين قائلاً، يمكن أن تجلبوا لنا أياما سوداء لكنكم لن تنجحوا في سحق معنوياتنا. بل على العكس من ذلك تماماً، فحتى المخلوق المرادف للظلام قد خرج لنور الشمس.

فنانون معاصرون آخرون OTHER MODERN ARTIST

ضَمَّن باول كلي Paul Klee، وماكس إرنست Max Ernst، وسلفادور دالي Salvador Dali، وجاك هيرولد Jacques Herold وجراهام سندرلاند Graham Sutherland، وبيرنارد بوفيه Bernard Buffet وفنانون آخرون كُثر طائر البومة مراراً في مخزونهم الفني، لكن عادةً ما أخفقوا في إنصاف هذا الطائر أو خلق أية صور خالدة في الذاكرة له، إلا أن الفنان الأمريكي موريس جريفس Morris Graves، ١٩١٠-٢٠٠١) الذي تخصص في رسم لوحات ذات خصوصية ذاتية للطائر، قد ترك لنا صورة شبحية إن لم تكن لبومة تحديداً، فقد استلهمت البومة بالتأكيد. وتظهر اللوحة المسماة «طائر العين الداخلية المعروف الصغير» طائراً غريباً بأربعة أرجل، ووجه

موريس جريفس، طائر العين الداخلية المعروف الصغير، ١٩٤١، رسم غواشي بالألوان المائية.

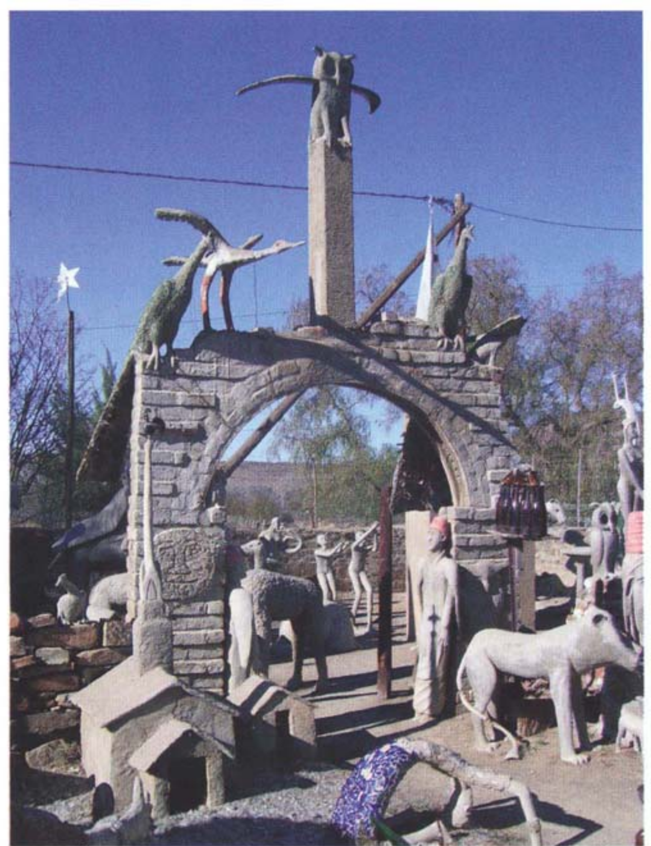




توم دويسترا Tom Duistra («توم د»)، بومتان وطائر، رسمت بعد عام ٢٠٠٠، رُسمت بالأكرليك والقصاصات الملصقة على الورق المقوّى.

عريض مسطّح، ومنقارٌ صغير مفتوح، محبوس في تجويف ضيق أو كهف. يظهر جسده كما البومة الهيروغليفية المصرية بشكل جانبي، بينما يرتد رأسه ليحدّق بشكل مباشر بالناظر. وقد قيل عن هذه الصورة التي رُسمت في عام ١٩٤١ في أوج الحرب العالمية الثانية أن: «تعبّر هذه الصورة مستلهمة البومة عن فكرة الفنان عن جزء خفي من عقل الإنسان نعرف فيه حقيقة أعلى أكثر من حقيقة العالم البومي». وقد نوّه جريفس نفسه قائلاً «إنني أرسم لأستريح من ظواهر العالم الخارجي ... ولأدوّن ملاحظات عن جواهره التي من خلالها نثبت العين الداخلية»[1]. يبدو أنّ هذا المخلوق الذي يشبه البومة كان يختبئ من أهوال الحرب عن طريق الانسحاب إلى مكان آمن، مختبئاً من فوضى الخارج. أو لربما أن الحكمة الكامنة في الشكل الرمزي للبومة الرباعية كانت تتقهقر بعيداً عن غباء الإنسانية الوحشي في الحرب.

1- Dorothy C. Miller, *Americans, 1942* (New York, 1942), p. 56.



قنطرة بيت البومة لهيلين مارتينز Helen Martins في نيو بيثيسدا Nieu Bethesda جنوب أفريقيا.

أنتج الفنانون ذاتيو التعلم المعرفون باسم البدائيين المعاصرين، أو رسامي الأحد، أو الفنانين الدخلاء رسوماً للبومة؛ للذكرى من وقت لآخر. فقد أنتج في لندن الفنان المتميِّز الرائع فريد أريس Fred Aris- المولود في عام ١٩٣٢ وكان يُدير مقهى في جنوب لندن سابقا، ولكنه تفرّغ بشكل كامل للرسم في الوقت الراهن- نسخته الفريدة الخاصة للبومة الشهير والهر. حيث يستلقي على مسافة بعيدة في البحر الهر المرّقط بالسواد النشط الكبير على مقدمة قارب

تجديف بينما يجثم البومة متصلباً في المؤخرة يربط غيثاراً على ظهره. بدا كل من هذين الضاربين الليليين قانطين بما يلاءم وضعهما في مثل هذه البيئة غير الملائمة، إلا أنهما يبدو قد قنعا بقسمتهما.

منعت المسافة البعيدة الهر من الوصول للشاطئ، ولم يقدر البومة ان يطير للبيت بسبب ثقل وزن الغيثار، لذا قبعا هناك ليوافقا بتصبّر متطلبات شعر السيد لير الهرائي[1].

كان للفنان الدخيل ذائع الصيت توم دويمسترا Tom Duistra (المولود في ١٩٥٢ كذا) في الولايات المتحدة- كان يوقع اسمه «توم د» ببساطة- افتتان من نوع خاص بالبوم. فقد أصبح توم -القادم من جراند رابيدز Grand Rapids، ميشغان Michigan- الفنان الشعبي المفضل لكثير من المشاهير الأمريكيين من مثل الممثلة سوزان ساراندون suzan Sarandon، والمغني كورتني لف Courtney Love، والمؤلف توم روبنز Tom Robbins الذي شرع في جمع أعماله. وقد عَرض أعماله مع آندي ورهول Andy Warhol في هولندا، وقد كان لبومه صفة بدائية غاية في الجمال. ما أن تراها حتى يصعب عليك نسيانها.

توجد في جنوب أفريقيا رائعة فنية دخيلة في قرية نيوبيثيسدا النائية. فقد مثلت اللوحة المسامة «بيت البومة» The Owl House مخاض عمر كامل من الحب من جانب المتوحدة غريبة الأطوار التي تحمل اسم هيلين مارتينز (١٨٩٧-١٩٧٦). ولدت هيلين في القرية التي غادرتها فيما بعد لتصبح معلمة. بعد زواجها وطلاقها عادت هيلين إلى مسقط رأسها في نهاية عشرينات القرن العشرين لتعتني بوالديها العجوزين. عندما قضيا، وجدت هيلين نفسها- في أواخر الأربعين من عمرها -وحيدة منعزلة. نتيجةً لعدم انخراطها مع جيرانها نأت هيلين بنفسها أكثر فأكثر. ولإضافة لون على حياتها الرمادية الكيئبة قرّرت هيلين أن تحوّل بيتها الواقع على نَجدٍ جاف إلى عمل فني تذكاري.

1- Krystyna Weinstein, *The Owl in Art, Myth, and Legend* (London, 1985), p. 59.

فقد خلق البيت الذي لبّست جدرانه بقشرة من الزجاج المسحوق، وطلاء فسفوري مضيء، ونوافذ زجاجية بألوان متعددة، ومرايا مزويّة تعكس الشموع الكثيرة التي تحترق هناك، عالماً من الخيال. أحاطت هيلين المبنى -خارج المنزل- بمئات من المجسّمات الغريبة والتماثيل المنحوتة الضخمة لوحوش أسطورية. وكان يرقب المدخل المقنطر الممتد من الشارع بومة رواقي[١]. ذو وجهين، أصبحت هيلين مسكونة بالمشروع الذي استمر حتى وضعت حداً لحياتها-في عمر ٧٨- بشربها صودا كاوية. يُعدُّ المنزل في الوقت الحاضر منطقة جذب سياحي مفتوحاً للزوار يأسرهم العالم السُّريالي الذي بنته هناك على مر سنوات كثيرة، ويهيمن عليه نُصُبُ بوم ضخمة بأجنحة مفرودة، كما لو أنها على وشك أن تطلق نفسها على رؤوس الناس في الأسفل. وقد أعلن المنزل نصباً وطنياً في عام ١٩٩١.

نهايةً، آخر شخص شهير منحنا صورة رائعة للبومة هي الفنانة البريطانية سيئة السمعة تريسي إيمين Tracy Emin (المولودة في ١٩٦٣).تعدُّ تريسي التي تعرّضت للسخرية على نطاق واسع لتقديم سريرها غير المرتب قطعة فنية للعرض لمعرض تيت[٢] tate فنانة جادة أكثر بكثير مما تدفعنا الصحف المصغرة للاعتقاد به. فهي أيضاً -رغم عرضها الصريح سيء السمعة لحياتها الجنسية الحافلة- شخصية معقّدة تحاول من خلال أسلوب حياتها بوصفها شهيرة أن تخفي شخصيتها الحقيقية. إلا أن الحقيقة قد ظهرت -ربما من غير قصد- من خلال رسمها الحفري الصغير لبومة. كانت الإشارة في العنوان: بومة صغيرة- صورة شخصية. تظهر لنا البومة المعنية وحيدة جداً، تجثم شعثاء بائسة فوق عقفة الشجرة. بصرف النظر عن هذا، يبدو المشهد خالياً تماماً. البومة في الطبيعة كائن متوحّد، وقد بدت بومة إيمين -وحيدة كما في أصلها. إن كان هذا ما ترى

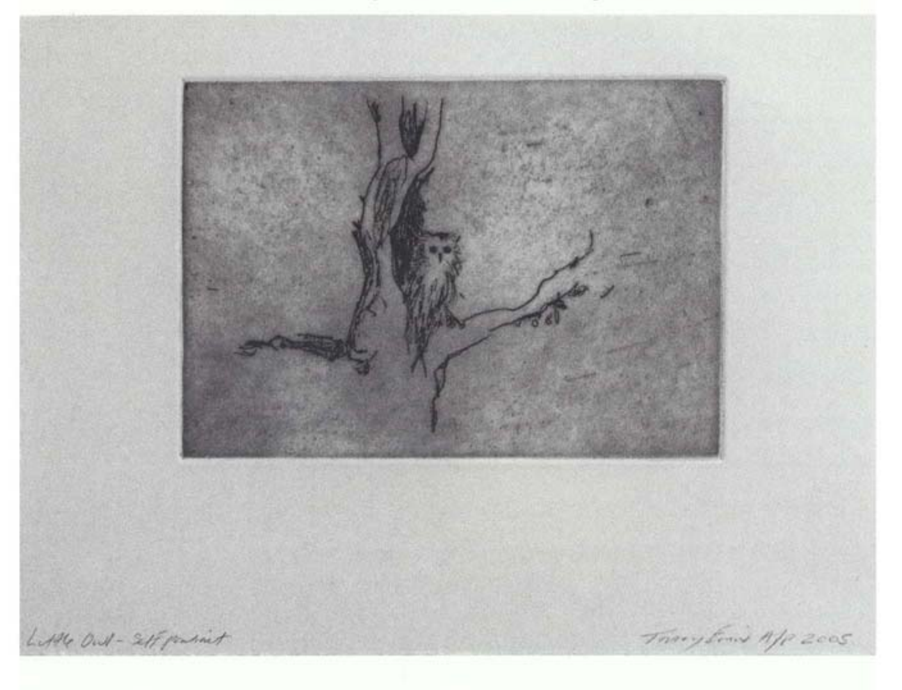
١- أحد أتباع المذهب الفلسفي الذي أنشأه زينون حوالي عام ٣٠٠ ق.م. قال بأن الرجل الحكيم يجب أن يتحرر من الانفعال ولا يتأثر بالفرح أو الترح وأن يخضع من غير تذمر لحكم الضرورة القاهرة. (المترجم).

٢- مؤسسة تحوي مقتنيات بريطانيا الفنية، وتضم أربعة متاحف: (المترجم).

نفسها عليه، فبقى عليها أن تبحث عن نوع الإشباع الذي يحس أحدنا أنها تتوق إليه. شكلت البومة لها -كما هي الحال مع كثير من الفنانين الآخرين- أكثر من بومة حسب، فهي رمز أو كناية من نوع معيَّن، وتبدو الرسالة هنا أن البومة ترمز إلى الوحدة.

يمكن تتبُّع المزيد من مئات الأعمال الفنية التي صوَّرت البومة. فمن الواضح أن البوم تشكل -للفنانين من شتى المشارب- هبة مرئية. إنَّ الفنانين الذين نادراً ما رسموا أو لوّنوا أنواعاً أخرى من الطيور، عادةً ما يعجزون عن مقاومة تخطيط هذه العيون الواسعة، وذلك الرأس المدوّر الرائع. نظراً للإرث الأسطوري الفني المرتبط بصورة البومة، فمن المغري أن نبحث عن تفسير رمزي لكل بومة مرسومة نراها، إلا أن هذا قد يكون خطأ. فالبومة بالنسبة لفنانين كُثُر لا تتعدى كونها شكلاً جميلاً يمكن تذوقه لذاته فقط، دون خرافات أو مسحات

تريسي إيمين، بومة صغيرة- صورة شخصية- ٢٠٠٥، رسم حفري.



باطنية. فبالنسبة لبعضهم، يمكن أن تكون الرمزية مهمة، ولكن لآخرين يمكن خدمتنا بشكل أفضل إذا تم تجاهل التفسيرات الالتفافية المضحكة أحياناً، التي يصدرها مؤرخو الفن، وأن نقبل -كما قال جيرترود شتاين Gertrude Stein -البومة هي بومة حسب، بومة حسب ...

9- البوم النمطية TYPICAL OWLS

بعد دراستنا الطرائق كافة التي رأى من خلالها البشر البوم وتفاعلوا معا على مر القرون، لم يتبق إلا سؤال واحد: ما هي الحقيقة العلمية بشأن هذه الطيور الرائعة؟ كم من حكايات البوم القديمة ترتكز إلى الواقع، وكم عدد التشويهات الجامحة والمبالغات الرومانسية؟ أجريت بحوث عديدة على عائلة البوم في السنوات الأخيرة، وقد تشكلت لدينا الآن صورة واضحة عن ماهية البومة النمطية، وكم هناك من انحرافات استثنائية عن الشكل الطِرازي.

البوم كلها جوارح والغالبية العظمى منها تنشط في الليل فقط. غير أنّ ثمة أنواعا قليلة -مثل البومة الثلجية التي تقطن في المناطق القطبية الباردة- قد تأقلمت مع الصيد في النهار. يتحلى البوم بقدرة إبصار ثاقبة، وقوة سمع مدهشة، وصورة ظلّيّة برأس عريض مميَّزة تمكّن التعرف عليها مباشرة. البومة هو البومة وليس ثمة مقاييس صالحة جزئياً حسب. فليس هناك صيغ متوسِّطة تثير الجدل حول إذا كان طائر معين بومة أم لا.

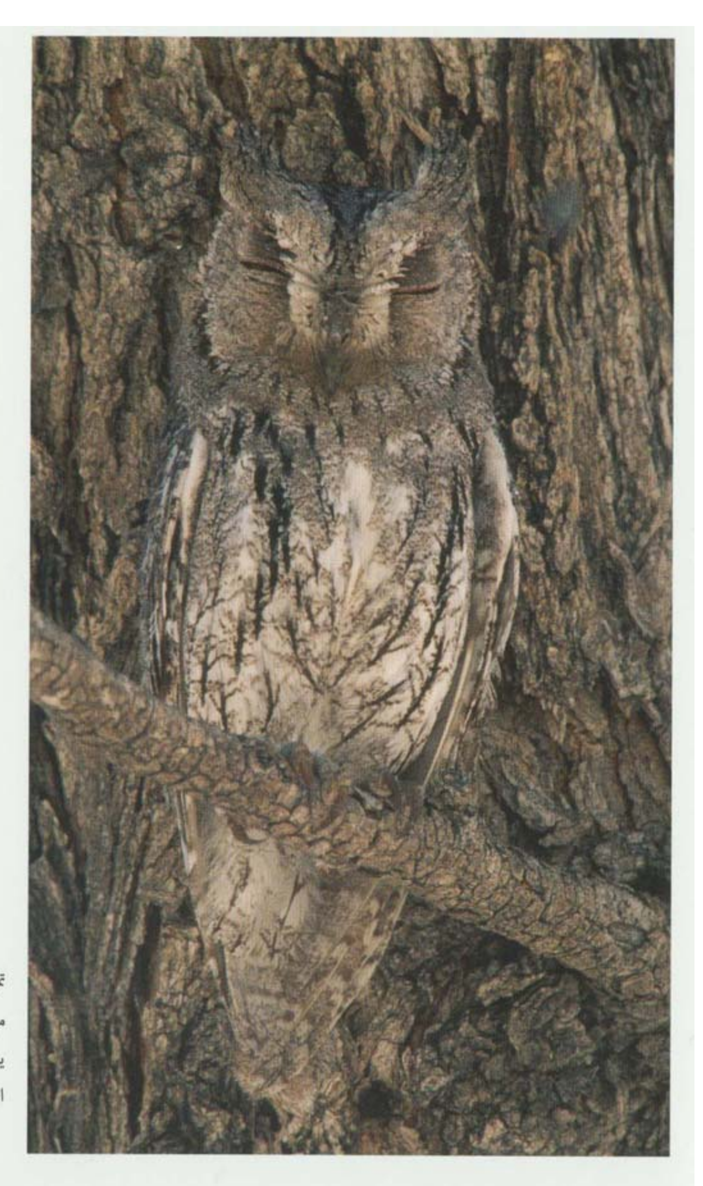
تتمتع غالبية البوم بأنجع خصيصة ويمكن أن يتحلى بها أي طائر جارح -الطيران بسكون- على الرغم من أنّ أنواعا قليلة من البوم قد تخلّت عن هذه الصفة، ويُسمع لها الآن صوت رفرفة أجنحة مثل بقية الطيور الأخر. وللبومة النمطية أيضاً شكل قدم خاص يسمى Zygodactylous[1] وتعني حرفياً «أصابع قدم زوجية»، لها مخلبان موجّهان للأمام واثنان للخلف. غير أن معظم الطيور الأخرى تمتلك ثلاثة مخالب موجهة للأمام ومخلب واحد فقط موجه للخلف، يغطي الريش أقدام البومة الثلجية كاملة تقريباً لتأمين الحماية من صقيع الأرض.

تعدُّ البومة اجتماعياً كائنات متوحدة إلى حد كبير، تنأى بأنفسها مختبئةً، وتنام أثناء النهار، وتصطاد منفردة خلال الليل. فهي لا تجتمع -باستثناءات

١- وضعية يكون فيها كل زوج أصابع عكس الآخر: (المترجم).



البومة الثلجي بأقدام
يكسوها الريش.



تمويه البومة: بومة أفريقي
من عائلة سكوبس Scops
يستريح على شجرة الزرافة
الشوكي في ناميبيا.

قليلة- إلا في موسم التكاثر. البوم الجُحَريّة هي النوع الوحيد الذي يكسر هذه القاعدة بانتظام، ويمكن مشاهدتها عادة قرب جحورها في مجموعات صغيرة من عائلات عديدة مجتمعةً. على الرغم من طبيعتها الانعزلية، إلا أن اللغة الإنجليزية تفرد للبوم اسماً جمعياً. فيُشار إلى مجموعة منها بمجلس نوّاب البوم. من غير الواضح ما إذا كان البوم قد اكتسبت هذا الاسم للاعتقاد أنها طيور حكيمة أم لوجود اعتقاد سائد أنها شريرة.

يمكن لبعض البوم -إذا ندرت المجاثم الآمنة- أن تحتمل رفقاء قليلة في النوم. فالبوم النائمة ضعيفة، لذا يجب قياس نزوحها نحو الخصوصية من باب حاجتها إلى الأمان في النهار. إذا وُجدت شجرة مجوّفة ضخمة جذّابة في إحدى البقع وعزّ وجود أي مجثمٍ مناسب بالمكان، يمكن لمجموعة من البوم أن تتشارك بها، ليس مركزا اجتماعياً نشطاً، ولكن مهجع للراحة حسب. إن لم يتوفر أي شق للبومة النعس فعليه أن يتدبر أمره في حجيرة صغيرة ترتفعٍ في أعلى جذع الشجرة. هنا يصبح ريش البومة النمطي البني المرقّط مهماً، فيساعده على التموّه مع لحاء الشجرة، وقد نجحت بعض أنواع البوم في تبني وضعية تجعلها تبدو امتداداً لجِذْل الشجرة، فتبقى بلا حراك، وعيونها مقفلة بإحكام، وغير مرئية تقريباً للعابَر العادي.

العيون EYES

عيون البوم كبيرة على نحو لافت نسبة لحجم جسدها. تزن عيون بعض الأنواع وزن عيون الإنسان. كما أن لها سطح قرني ظاهر كبير، تبتعدان كثيراً عن بعضها بعضا. وهذه كلها تكيُّفات خاصة للعيش بوصفها طيورا ليلية جارحة. فقد ساعد ابتعاد العينين عن بعضهما في الجمجمة، وصورة الرأس العريض الظلية التي أضفت على هذه الطيور ميزتها الخاصة في تحسين رؤيتها المجسّمة الضرورية جداً في الانقضاض على فرائسها. فهي تملك -في الواقع- أفضل رؤية مجسّمة من بين الطيور كلها.

تعد عيون البوم الموجودة في مقدمة الوجه أبرز صفة تتحلى بها،

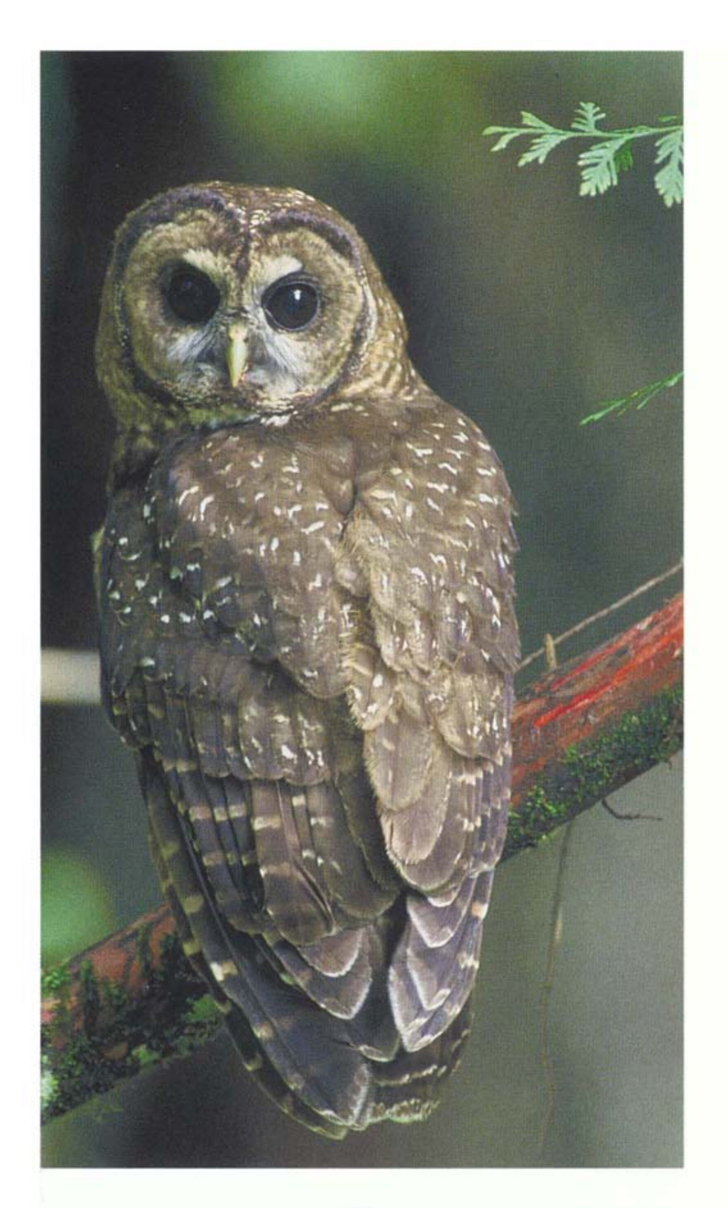
لكن البومة لن يعمد أبداً إلا تقليب عينيه بك أو يرمقك بنظرة جانبية. لأن عيون البوم -بخلاف عيون البشر- موجودة في حجراتها. إذا رغب بومة في النظر إلى أحد الجوانب فلن يتمكن من لف عينيه بل عليه أن يدير رأسه كاملاً. فرأسه فعّال في مثل هذه الحالة، لأنّ لديه القدرة على تدوير رأسه ٢٧٠ درجة، ويمكن أن يميله للأسفل أو للأعلى ٩٠ درجة. يتمكن الطائر من ذلك لأنه يملك أربع عشرة فقرة في رقبته -ضعف ما يملك الإنسان- تمنحه مرونة لافتة في الرقبة.

تملك معظم الحيوانات عيون كروية، لكن البوم لا يملك مثل هذه العيون. فبدلاً من المُقل تملك البوم عيون مسطحة. تُثبَّت هذه العيون اللافتة في مكانها بحلقات صُلبية عظمية أو عُظيمات صُلبية. هذا الشكل المسطح هو ما يمنع الطائر من تدوير عينيه داخل حجراتهم. وقد ساد اعتقاد أحياناً أن شكل العين الغريب هذا قد تطوّر ليساعد في الرؤية الليلية، إلا أن المرجع العالمي العظيم في عيون الحيوانات غوردون ولز Gordon Walls قد أفاد بدقة أن هذا الشكل «لا يضفي شيئاً على قدرة العين على العمل في الضوء الخافت»[1]، إلا أنّ ما يفعله هذا الشكل هو أنْ يمكّن عائلة البومة من تطويرعيون كبيرة دون الحاجة إلى أخذ مساحة كبيرة من الرأس. فلو كان للبوم مُقَلاً كروية ضخمة، فلن يتبقى مساحة كافية بينهما لأدمغتها.

لا يظهر شكل عيون البومة المسطّحة لنا عندما ننظر لطائر بالغ، إلا أن هذه الخصيصة الغريبة تظهر بوضوح عند بعض فراخ البوم في عمر أسابيع قليلة، تصبغ عليها هذه الصفة منظر المخلوقات الغريبة القادمة من كوكب آخر.

لكل عين ثلاثة جفون، جفن علوي وآخر سفلي وثالث رامش. يرتد الجفن الرامش بشكل قطري مائل عبر سطح العين القرني منظّفاً إياه أو موفراً له الحماية. يتمكن البومة من استخدام هذه الجفون الثلاثة شبه الشفافة منفردة أو الاثنين معاً. وتملك معظم البوم تقريباً حدقات صفراء برّاقة تتباين بوضوح

1- Gordon Lynn Walls, *The Vertebrate Eye* (New York, 1967), p. 212.



بومة مرقّط شمالي، رأسه
ملتّف يحدّق خلفه.

فرخ بومة بعمر أربعة أسابيع من عائلة فيروكس Verraux البومة العقاب، يظهر شكل عين البومة المسطح الغريب.





لقطة قريبة لعيون بومة برتقالية.



١٠٥. بومة رمادي ببؤبؤين صغيرين في أذنين[1] برّاقتين.

مع بقعة البؤبؤ السوداء المركزية. يقتم هذا اللون الأصفر عند بعض الأنواع ويتحول إلى اللون البرتقالي، أو حتى للون البني، ولكن عندما تنشط البوم في الليل تصبح هذه الفروقات اللونية بلا قيمة نظراً لتوّسع البؤبؤ لدرجة يملأ فيها الفراغ كاملاً بالسواد.

لعيني البومة مهتمان رئيسيتان: أن ترى في الضوء الخافت جداً وأن ترصد أقل حركة على الأرض. يعد هذان المطلبان —حساسية الإبصار أو حِدة الإبصار- أساسيان لبقاء البومة جارحاً ليلياً. لذا فليس غريباً أن يملك البوم رؤية ممتازة لمسافة بعيدة، على الرغم من ضعف قدرتها على التركيز في الأشياء القريبة. وليس من المفاجئ أيضاً معرفة أنّ الفحوص الدقيقة التي أجريت على

١- ورد ت في النص الاصلي كلمة ears وتعني أُذنين، واعتقد انه خطأ طباعي والصواب eyes عينين: (المترجم).

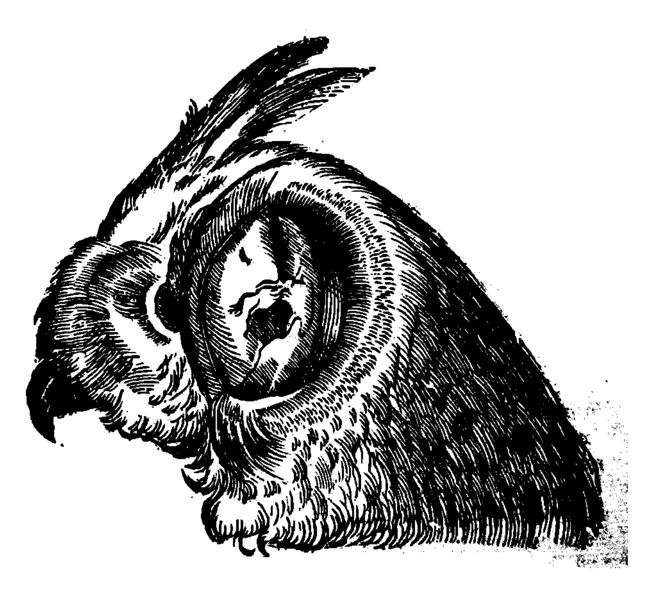
بوم الحظائر قد أثبتت أن حدة الإبصار لديها تفوق حِدة الإبصار عند البشر بـ ٣٥ مرة.

إحدى أكبر المغالطات حول البوم أنها غير قادرة على الإبصار في وضح النهار. شكل هذا الافتراض الضعيف أساساً للخرافات والحكايات الشعبية لقرون عدة، ولكن هذا غير صحيح ببساطة. في الواقع، فإن للبومة النسر الملوكية رؤية نهارية تفوق قليلا قدرة البشر البصرية النهارية. فيمكن لبؤبؤ عين البومة أن يقفل حتى يصبح كثقب دبوس يسمح لكمية قليلة جداً من ضوء الشمس بالنفاذ من خلاله، مما يمكّن البوم من الرؤية حتى في وقت الظهيرة.

الآذان EARS

لا يتمكن البومة أحياناً من رؤية فريسته على الرغم من رؤيته الدقيقة المدهشة بعيدة المدى. فيمكن أن تختبئ ضحيته المقصودة تحت بساط من الأوراق -على سبيل المثال- حينها يبقى المفتاح الوحيد لمكانها هو صوت الحفيف الخافت الذي تحدثه. هنا يجيء دور حاسة البومة السمعية العالية. فقد أظهرت تجارب أُجريت على البوم في المختبرات، أن حاسة السمع لديها تفوق حاسة البشر بعشر مرات. وقد كشفت اختبارات أُخرى أن بوم الحظائر تتمكن من رصد الفئران وقتلها حتى في الظلام المطبق، شريطة أن تحدث ضحاياها نوعاً من الحفيف أو أنْ تصيء.

يجب التأكيد أن شقوق الآذان البارزة عند بعض أنواع البوم التي تنتأ كقرنين من أعلى رؤوسها ليس لها علاقة بعملية السمع من قريب أو بعيد. فدورها الرئيس أن تعمل مثل جهاز الإشارات، إما أن توحي بمزاج البومة أو بالنوع الذي ينتمي البومة إليه. أما الآذان الحقيقية فتكون مخفية تماماً تحت الريش على جانبي رأس البومة العريض. إذا— مع بومة أليف- فُرّقت الريش بلطافة بأصابع شخص ما، فسوف يظهر ثقب الأذن الممتد من تحتها. لا يعد التطور المتقدم اللافت للنظر لآذان البوم اكتشافاً جديداً. فقد نُشر رسم بياني يوضح تركيبتها المعقدة تحت ريش الرأس في عام ١٦٤٦ في مصنّف



أذن بومة معروضة من مصنّف يوليسيس الدروفاندوس Ulysses Aldrovandus, علم الطيور Ornothologiae الجزء الثاني عشر (١٦٦١).

الدروفاندوس العظيم «التاريخ الطبيعي» Natural History.

تقع آذان البوم في شكلها الأكثر تقدماً على نحو غير متجانس على رأس الطائر، تكون إحدى الأذنين أعلى من الأخرى. ونتيجة لذلك فإنّ أدّقّ الأصوات القادمة من الأرض بالأسفل سوف تصل إلى إحدى الأذنين في جزء من الثانية قبل أن تصل للأذن الأخرى، لذلك سوف تكون هذه الأصوات مرتفعة في أذن أكثر من الأخرى.

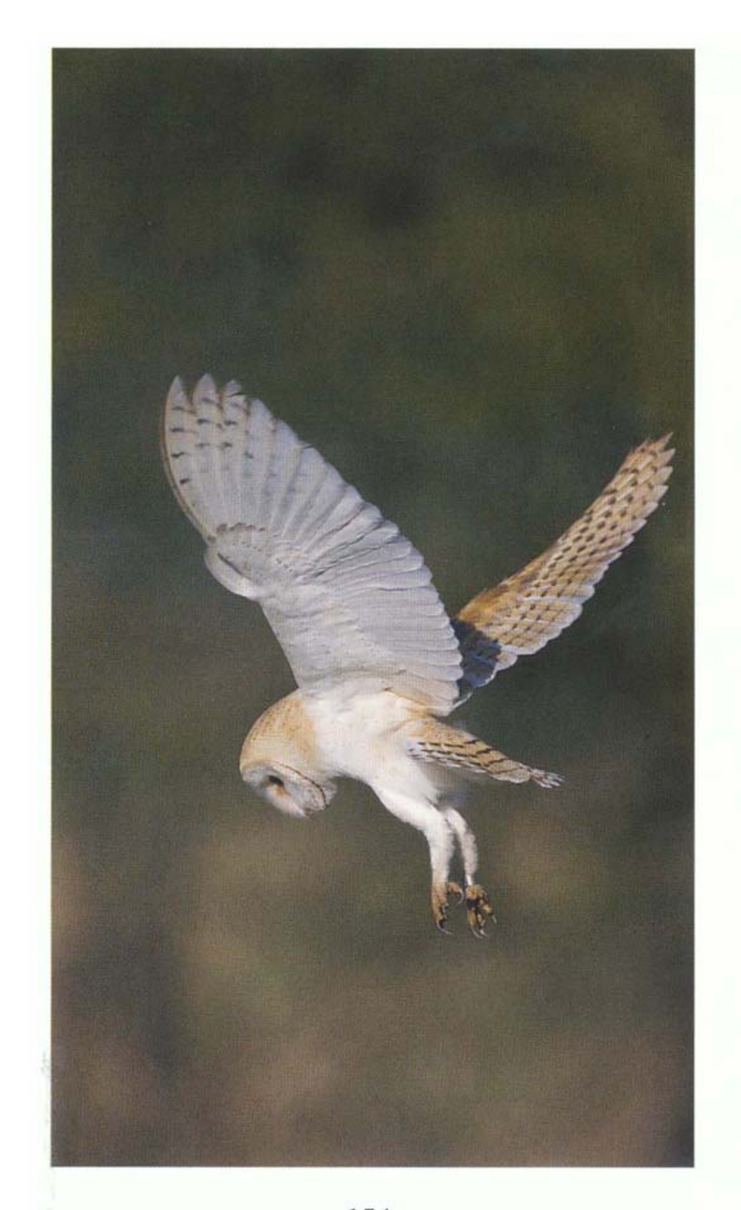
إضافة إلى ذلك، فإذا كانت الفريسة على يسار البقعة التي يحوّم فها الطائر فإن أصوات الخشخشة التي ستحدثها بين أوراق النبات ستصل الأذن اليسرى قبل الأذن اليمنى، والعكس صحيح. من المذهل أن البومة باستقباله هذه الأصوات يكون قادراً على رصد فروقات الزمن إلى ما يصل ٣٠ مليون جزء من الثانية. فمن غير العجب إذاً أن تكون المنطقة المعنية باستقبال الأصوات في دماغ الطائر متقدمة بأطوار كثيرة مما هلي عليه في الطيور الأخرى. فهي -على سبيل المثال- معقدة بثلاث مرات أكثر مما عليه عند الغراب.

ما يساعد عملية السمع المصقولة هذه، هو ما تملكه معظم أنواع البوم من قرص وجهي مقعّر من الريش الصغير. فيعمل هذا القرص كصحن رادار يوجّه الأصوات إلى الأذنين، وهناك أيضاً عضلات وجهية خاصة تستطيع أن تغيّر تقعُّر الصحن جاعلة إياه أعمق أو أحدب أثناء حوم الطائر فوق فريسته، ليقيِّم مكانها بالضبط. ما أن يتأكد البومة من موقع ضحيته حتى يقوم بانقضاضة السريع الصامت، فارداً أصابع قدميه على وسعهما ليخطف الفريسة الآمنة بقبضة قاتلة. إذا تحركت الفريسة أثناء هذا الهبوط الخاطف فإن البومة يكون قادراً على تعديل مسار انقضاضه بما يقتضي الأمر.

أجريت بعض الاختبارات في ستينات القرن العشرين لمعرفة أي نوع من البوم يملك أفضل قوة سمع. وقد أظهرت النتائج أن تلك الأنواع التي تعيش في الغابات الشمالية تملك قوة سمعية أفضل من البوم التي تعيش في المناطق الاستوائية. يبدو هذا منطقياً إذا فكّر أحدنا بما يجب أن يكون عليه من يصطاد ليلا في غابة الصنوبر الشمالية إذا قورنت بالغابة الاستوائية المطيرة. لا بد أن منتصف ليلة في الغابة الشمالية الباردة يكون ساكناً كقبر، فيمكن أن يسمع طائر البومة المحوِّم حتى وقع أقدام فأر. أما منتصف الليل في الغابة المطيرة الاستوائية الذي يعج فيه هواء الليل بالحشرات المسقسقة ونقيق الضفادع، فإنه يحتمل ضجة كبيرة تؤثر في قدرة البومة على عزل فريسة معينة من أصواتها حسب. لذا يصبح بصيص الضوء عند الفجر والغسق هما الوقتان المهمّان للبوم الاستوائية حتماً، عندما تؤدي الرؤية دوراً أكبر في رصد فرائسها.

الصيد HUNTING

يحوِّم البومة لبرهة عندما يخرج للصيد ليلا، يرقب بعينيه ويصغي بأذنيه المذهلتين. إن لم يرصد شيئاً، فإنه ينتقل بصمت إلى بقعة أخرى ويبدأ بالحوم هناك. ما أن يرصد فريسته حتى يغيِّر إلى الأسفل إلى بعد ٦٠ سم (قدمين)، ثم يؤرجح قدميه لوضعية أمامية فارداً أصابع قدميه ومخالبه الحادة متأهبة للعمل. فيطبق على ضحيته في نصف ثانية ويتشبث بها بقوة، ويقضي عليها



بوم حظائر صياد يحوم
فوق حقل.

بومة قابض على فريسة، من مصنَّف يوليسيس الدروفاندوس، «علم الطيور»، الجزء الثاني عشر، (١٦٦١).

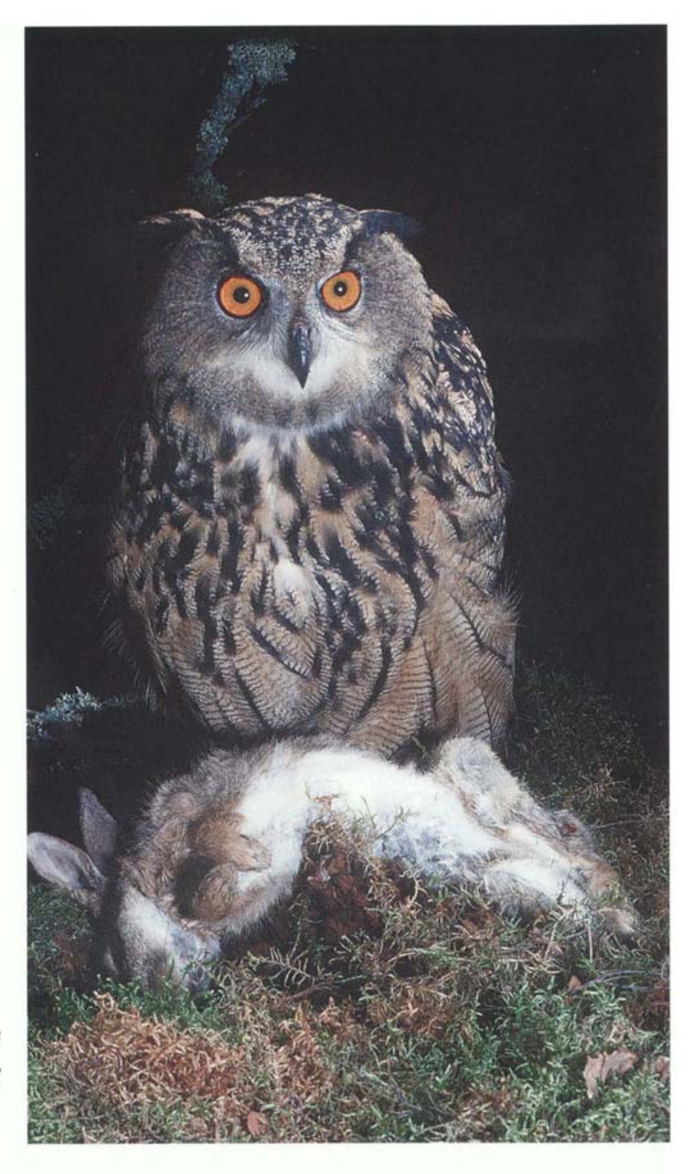


عادة مباشرة. إذا كانت هناك أية مقاومة فإن المنقار القوي المعقوف يشترك في العملية. عند هذه النقطة يطير البومة عادة إلى غصن شجرة حاملاً الجثة إما بمخلبيه أو -إن لم تكن ضخمة- بمنقاره. ما أن يستقر على الغصن حتى يباشر بابتلاع فريسته كاملة، وتأخذ العملية عدة بلعات قوية كي تتم. يبدأ البومة في أحوال نادرة عندما تكون الضحية ضخمة جداً بتقطيعها إرباً قبل التهامها، في حين تلتهم الفريسة الصغيرة جداً مباشرة بمكان اصطيادها.

تملك بعض أنواع من البوم أجنحة أقصر من أجنحة الأنواع الأُخرى،



بومة طائر حظائر Tito Alba مع فريسة.



بومة النسر Bubo Bubo
مع أرنب ميت.



بومة صياد سمك من عائلة
بيلزPels
Scotopelia peliمع
فريسة سمكة الصلوّر.

ويفضل هذا النوع عامة ما يسمى الاصطياد من علٍ. فتتخذ موضعاً ملائماً في أعلى سارية أو عمود من نوع ما، وتجثم هناك بلا حراك منتظرة ضحية أن تتحرك بجوارها. عندما يحدث هذا، تُغيِّر وتُطبق عليها مباشرة، يتطلب هذا النوع الأقل نشاطاً من الصيد بيئة يسهل فيها الالتقاط.

من الضروري أن لا تسمع الفريسة -التي يمكن أن تمتلك أذنين حساستين أيضاً- قدوم البومة أثناء الصيد. لقد ذُكر صمت تحليق البومة الغريب من قبل، لكن لم يفسَّر للآن كيفية تحقيق مثل هذا السكون.

يكمن السر في تصميم ريش التحليق، في قوادم الأجنحة الرئيسية الطويلة. تكون هذه القوادم متصلبة ذات سطح خشن وحواف ملساء عند الطيور الأخرى، مثل ريشة قلم الريشة، إلا أن قوادم البومة تمتلك حواف مهدّبة مسننّة بنعومة ذات سطح مخملي ناعم. تخفف هذه الصفات من حدة حركة الهواء حول أجنحة البومة عندما تضرب في هواء الليل، وتضاؤل صوت الهفيف الذي يتوقع المرء أن يسمعه أثناء حوم الطيور أو طيرانها. إلا أن هذا الصقل له ثمن، ذلك أنه كلما ازدادت نعومة ريش الجناح كلما تتطلب ذلك جِيداً أكبر من البومة الصيّاد، إلا أن المنفعة العظيمة التي يجلبها التحليق بصمت للجارح المختلس يجعل من الجهد الإضافي جديراً بالقيام.

تتنوع وجبات البومة، إلا أن القوارض من مثل فئران الحقل، والفئران، والجرذان تشكل مجمل ما يتناوله الطائر. فعلى هذا الصعيد، تعد البوم ضوابط آفات قيّمة وأصدقاء للمزارعين، من المؤسف أنَّ تعنّت الخرافات القديمة في أن تفنى البوم أدى إلى اضطهادها في بعض المناطق بدل الاحتفاء بها حتى في زمننا الراهن.

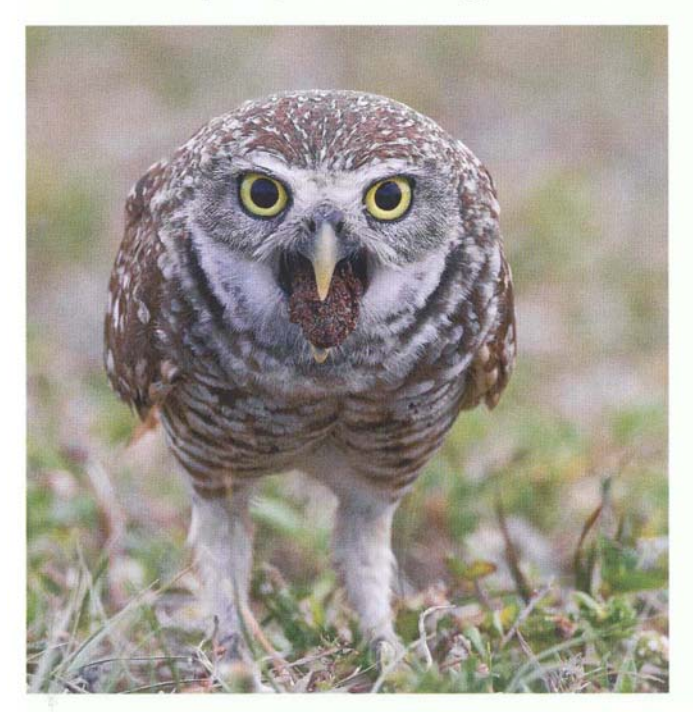
ويتغذى البوم أيضاً على تشكيلة من الطيور الصغيرة، وأحياناً قد تضم القائمة الأرانب والسمك، والبرمائيات، والزواحف. لا تحترم البوم الكبيرة النوم وتعمد عادة إلى افتراس أنواع البوم الصغيرة وقد عُرِف عن أضخم البوم أنه يفترس أنواع حيوانات من حجم الثعالب، والغزلان الصغيرة، والكلاب. في حين تفضل أصغرها الحشرات الكبيرة، والعناكب، والكائنات اللافقارية

الأخرى. ويمكن التقاط الحشرات من على الأجنحة.

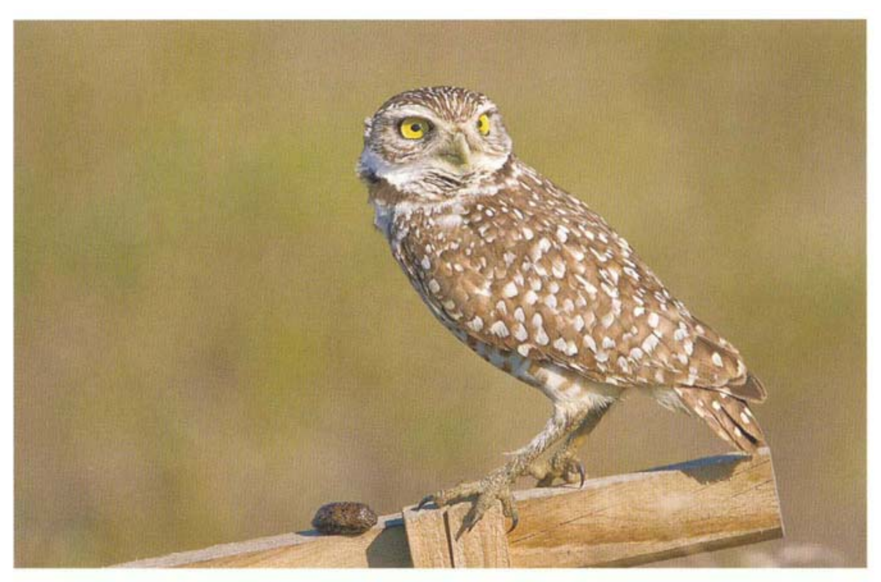
عندما يتوافر الطعام بكميات استثنائية، تعمد البوم إلى تخزين كميات منها لنفسها في موضع معين. فتدفع الصيد الفائض إلى تجويف شجرة، أو في ثنية أو تفرُّع غصن يفي بالغرض، أو أحياناً في العش.

كُريات بقايا الطعام PELLETS

تواجه البوم التي تلتهم فريستها دفعة واحدة مشكلةً. يمكن أن تتجنب بذل جهد في إتمام مراحل هضم الطعام، ولكن هذا يخلّف لها معدة مليئة بمواد غير قابلة للهضم، مثل العظام، والمناقير، والمخالب، والأسنان، والحراشف، وهياكل الحشرات. تجمع هذه المواد غير المرغوب فيها في كريّة رطبة مستطيلة



بومة تلفظ كريّة.



بومة الجُحور، إلى جانبها كريّة ملفوظة حالا.

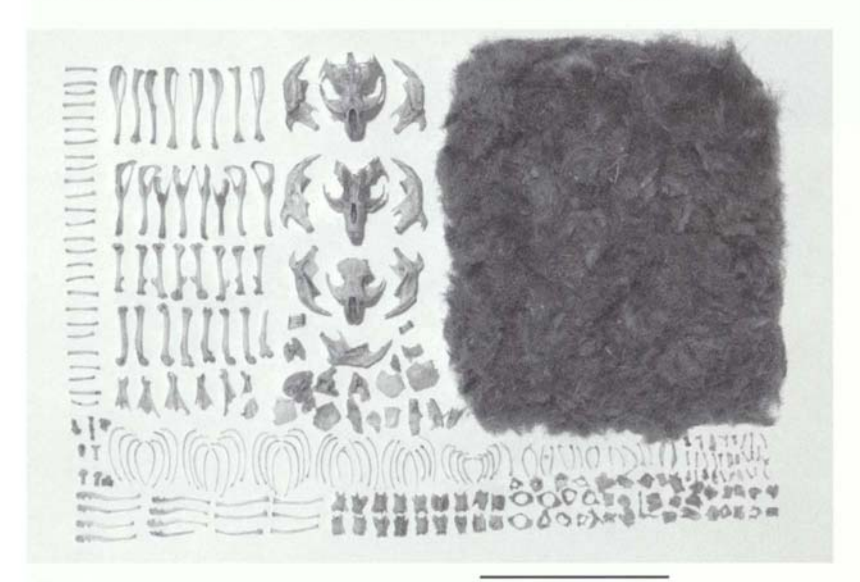
لزجة يلفظها الطائر فيما بعد. ما يساعد على التقيؤ حقيقة أن البوم أحياناً تحاول تشكيل كرية بطريقة خاصة، فتغلّف الأشياء الحادة داخل طبقة خارجية من مواد ملفوظة أنعم من مثل الفرو والريش. لا يبقى في معدة الطائر بعد ذلك إلا الأجزاء الليّنة من الفريسة التي يتمكن من هضمها بسهولة بمساعدة أنزيمات وأحماض المعدة.

تساعد هذه الكريات -التي توجد ملقاة على الأرض قرب مجثم الطائر أو عشه- علماء الطيور مساعدة كبيرة. فيمكن من خلال جمعها من الغابة أو أرض الحرج، وتشريحها بعناية، وتحليل محتوياتها غير المهضومة، تقييم عادات الغذاء عند البوم بدقة كبيرة. و قد ساعدت حقيقة أن البوم يمتلك فتحة بوّابية ضيّقة جداً تربط المعدة بالأمعاء الباحثين في هذا السياق. تمنع هذه الفتحة العظام باستثناء الصغيرة منها والفتات النفاذ من المعدة، لذا تحتوي الكرية الملفوظة عادة هياكل الحيوانات المُفترسة كاملة التي التُهمت في الليلة السابقة، مما يسهّل مهمة تحديد نوع البومة.

يعد تحليل كريات البوم أداة تعليمية ممتازة، تحظى بسبع شركات متخصصة في توفير الكريات إلى المدارس والمؤسسات التعليمية الأخرى. فعلى سبيل المثال، تفتخر شركة كُريات قائلة «لنا الفخر في تزويد أفضل كريات بومة الحظائر وأفضل خط لدعم المنتجات في العالم... لأننا نجمع، ونعقّم بالحرارة، ونعزز، ونغلّف، ونشحن كل كرية نبيعها، نضمن أعلى جودة وأفضل خدمة . ظل موظفو شركة الكُريات يفرزون فرزاً يدوياً دقيقاً، ويغلفون كل كرية نبيعها لثماني عشرة سنة مضت»[1].

يتبع إنتاج كريّات البومة دورة منتظمة. أولاً، يصطاد البومة، فيقتل ويلتهم فريسته دفعة واحدة. تنزلق الجثة الصغيرة عبر مريء الطائر، وتندفع مباشرة إلى معدته الغدّية معدته الحقيقية؛ ذلك أن البومة لا يمتلك حوصلة، فتهاجمها

محتويات كريّة لفظها بومة الأذنين الطويلتين Asio outs.



1- Pellets are available from pelletsinc.com or pellet.com or pe - letlab. com in Washington State; owlpellets.com in California; owlpelletkits.com in New York State.

عصارات الهضم. ثم تنتقل إلى المعدة العضلية، أو القانصة معدة الطائر الثانية، ثمّ تمرّر أجزاء الفريسة القابلة للهضم إلى الأمعاء للامتصاص، بينما تراكم الأجزاء غير القابلة للهضم في كرية. ثم تندفع هذه الكريّة للوراء، إلى المعدة الغدّية حيث تخزّن هناك لمدة عشر ساعات تقريباً. لا يتمكن الطائر في هذه المرحلة من دورة الهضم من تناول أي شيء؛ لأن الكرية تسد جهاز الهضم. عندما يتهيأ البومة للصيد من جديد، يبدأ بإظهار تعابير عدم الراحة. فيغلق عينيه ويمد رقبته للأمام وللأعلى، ومنقاره مفتوح. تسقط عند هذه المرحلة الكرية من فمه وتقع على الأرض. يصبح الطائر جاهزاً الآن للاصطياد مرة أخرى وتكتمل الدورة.

الصوتVOICE

قيل إنّ البوم تُسمع أكثر مما تُرى عادة، وقد يفسر هذا سبب تخوّف بعض الناس منها، ويراها آخرون غرباء من عالم آخر. فهي ليست طيورا مغنية، فحتى صوت تو- ويت تو-وو التي يُظن أن البومة الصفراء المسمرة تصيح بها يُعد صوتاً ودوداً ولطيفاً ليصدر منها. فإصغاؤك لمعظم البوم تصيح في أجواء الليل يدعوك للتخيُّل أنك تقف خارج حجرة للتعذيب. لقد قيل إنها تنعب، لكن الواقع أنها تزعق، وتصرخ، وتصيح، ذعراً، وتنفجر شاكيةً. ويُعرف عن بوم أُخرى أنها تهدر، وتشخر، وتطن، وتكح، وترن. وتشبه أصوات بعض منها صوت الآلات غير المشحّمة، وأخرى صوت رجل يحاول تشغيل سيارته ببطارية مستهلكة. إلا أن ثمة بوم يشبه صوتها جندب عملاق أو تقاطع نباح كلب الترير كلب صغير الحجم مع صوت قرد الجبّون قرد صغير الحجم. ينحصر إنتاج الأصوات الأسلس والأنعم على البوم الأكبر حجماً، وحتى هذه فهي تذكرّنا بصوت أحد ما يتظاهر أنه شبح ليخيف طفلاً صغيراً.

تُعد التسجيلات التي أُجريت للبومة المقرّن العظيم Bubo Virginianus محيرةً، ذلك أنها تكشف ان كل طير يملك إشارة مورس عن ال وو-وات خاصة به، وهذا يعني افتراضاً أنه بوسع الأفراد تحديد بعضهما

بعضا بيسر وسهولة، على الرغم من عدم امتلاك أحدها أكثر من نغمتين في «أغنيته»، ووو طويلة و وو قصيرة.

فقد يصيح أحدهم: ووو- وو- وو- وو- ووو- ووو.

في حين ينده آخر: ووو- وو- وو- وو- وو- ووو.

ويصيح ثالث: ووو- وو- وو- وو- ووو- ووو- ووو.

تكفي هذه الفروق الواضحة الذكور الأنداد التي تنعب أحدهما الآخر ليلا لترمز إلى مواضعها المناطقية، ولحماية مناطق الصيد التي تخصها. إذا توقف بومة عن النعيب فجأة ليلا، فسوف تُسحب منطقته تدريجياً على يد الأنداد المجاورين.

يجذب نعيب الذكور الإناثَ في موسم التكاثر، ويساعدها في تهيئة البيئة المناسبة للتكاثر. يمكن أن لا تبعث الأصوات التي يطلقها البوم أصداءً موسيقية في الغابة كما تفعل الطيور المسقسقة، لكن لها الوظيفة ذاتها والفعالية عينها.

التكاثر BREEDING

يمكن أن يكون البحث عن شريك عملاً خطراً للبومة. فكونه جارح مناطقي يمتلك أسلحة فتاكة، فإنه يستطيع أن يدافع عن موطنه ضد كل القادمين. ولأن الذكور والإناث تشبه بعضها بعضا في أنواع البوم كلها تقريباً، فليس من السهل في بداية موسم التكاثر تحديد ما إذا كان الطائر المقترب أحد طيور الجنس الآخر باحثاً عن شريك أو ندٌّ من الجنس نفسه. عادة ما تكون الإناث أكبر حجماً بنسبة طفيفة من الذكور، لكن هذا لا يعد مفتاحاً كافياً للحكم على جنس طائر آخر. هناك حاجة لمزيد من المعلومات تتمثل عادة في فروقات النداء والسلوك. تؤدي معظم أنواع البوم لحنها بشكل ثنائي، وترتد نداءات الذكور والإناث المختلفة من واحد لآخر. ويقدم سلوك الأنثى المقتربة إشارات للذكر المقيم أيضاً. فهي تقترب منه بطريقة استرضائية لا تظهرها عدائية ولا خائفة. فلو كان الطائر المقترب نداً ذكراً، فسيكون رد مالك المنطقة الذكر إما القتال أو الفرار. كي ترغِّب الشريك، يجب على الأنثى أن تتجنب الخيارين.

تحتمل مراحل مغازلة البوم الأكثر حميمة مقداراً كبيراً من اللثم بالمنقار، وتمايل الجسد، والالتواء، ورفع الأجنحة، وهز الرأس، ونفش الريش، فيحاول الزوجان تحقيق الإثارة المتزامنة التي ستفضي إلى التزاوج. لوحظت أحيانا عروض الطعام (المعروفة عند طيور أخرى) عند البوم المتغازل حينما يقطع عروض إغاراته للقتل السريع، ويقفل طائراً مقدما الجثة لأنثاه هدية خاصة.

ما يخفف من إشكالات اختيار الشريك حقيقة أن معظم البوم أحادي الزواج، ونتيجة لذلك لا يواجه التحدي الصعب في العثور على شريك مناسب إلا مرة في حياته. لا يبقى الزوجان مع بعضهما بعضا في أنواع كثيرة من البوم خلال مواسم اللاتكاثر في السنة، ورغم ذلك تتعرف على بعضها من جديد عند حلول موسم التزاوج، بدلاً من البداية من الصفر.

بالنسبة للبوم، يعد العثور على موقع ملائم للعيش أهم بكثير من بنائه. فبلغة بناء العشوس، تقف البوم على الحد المقابل للمقياس من طيور الحبَّاك.

يعوز أعشاشها عادةً دقة الصنع، فهي تُبنى لغايات استقرابية أو مؤقتة، إلا أنها تعتني كثيراً باختيار موقع العش. فتبحث عن فجوة محمية، أو زاوية آمنة لبناية مهجورة مهدمة، أو تجويف شجرة، أو صدع صخري، أو عش طائر آخر مهجور. ما أن تجد موقعاً مناسباً فتتخذه لها، لتباشر الأنثى بوضع مجموعة من البيض الأبيض الكروي تقريباً. عادة ما تقوم الأنثى بحضانة البيض بنفسها خلال الـ ٢١-٣٥ يوماً اللازمة لفقس البيض. يجلب شريكها الطعام لها خلال هذه الفترة إلى العش. ما أن تفقس البيض حتى يشترك الوالدان بجلب الطعام للأفراخ. ويمزق الوالدان الفريسة للأفراخ الصغار قبل إيصالها لها، مسهلة عليها ابتلاعها.

يختلف عدد البيض الذي تضعه أنواع البوم المختلفة كثيرا، لكن العدد المعتاد لمعظم الأنواع لا يتعدى ثلاث أو أربع بيضات. تضع الأنثى عادة بيضة كل عدة أيام، وهو ما يؤدي إلى اختلاف أحجام الأفراخ. إذا كان الطعام وفيراً تنمو الأفراخ جميعها بقوة، أما إنْ كان شحيحاً فلن تتمكن من البقاء إلا الأفراخ الكبرى. ففي الأوقات العصيبة تستعصي المنافسة على الأفراخ

الأصغر للحصول على الطعام، ويمكن أن تقضي نحبها جوعاً في العش، فتصبح أنفسها طعاماً للأفراخ الكبرى سناً. يضمن نظام التكاثر القاسي هذا أن يخلّف الوالدان العدد الملائم من الأفراخ لبيئة معينة.

يمكن أن تكون البوم سيئة في بناء الأعشاش، لكنها تتميّز في دفاعها عن أعشاشها. فإذا ما اقترب متطفلٌ -بما في ذلك كائن بحجم إنسان بالغ- من عش مسكون، فإما أن يؤدي البومة الوالد عرضاً دفاعياً مثيراً، أو ينفذّ هجوماً وحشياً. يتكون العرض من نفش الريش جميعه، وفرد الجناحين على اتساعهما وتدويره للأمام وللأسفل. أثر هذا العرض يتمحور في جعل البومة يبدو هائلاً فجأة. وقد يتابع في هذا العرض التهديدي ليقعقع منقاره ويصدر أصوات هسهسة وأصواتا شريرة أخرى، كأنه يقول: إذا اقتربت خطوة أخرى فسوف أهاجمك. تحدّق عيناه الكبيرتان البّراقتان بثبات في المتطفّل مضيفة بذلك مزيداً من التخويف. خاصية التهديد التي تحملها هاتان العينان قد تّمخضت عن نسخهما على شكل



عرض تهديد لبومة مقرّن كبير Bubo Virgi-ianus طائر صغير عاجز عن الطيران في وضعية دفاعية.



الفراشة البومة
Caligo eurilochus sulanus
بومة تحاكي وجه بومة.

علامات عرض على أجنحة بعض العث والفراشات أسأل: هل ثمة أسلوب آخر للتعبير عن هذا - فيوحي أن العلامات تُنسخ بتعمّد وليس تتطور.

لدى بعض البوم استراتيجية دفاع إضافية تتمثل في تأدية استعراض تشتيتي. فيعمد طائر والد في هذا الاستعراض إلى الرفرفة حول وقرب العش كما لو أنه مصاب إصابة بالغة، بما يوحي أنه فريسة سهلة. فهو يحاول من خلال هذه الطريقة أن يجذب انتباه المتطفّل بعيداً عن صغاره العاجزين في العش. وعندما يقترب المتطفل من الإطباق عليه، يطير الطائر البالغ الذي كان واضحاً أنه ضعيف مبتعداً إلى مكان آمن و-بشيء من الحظ -يغفل المتطفل عن الأفراخ.

في بعض المناسبات قد يضطر البومة إلى شن هجوم كامل، فيغير الطائر الوالد منخفضاً فوق رأس المتطفل، ويحاول أن يشرطه بمخالبه الحادةالتي تشبه موس الحلاقة. فقد فَقَدَ إريك هوسكنج Eric Hosking مصوّر الطيور

الشهير عينه اليسرى بضربة بومة أسمر مصفّر في مواجهة مماثلة. وقد نشر سيرة ذاتية بعد ذلك تحمل عنوانا ساخراً «عين من أجل طير» An Eye for A Bird.

التجمهر القاتل MOBBING

أحد أغرب نواحي تاريخ البوم الطبيعي، هو المعاملة التي يتلقاها من الطيور الأخرى. فإذا ارتكب بومة خطأ الظهور في العلن لسبب ما في ساعات النهار، فيجب أن يتوقع أن يُحاط بسرعة ويهاجمه حشد من طيور النهار الغاصبة. قد تكون هذه الطيور أصغر حجماً من البومة بكثير لكنها تطمئن لكثرة أعدادها.

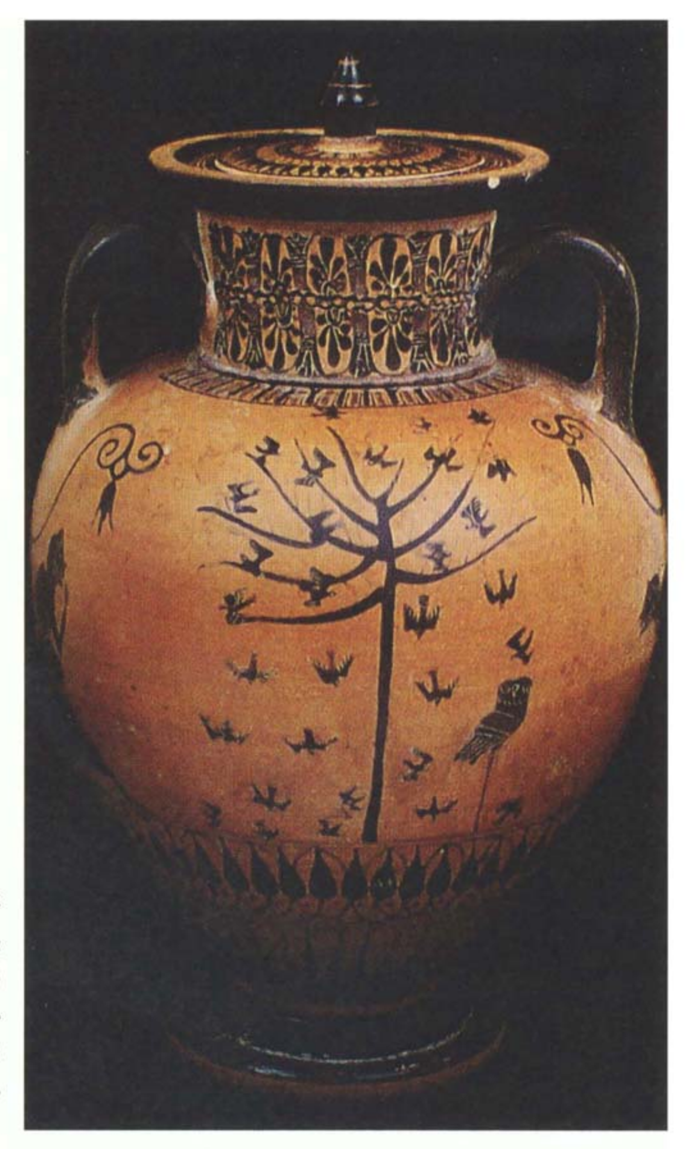
سحر سلوك التجمهر هذا المراقبين البشر منذ القرن السادس قبل الميلاد على الأقل. فثمة زَهريَّة يونانية جميلة على شكل أمفورة[1] سوداء يرجع تاريخها إلى ذلك الوقت، تُظهر بومة مُقيّد بحبل طويل إلى سارية تحت شجرة. يغطي السماء من حول البومة الأسير سرب من الطيور الصغيرة، وقد استقر بعضها فوق أغصان الشجرة.

لقد طليت هذه الأغصان بالدابوق اللاصق؛ فما أن تحط عليها الطيور الصغيرة حتى تلتصق بسرعة مما يسهل صيدها وذبحها لتوضع في قصعة الطبخ. لم يكن صيادو الطيور على علم بظاهرة التجمهر حتى ذلك التاريخ حسب، بل عرفوا كيف يستغلونها أيضاً.

بعد مرور عقدين من الزمن، كشف أرسطو[2] Aristotle في كتابه «تاريخ الحيوان» Historia Animalium، صدرت نسخته الأولى في عام ٣٥٠ قبل الميلاد، أنّ هذه المعرفة لم تُفقد عندما كتب «في وضح النهار ترفرف كل الطيور الأخرى حول البومة -ممارسة شاع تسميتها بـ «الإعجاب به»- تلكمه،

١- قارورة ضيقة العنق ذات عروتين كان الإغريق والرومان يضعون بها الخمر والزيت: (المترجم).

٢- أرسطوطاليس(٣٨٤-٣٢٢) فيلسوف يوناني. تلميذ أفلاطون وأستاذ الاسكندر المقدوني. جرت فلسفته في اتجاه مغاير لفلسفة أفلاطون، وتعاظم اهتمامها بالعلم وظواهر الطبيعة.من أشهر كتبه: الأوراغانون (في المنطق)، وكتاب السياسة، وكتاب ما وراء الطبيعة، وكتاب الطبيعة، وكتاب الشعر: (المترجم).



تجمهر حول البومة المقيّد بحبل، من إبداع بوتشي الرسام (في الربع الأخير من القرن السادس قبل الميلاد)، شكل أمفورية سوداء إغريقية من أثينا.

وتنتف ريشه، نتيجة لهذه العادة، عمد صيادو الطيور إلى استخدام البومة طُعماً للإمساك بالطيور الصغيرة من أنواعها كافة[1]، الغرابة في هذا التعليق هي في استخدام كلمة «الإعجاب» لوصف فعل التجمهر والهجوم. ولأن البومة الأثيني كان رمزاً جليلاً للحكمة، فقد كان من الصعب أي مؤلف يوناني في التجمهر حول البومة تعبيراً عن كره الطيور الأخرى له. فبدلاً من ذلك كان في اقتراح أنها «كانت حكمة البومة من أعجبت بها الطيور الصغيرة»، مستساغا أكثر.

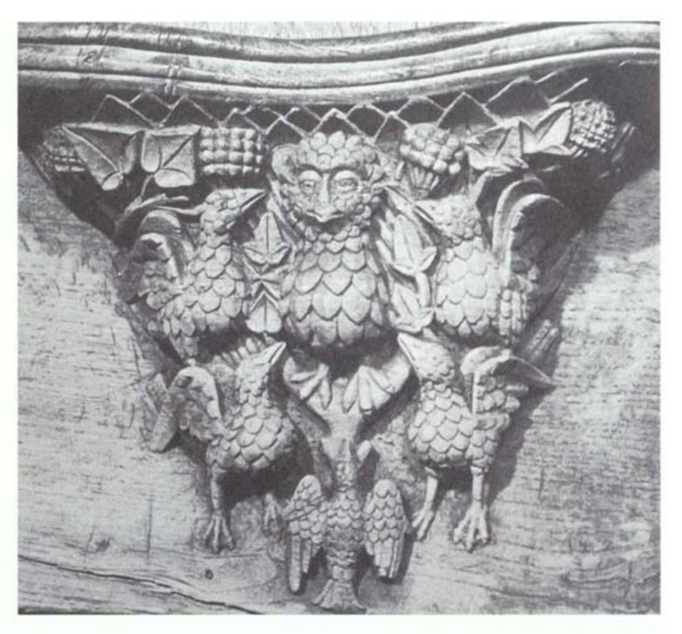
ذكر بليني (Pliny) في العصور الرومانية التجمهر في كتابه «التاريخ الطبيعي» الذي صدر في عام ٧٧ قبل الميلاد. يثير وصفه الفضول إلا أنه يرتكز ربما على حالة متطرفة. فهو يقول: «يا له من منظر جميل أن ترى نباهة وحذق هذه البومات (Howlets) عندما تقتل مع الطيور؛ لأنه عندما تكتنفها حشود الطيور الصغيرة، وتحدق بها من الجوانب كلها، فإنها تعمد إلى الاستلقاء على ظهورها، باذلة قصارى جهدها في مقاومة الطيور. فإن تجميع أنفسها في نطاق ضيِّق لا يبقى إلى حد ما شيئاً يرى منها باستثناء منقارها ومخالبها التي تؤمّن غطاءً للجسد كاملاً»[2].

كانت تضمّن عادة كتب الحيوانات التي صدرت في القرن الثالث عشر رسماً للبوم المحاط بالطيور المحتشدة ضمن رسومها التوضيحية. وقد ظهر أن هناك مقدارا من الانتحال من كتاب حيوان إلى آخر، ذلك أن المشهد يكرر نفسه باختلافات طفيفة فقط. فيظهر البومة وهو يتعرض للنقر من ثلاثة طيور كان غراب العقعق أخفضهم.

يُرى البومة الثابت في مكانه يعاني هذه المهانة برباطة جأش، في وقفة منتصبة صلبة. تعلّم كتب الحيوان الدينية قارئيها درساً أن البومة تعرّض

1- Aristotle, Historia Animalium, transl. D'Arcy Wentworth Thompson (Oxford, 1910), vol. iv, p. 609.

2- C. Pliny Secundus, *The Naturall Historie* (London, 1635), Tome i, Bk 10, ch. xvii, p. 277.



بومة تهاجمه خمسة طيور، نحت على خنجر الرحمة في كاتدرائية نورويخ، شرق أنغليا Anglia ١٤٨٠.

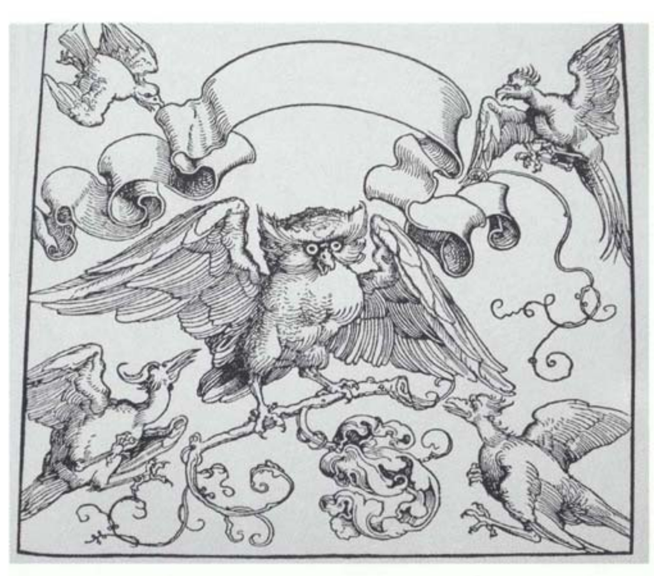
للهجوم؛ لأنه -بوصفه طائر توّدد للظلام- قد «رفض نور المسيح»[1]. ولإظهار الطائر شريراً أكثر، ادعى أحد كتب الحيوان أن البومة يطير للخلف.

بعد ذلك بقليل- في القرن الخامس عشر تحديداً- تُرى خمسة طيور صغيرة تهاجم بومة آخر تعرَّض للمعاناة طويلاً، نُحت الرسم هذه المرة من الخشب على خنجر الرحمة (العرق المنحوت أسفل الكرسي) في كاتدرائية نورويخ. ويمكن رؤية -نقوش مشابهة في عدد من الكنائس الإنجليزية في تلك الحقبة، من يوركشير Yorkshire في الشمال نزولاً إلى سومرست Somerset قرب الساحل الجنوبي.

هجر البرخت دورير[2] Albrecht Dürer في بداية القرن السادس

1- Ann Payne, *Medieval Beasts* (London, 1990), p. 73

٢- رسام ونقاش ألماني (١٤٧١-١٥٢٨) من أعظم الفنانين الألمان في عصر النهضة. من أشهر منقوشاته النحاسية: الفارس والموت والشيطان. ومن أهم لوحاته الزيتية: الرسل الأربعة: (المترجم).



البرخت دورير، بومة في التحام مع طيور النهار، ١٥٠٩-١٥١٥، حفر على الخشب.

عشر أسلوبه المتسّم بالطبيعة في تصوير الحيوانات، وقدّم لنا بومة بائس بعينين بريّتين وريش منفوش وجناحين يصفقان؛ نتيجة لتعرضه للتعذّيب على يد أربعة طيور غاضبة، محضرةً مناقيرها ومخالبها الحادة كموس الحلاق للهجوم.

أظهر فرانسيس بارلو Francis Barlow في القرن اللاحق بومة تهاجمه حشود الطيور عند مدخل عشه. بدا بومة بارلو مرتبكاً وهو يتعرض لهجوم سبعة طيور من الجهات جميعها. يصف بارلو مشهده أنه يرمز إلى خاطئ يهاجمه أهل الحق، إنّه يشعر بحاجة أن يضفي على صورته رسالة أخلاقية على الرغم من حقيقة كونها تصويراً واقعياً بالضرورة.

يمكن العثور على معالجة أكثر طبيعية في القرن السابع عشر في لوحة فسيفساء في فلورنس من إبداع مارسيلو بروفنزيل Marcello Provenzale، ١٥٧٥-١٦٣٩، يصور الفنان بومة تتحرش به تشكيلة كاملة من الأنواع المصوّرة بدقة، وتتضمن طائر أبا الحناء، والحسّون، والخضيري، وعصفور الصفنج، والدُّوري، وطيور التيط الكبيرة. من وجهة نظر علم الطيور، فإن هذه الفسيفساء

سبقت زمانها بقرنين من الزمان.

إذا انتقلنا للزمن الحاضر، فإننا نجد أن هذه الأعمال الفنية قد استُبدلت بشكل كبير بصور التقطها مراقبو الطيور الذين حالفهم الحظ في مصادفة أحد عروض الطيور المسرحية هذه. فبفضل ملاحظاتهم حظينا نحن بتوصيفات مفصّلة بدقة لما يحدث بالضبط عندما يقع بومة جانح ضحية لعنف التجمهر.

يجدر السؤال عن كيفية تشكيل طيور النهار لمثل عادة الولَه بالقتال غير المميَّزة هذه. فالطيور الصغيرة في كل مكان تعاني طوال حياتها من الخوف من البوم. إنه خوف فطري ينشأ فيهم بعمر أشهر قليلة سواء أقابلوا بومة في حياتهم أم لا. ما يؤكد هذا حقيقة أن بعض العث والفراش -كما ذُكر آنفاً- قد طوّرا تخطيطاً بشكل عين البومة على أجنحتها يمكن أن تومض في وجه بعض الطيور التي تقترب كثيراً وتخيفها لتبتعد بعيداً.

بومة تحتشد حوله الطيور: فسيفساء مارسيلو بروفينزيل من القرن السابع عشر «مشهد طبيعي مع الطيور».





بومة مقرّن كبير تحتشد
عليه غربان في نهر روت،
مقاطعة ريساين Racine،
ويسكينسين Wisconsin.

يولّد هذا الخوف الفطري من البوم عموماً تفادياً يُبقي على الحياة من هذه الطيور الجارحة، ولكن أحياناً -عادة عندما يكون هناك رفقاء قريبة منهم- يصبح الضحية هو الجلاّد. فبدلاً من الهرب تثب في أرضها وتواجه البومة. وتجتذب بصرخة تنبيه المزيد من الطيور الصغيرة إلى ساحة المعركة حتى يصبح الطير الجارح محاطاً بحشد -مزعج غضب. ثم تبدأ بالتحرش بالطائر الكبير، وتبدأ بالصياح بصوت مرتفع باستمرار، وتبرم وتهز أجسادها، وتقوم حتى بهجمات استهزاء أيضاً. وقد يغامر فرد جسور معيّن من القيام بهجوم حقيقي، فيُغير من خلف البومة يوجه ضربة في ريشه.

لا يحدث تصرّف الاحتشاد بتاتاً عندما يكون البومة ناشطاً في الاصطياد. فأكثر ما يحدث عندما يتصرّف البومة بطريقة غريبة. فإذا كان مصاباً أو مريضاً فإنه يعمد للجلوس بسكون في مكان مرئي على غير عادته أثناء ساعات النهار. يشكل هذا البومة الساكن على نحو واضح هدفاً رئيسياً للتجمهر. فتتجمّع الطيور الصغيرة حوله وتقترب منه إلى مسافة قريبة بشكل لافت، مسافة لا تتعدى عادة أكثر من ٣ أمتار (١٠ أقدام)، وتبدأ حينئذ بالاستعراض. تختلف الحركات من نوع إلى آخر، إلا أن الحَسَاسِيْنَ العادية من مثل الصَّفنج تبدأ بلف جسدها نحو البومة، وترفع ريش تاجها، وتحني أقدامها، وترفع سيقانها بشكل طفيف، وتهز جسدها بسرعة من جانب إلى آخر بوضعية انحناء.

عُرف عن العديد من الأنواع انغماساً في مثل هذا الاستعراض الحشودي الغريب، بما في ذلك الحَسَاسِيْن، والعصافير، وعصافير الدُّرسة، والعصافير الشادية، والشحارير، والسُّمَّن، وحتى طيور الطنان الصغيرة. وقد أصبحت الطيور الطنّانة عدائية بشكل خاص تأز حول رأس الطائر الكبير على مسافة إنشين من وجهه، وتصيح وتخز عينيه. وتجازف بعض الطيور الأكبر من مثل الشحارير والسُّمَّن بالقذف الانقضاضي، فتغيرُ على البومة من علو تسعة أمتار (٣٠ قدماً) مصوّبة عليه تماماً، وتنحرف عنه في اللحظة الأخيرة عندما تكون على بعد قدم واحد منه. وتثب عليه أحياناً من الخلف وتغرس مخالبها في ريش رأسه.

يبدو أن متعة الاستعراض معدية، فيصل كثير من الطيور وتبدأ بتأدية طقوس التجمهر دون رؤية البومة الذي سبب الاهتياج. فهي تشهد سلوك الطيور الصغيرة المحتشدة الأخرى وتحذو حذوها ببساطة. وتنفعل كثيراً أثناء هذا الصراع العُصابي لدرجة يتمكن البشر فيها من الاقتراب منهم إلى مسافة أقرب من أي وقت آخر. وتشتد إثارتها لدرجة يستمر معها احتشادها لوقت طويل حتى وإن حدث أن غادر البومة نهاية، كما لو أنها لا تستطيع أن تسكن إلى المستوى الطبيعي إلا بعد انقضاء وقت ليس بقصير.

يجد البومة المحاصر يبدو أنه ((سؤال) خلاف ذلك سيكون مجسَّماً قليلاً؟) المهاجمة كاملة كريهة ومربكة. تقترح جلسته أنه أغضب واستثير على يد من تحلّق حوله. يتوق الطائر للراحة بشكل متزايد إلى أن تزداد الجلبة والاقتاحامات إلى درجة لا يستطيع احتمالها، في النهاية يحلّق مبتعداً إلى بقعة أكثر هدوءاً في مكان آخر. وهذه هي -طبعاً- وظيفة استعراض الانقضاض المشترك. لا ينسى البومة هذه المحنة أبداً، ومن الممكن أن يتجنب في المستقبل هذه المقاطعة الخاصة. ويشكل هذا فائدة عظيمة للطيور المحلية الصغيرة.

يبقى السؤال عن كيفية تعرّف الطيور الصغيرة إلى البومة قائماً. ما هي تلك الخصائص الخاصة التي تستدعي مثل هذا الرد القوي؟ أثبتت التجارب الميدانية باستخدام بوم محشو ودمى خشبية، أن الصفات المهمة التي تجعل من البومة بومة هي: رأس كبيرة، ذيل قصير، ريش كفافي صلب، لون بني أو رمادي، سطح مرسَّم ببقع أو خطوط، منقار وعينان موجّهتان للأمام. كلما امتلكت الدمية مزيداً من هذه الخصائص كلما تعرّضت للتجمهر بشكل أعنف، إلا أنه لم يسجل فرقاً إذا كانت الدمية بومة محشوة بريش حقيقي أم قطعة خشبية على شكل بومة. إذا غابت عناصر البومية -أو إذا وُجِد القليل منها- تُظهر الطيور الصغيرة بعض الفضول بالدمية لكنها لا تُستحث للقيام برد احتشادي كامل.

يُعد صوت النعيب المميِّز الذي يطلقه البومة صفة تكفي بمفردها في جذب الطيور الاحتشادية. وهذه حقيقة عرفها صيادو الطيور في ترينداد Trinidad

خير المعرفة، منذ أمد يعود إلى أيام ما كان ريش الطيور الطنّانة يستخدم لصنع محليّات الأزياء الأنيقة. فقد اكتشفوا أن تقليد نعيب البوم المحلية فقط، يجلب الطيور الطنّانة سيئة الحظ باتجاهها مما يؤدي إلى هلاكها.

حماية البوم CONSERVATION OWLS

حظيت البوم بعد قرون من الاضطهاد بالتقدير كونها طيوراً رائعة بشكل مثير. فثمة كثير من منظمات حماية وحفظ البوم الممتازة، وقد أجريت دراسات دقيقة لتقييم الأعداد الحية منها لأنواعها المختلفة. فمن بين ٢٠٠ نوع تقريباً للبوم الحية في الزمن الراهن، وضع دعاة حفظ البوم البوم أحد عشر نوعاً من قائمة الأنواع المهددة بالانقراض، وستة أنواع أخرى على حافة الانقراض (وضع فوقها علامة ×). الأنواع المعرَّضة للخطر معروضة على ظهر الورقة.

دائما ما يكون فَقْدُ الموطن هو المسبب في الانقراض إلى حد كبير. تحتاج معظم أنواع البوم إلى الغابات التي أزيل القسم الأعظم منها على مستوى العالم. لذا يظهر المستقبل بعيد المدى لبعض الأنواع أجرداً كثيباً. أما التهديد الآخر فيتمثّل في الاستخدام الواسع للمبيدات الحشرية التي تخفض أعداد أنواع الحيوانات التي تقتات عليها البوم. وثمة خرافات سَوداء في بعض المناطق المتخلفة حول البوم ما زالت قائمة تراها مُهلكة كما الأرواح الشريرة.

إلا أن القلق الشعبي حول البوم المهدَّدة قد تلقى دعماً من هوليود Hollywood في عام ٢٠٠٦ بصدور فيلم رائج يحمل اسم «النعيب» Hoot. فقصة الفيلم الذي وُصف أنه «مثير بيئوي» تحكي عن مجموعة من المراهقين الذي تحدّوا مطوّري أرض فلوريدا Florida التي كانت جرّافاتهم تهدد مواطن بوم الجحور المحلية.

النوع	الاسم الرسمي	العدد	المسبّب
بومة تاليابو المقنع	Tyto nigrobrunnea	٢٥٠-٩٩٩ ويتناقص	التحطيب الجائر
بومة مدغشقر الأحمر	Tyto soumagnei	١,٠٠٠-٢,٤٩٩ ويتناقص	تدمير الموطن
بومة خليج الكونغو	Phodilus prigoginei	٢,٥٠٠-٩,٩٩٩ ويتناقص	إزالة الغابة
بومة سكوبس سوكوكي	Otus ireneae	٢,٥٠٠ ويتناقص	فقد مواقع الأعشاش
بومة سكوبس سيريندیب	Otus Thilohoffmanni	٢٥٠-٩٩٩ ويتناقص	فقد الموطن
بومة سكوبس فلوريس	Otus alfredi	١,٠٠٠-٢,٤٩٩ ويتناقص	فقد الموطن
بومة سكوبس سياو×	Otus siaoensis	أقل من ٥٠	تدمير الموطن
بومة سكوبس سيكيليز	Otus insularis	٢٤٩-٣١٨ ثابت	عدد قليل
بومة سكوبس بياك	Otus beccarii	٥٠٠-٩,٩٩٩ ويتناقص	موطن مبعثر
بومة سكوبس أنجوان×	Otus capnodes	٥٠-٢٤٩ ويتناقص	فقد الموطن
بومة سكوبس موهيلي×	Otus moheliensis	٤٠٠ ويتناقص	موطن محدود جداً
بومة سكوبس جراند كومرو×	Otus pauliani	٢,٠٠٠ ويتناقص	موطن محدود جداً
بومة بلاكيستون السمكة	Ketupa blakistoni	٢٥٠-٩٩٩ ويتناقص	فقد الغابة
بومة روفوس صائدة السمك	Scotopelia ussheri	١,٠٠٠-٢,٤٩٩ ويتناقص	فقد الغابة
بومة بيرنامبيوكو القزم×	Glaucidium moore -rum	أقل من ٥٠ ويتناقص	موطن محدود جداً
بومة الشنبات الطويلة	Xenoglaux loweryi	٢٥٠-٩٩٩ ويتناقص	موطن يتراجع بسرعة
بومة الغابة×	Heteroglaux blewitti	٥٠-٢٤٩ ويتناقص	عدد مبعثر

يُظهر الملصق المثير للفيلم المراهقين يقفون بتحدٍّ بين البومة في جحره، وبين جرّافة تقترب. تعد حقيقة عدّ صناعة الأفلام في هوليود مثل هذه الحبكة مجديةً اقتصادياً أخباراً حسنة لحفظ البوم.

وثمة سبب آخر يدعو للاحتفال، وهو أنه من بين المئتي نوع من البوم هناك ١٨٠ نوعاً مدرجاً في فئة الحفظ الخاصة بـ «الأقل قلقاً». وبعض هذه الأنواع

ملصق للفيلم الرائج النعيب، صدر في أيار ٢٠٠٦.



لديها عدد يستحيل مهاجمته. فالبومة العظيم المقرّن مثلاً يملك تعداداً عالمياً يقدّر بما لا يقل عن ٥,٣٠٠,٠٠٠. ويقارب عدد بومة الحظائر عدد البومة العظيم المقرّن نفسه تقريباً، فيصل عدده إلى ٤,٩٠٠,٠٠٠. شكّلت البوم دائما- بحلولها الليلية الخاصة الناجعة في حل مشكلة البقاء- عائلة طيور ناجحة عالمياً يحتمل بقاؤها على وجه البسيطة نظراً لأعدادها الضخمة.



بومة العقاب الأسيوي

.Bubo bubo

10– البوم اللانمطية UNUSUAL OWLS

تُعد البوم عموماً مجموعة طيور متماثلة بشكل لافت. يمكن أن تتمايز قليلاً من نوع إلى آخر في ريشها، أو لونها، أو قسمات وجوهها، أو شقوق آذانها، إلا أن طريقتها في العيش كصيادة ليلية يبدو أنها تتّبع نسقاً بومياً أساسياً صارماً، أما النوع الشاذ عن هذا النسق فنادر. على الرغم من ذلك فثمة قليل من البوم تستحق منّا عناية خاصة؛ لأنها ضلّت عن هذا النسق البومي النمطي إلى اتجاه ما أو آخر. فبعضها أصبح ضخماً بشكل فريد، وبعضها أضحى صغيراً على نحو إستثنائي، ونزل بعضها من الشجر ليقطن جحوراً تحت الأرض. وأخيراً، فقد أشيع عن بومة انقرض مؤخراً؛ لأنه فقد القدرة على الطيران واكتسب مكانة خرافية غريبة جداً.

البومة العملاق THE GIANT OWL

يعد بوم العقاب الآسيوي أشد أنواع البوم إثارة في العالم. فبوزنه الذي يصل إلى ٣,٠٠٠ غم (٦ أرطال)، وجسد يصل طوله إلى ٧٢ سم (٢٨ إنش)، وامتداد جناحه المذهل الذي يصل إلى ما يقرب من ١٧٥ سم (٢٩ إنش)، أصبح هذا النوع عملاقاً بين البوم جارحاً ومرعباً. تتضمن قائمة طعامه القوارض المعتادة، إلا أنه يعمد أيضاً –على نحو مدهش– إلى اصطياد البوم الأخرى. هذه علاقة وحيدة الاتجاه. فلم يجرؤ أي بومة آخر أن يهاجم البومة العقاب و يفترس طيور النهار الجارحة أيضاً من مثل العِقْبَان، وصقور الهار، والحدءات، والصقور الحوّامة، وصقور الباز، وحتى النسر العادي.

إنّ وجبته– في الواقع– تتنوع بشكل كبير، فبالإضافة للطيور الجارحة فقد عُرف عنه قنص البط، وطيور الغرّاء، وطيور الغطّاس، وطيور الطهيوج، والحجل، والسلوى، واليمام، والحمام، والنوارس، والطيور المخوّضة، ونقاري الخشب، والغربان، وغربان الزيتون، والقيقان، وغربان العقعق، وكسارات البندق،

والقبّرات، وطيور الدُّج، والزرازير، وطيور السُّمافة، والسنونوات، وطيور الغاق، وطيور مالك الحزين، وطيور الواق، وطيور الحُباري، وطيور الكُركي، وحتى غربان الغُراف. وينسحب الأمر على الثدييات أيضاً. وإضافة للجرذان، والفئران، وفئران الحقل فإنه يتغذى على الأرانب، والأرانب البرية، وصغار الظبي، وحيوانات الشمواة، وصغار وعل الجبل، والخراف البرية وصغارها، والسناجب، والقواقم الأوروبية من فصيلة ابن عرس، وحيوانات ابن عِرس، وحيوانات المنك اللاحمة، وحيوانات الدَّلق، والثعالب، والوطاويط، والقطط الأليفة، والخُلد، وحيوانات الزّبابة آكلة الحشرات، والقنافذ. من الواضح أنه لا يحظى أحد بالأمان عندما يجوس البومة العقاب الكبير بحثاً عن فريسة، ولا يحظى بومة آخر على وجه البسيطة بهذه التشكيلة الغذائية المذهلة التي يحظى بها.

تخاف معظم أنواع البوم من أصوات التجمعات البشرية وهرجها الصارخ، إلا أن هذه الأصوات لا تعني شيئاً للبومة العقاب المذهل. ففي عام ٢٠٠٧ كانت تدور حول مجريات فعالية كرة قدم أمريكي دولية هامة بين بلجيكا وفنلندا في ستاد هيلسينكي Helsinki الوطني. انقض في منتصف اللعبة الطائر العملاق على اللاعبين وحط على مرمى الكرة. أوقف الحكم اللعبة وأخرج اللاعبين منتظراً مغادرة الطائر. وقد تنفّس الصعداء لدى رؤيته الطائر الكبير يفرد جناحيه ويرتفع للأعلى كما لو أنه يودّع الجمهور الضّاج .ولكن بدلاً من ذلك فقد استقر بجلال فوق عارضة إحدى المرميين، وأدار برأسه يمنةً ويسرة مستعرضاً المشهد البشري من حوله. ثم حلق من جديد تعلو وجهه الدهشة لا الخوف. وتحوّل ابتهاج الجمهور إلى موجة من الضحك عندما استقر على المرمى المقابل بدل أن يهرع من الملعب، أو يستأنف تحديقه في مشجعي اللعبة المواجهين له. لقد غادر في النهاية واستؤنفت اللعبة، إلا أن حضوره الملكي في الملعب كشف النقاب عن أمرين. أولهما: أن بومة العقاب الأسيوي لا يخشى الإنسان، وثانيهما: أنه لم يجسر إنسان أن يحاول طرده بعيداً.

منذ هذه الحادثة، أصبح فريق كرة قدم فنلندا يعرف باسم **Huuhkajat**،

كلمة فنلندية تعني بومة العقاب الآسيوي، وقد سُمِّي البومة نفسه مواطن هيليسنكي في كانون أول من عام ٢٠٠٧. لقد مُنِحَ اسم بوبي Bubi، وقد كشفت الدراسات أنه كان بومة متمدِّن. فقد كان يستخدم منصة A في ميدان اللعبة منطقة يجثم عليها بانتظام بعض الوقت، وقد كانت تغضبه رؤية ملايين من المشجعين المتحمسين يشغلون منطقته الشخصية في مثل هذه المناسبة.

وهناك سبب آخر لشهرة هذا الطائر ظهر مؤخراً يتمثّل في أنّ بومة العقاب هو النوع الذي يظهر في فيلم بومة عائلة مالفوي Malfoy في قصص هاري بوتر لِـ. ج. ك. راولنج. إنه ملك البوم فعلا، ويبدو أنه يتوافق مع حقيقة أن هذه الطيور الضخمة كانت تستخدم سلم الهرم القديم في صقّارة[1] Saqqara مكاناً لتزاوجها السنوي.

إلا أنه يظهر في الحاشية خبراً حزيناً، أنّ هذا البومة المذهل يقع فريسة للاضطهاد البشري، وأن أعداده تتضاءل. لم يسعفه توجّهه الجسور نحو البشر في هذا المنحى، ويبدو أنه يتعرّض للاصطدام بشكل استثنائي على الطرقات والسكك الحديدية، وخصوصاً الأسلاك المعلّقة وخطوط الكهرباء.

البومة الأصغر THE SMALLEST OWL

يعد البومة القزم elf الذي يعشش في أشجار الصبّار الكبيرة في المكسيك وفي الولايات الجنوبية للولايات المتحدة الأمريكية. فبوزنه الذي لا يتعدى ٤٠ غرام (أونصة) وجسد طوله ١٤ (٥ إنش)، لا يسعفه حجمه الصغير ليقتات على الثدييات الصغيرة أو الطيور. عوضاً عن ذلك، يستمتع بتناول وجبة من الحشرات الكبيرة مثل الجراد، والجنادب، والصراصير. ويتغذى أيضاً على الخنافس، والعث، والعناكب، والحرائش (أم أربع وأربعين)، وعلى العقارب العادية. يلتقط الحشرات الكبيرة أثناء جثومها على النباتات، إلا أنه يمتلك القدرة أيضاً على اقتناصها بالهواء، سواء بمخالبه أو بمنقاره. ويُعرف عن البومة القزم الصيّاد لدى سكناه إلى جانب عمران بشري أنه يستغل أسراب الحشرات

١- أرض مدافن ضخمة في مصر: (المترجم).



البومة القزم Micrat-ene whitneyi البومة الأصغر، يعشش هنا في شجرة صبار.

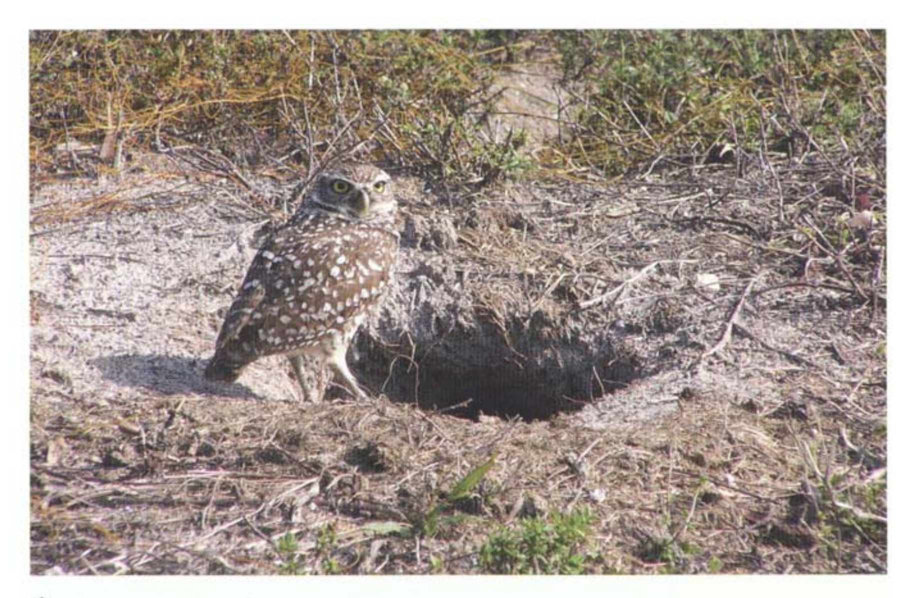
الطائرة ليلا التي تنجذب للأضواء الكهربائية الخارجية.

لا يتمتع هذا النوع بالطيران الهادئ على غير عادة البوم،، ربما لأنه لا يحتاج إلى هذه الدرجة من الخلسة أثناء اصطياده لفريسته اللافقارية. وثمة خصيصة فريدة أخرى يمتلكها هذا البومة، وهي أن لديه عشر ريشات في ذيله فقط، في حين تمتلك جميع أنواع البوم الأخرى اثنتي عشرة ريشة. أما عن الأصوات التي يطلقها، فإنه ينشِج، ويئن، ويعوي، وينبح كجروٍ صغير. تظهر الذكور عدوانية في دفاعها عن العش، أما الإناث فتميل إلى التظاهر بالموت مع عينين مغلقتين وجسد يظهر بلا حياة. ويسخِّر البومة القزم أثناء النهار استراتيجية سرية تتمثل في البقاء ساكناً في وضعية منتصبة مع ريشه المضموم بقوة إلى جسده، وجناح ممدود للأمام، ووجه يضيق قرصه. يحاكي بهذه الطريقة غصناً مكسوراً أو جذلاً خشبياً ليتفادى الرصد.

بومة الجحور THE BURROWING OWL

توجد بوم الجحور الصغيرة الغريبة ذوات السيقان النحيلة، والعيون الصفراء المتألقة، ووقفتها العمودية الفريدة، على طول الأمريكيتين من مروج العشب القصير في كندا شمالاً إلى سهول الأرجنتين وتشيلي المترامية في أقصى الجنوب. إضافة إلى مروج الأعشاب هذه يمكن ملاقاة بوم الجحور أيضاً في المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية، وحتى في الضواحي السكانية في زمننا الراهن، بما في ذلك ملاعب الغولف والمطارات.

يتحلّى بومة الجحور بالعديد من الصفات التي لا تشبه صفات للبوم في شيء. تشريحياً تبدو سيقانه شبيهة بسيقان الدجاجة منها بسيقان البومة. ويجثم البومة النمطي على غصن مظهراً أقدامه فقط، يخفي ريشه السفلي سيقانه. غير أنّ بومة الجحور الذي يقضي جلَّ وقته على الأرض أو تحت مستوى الأرض يمتلك سيقانا طويلة يظهر الجزء الأكبر منها بادياً للعيان. ويعد سلوكه غريباً أيضاً لعضو في عائلة البوم. فبدلاً من الإقامة في عش أو حجثم متعالٍ عن الأرض بأمان بعيداً عن متناول الضواري ساكني الأرض، يصنعَ



بومة جحور على مدخل جحر.

بومة الجحور -كما يدل اسمه- بيته في أنفاق تحت الأرض، يحفره بنفسه أحياناً، ولكن غالبا ما يستعيرها من مطارد القوارض الكبيرة من مثل كلب المروج والفيسكاس[1].

اعتادت سناجب الأرض المعروفة باسم كلاب المروج على الوجود بأعداد ضخمة قبل وصول الجنس البشري (أسأل: هل المقصود جنس السكان الأصليين أم الجنس الأبيض؟) إلى الأمريكيتين. فإلى زمن متأخر من بداية القرن العشرين كانت بعض مستعمرات هذه الحيوانات تحوي عدداً يقارب المئة مليون. وقد وفّر نظام الجحور الخاص بها الذي كان يمتد أميالاً في الاتجاهات كافة الموطن الأمثل للبوم الجحورية الصغيرة، التي انتعشت هي الأخرى وازدهرت. عندما تعرّضت القوارض للإبادة لكونها ضارة في مساحات شاسعة من القارة، رافق اختفاءها اختفاء جماهير بوم الجحور، وقد ندر وجودها في الزمن الراهن مقارنة بالقرون السالفة.

١- كلا الحيوانين من القواضم: (المترجم).

تُعد العلاقات الاجتماعية التي تجمع البوم والقوارض علاقات معقّدة. فيحيا النوعان في بعض المناطق في تجاور قريب، متجاهلاً أحدها الآخر إلى حد ما. أما مناطق أخرى فتحتمل عدائية واضحة. فثمة خرافة شعبية تفيد أن بوم الجحور، والقوارض، وأفاعي الجرس كانت تعيش مع بعضها بانسجام تتشارك الجحور ذاتها، لكن الواقع يتناقض مع هذا الافتراض تماماً؛ لأنّ البوم تطرد القوارض عندما تستولي على الجحر، أما أفاعي الجرس فينحصر حضورها في كونها ضارية مفترسة حسب.

تستخدم بوم الجحور الأنفاق الأرضية للنوم والتعشيش على حد سواء. وتعد العشوش استثنائية بالنسبة لها؛ لأنها مكسية بروث الثديّات الكبيرة الرَّائعة. يُعد هذا تحسيناً محدثاً لم تعهده البوم النمطية، وهو يساعد فراخ بومة الجحور ؛ لأنه يحجب رائحتها، ويخفيها بفعالية عن الضواري التي تصيد بحاسة الشم. ويُعد هذا مهماً؛ لأنّ تربية الفراخ في الأنفاق الأرضية يجعل منها عرضة للضواري الثديَّة الليلية من مثل ابن عرس، والأبوسوم، والغُرير. إذا لم ينجح القناع الرائحي واقترب الضاري من العش، لا يتبقى أمام البوم الصغيرة إلا استراتيجية نهائية لحماية أنفسها. تتمثل في أنها طوّرت نداء إنذار خاص يجمع بين الهسهسة، وبين الخشخشة مقلّدة بذلك صوت أفعى الجرس السامة. مما يستدعي أن تعدّ حيوانات ابن عرس وآكلة اللحم الصغيرة الأخرى للعشرة قبل أن تقترب من جحر في الظلام، ويمكن أن تنسحب بعد ذلك. إلا أن هذه الاستراتيجية ستفشل طبعا إن كان الضاري أفعى جرس.

تنشط بوم الجحور في النهار، وفي وقت الفجر، وعند الغسق، وهي أقل أنواع البوم نشاطاً ليلاً. حتى أنها تقتنص السحالي والحشرات الكبيرة تحت شمس الظهيرة الحارقة. وتماشياً مع نزعتها في العيش في مستوى منخفض من الأرض تعمد بوم الجحور أحياناً إلى مطاردة فرائسها داخل الأرض. وإضافة للحيوانات التي تتغذى عليها بوم الجحور، فإنها خلافاً لأفراد عائلتها الأخرى تتغذى أيضاً على الفواكه والبذور. وتفضل بوم الجحور في بعض المناطق ثمار الصبار من مثل التين الشوكي.

لا تُرى البوم النمطية في مستعمرات أو جماعات كبيرة أبداً، وتخرج بوم الجحور هنا أيضاً عن النمط؛ لأنها تُلاحظ عادة جاثمة أو معشعشة في مجموعات من عشرة أزواج، أو أكثر. ويمكن أن تتجمع عائلات عدة خارج جحورها العُشية في المناطق ذات العدد المرتفع، وهذا ما يجعل منها نوعاً من البوم فريداً فعلاً.

البومة العاجز عن الطيران FLIGHTLESS OWL

أكثر أنواع البومة إثارة للحيرة، هو بومة باهامان الكبير Tyto Pollens المنقرض الذي عُرف من أجزاء أحافير له. هذا النوع المنقرض الذي يشار إليه أيضاً ببومة حظائر جزيرة أندروس أو بومة حظائر باهامان كان قريباً لبومة الحظائر الشائع في زمننا الراهن. وقد كان عملاقاً بين البوم، يبلغ طوله متراً (٣٩ إنش) وقد فَقَدَ القدرة على الطيران. كان يعيش في غابات الصنوبر القديمة في جزيرة أندروس، الجزيرة الأكبر في باهاماس Bahamas، وكان يعشش في جحور. حاول البقاء على قيد الحياة مع وصول الأوربيين في القرن السادس عشر حتى أقدموا على إزالة غاباته، فاختفى بسرعة.

كان البومة العاجز عن الطيران سبباً في انتشار خرافة محلية عن قزم ماكر يشبه البومة مع وجه يشبه وجه البومة، وعينين حمراوين متوهجتين، ورأس يدور في الاتجاهات كافة، وثلاثة أصابع، وثلاثة أصابع أقدام، وذيل يتدلى عادة من الأشجار. قصّ المستوطنون الأوائل حكايات غريبة عن هذا العفريت الليلي المؤذي الصغير المسمى تشيكشارني Chickcharnie، مدعين أنه بنى عشه عن طريق جمع قمتي شجرتي صنوبر مع بعضهما. يُنصح كل من يرتاد جزيرة أندروس أن يحمل زهوراً، أو قطع قماش زاهية لإسعاد هذه الكائنات المثيرة للمشاكل، وأن يتجنّب مضايقتها أو السخرية منها. إذا أبديت لها الاحترام فسوف تحل عليك البركة وحسن الحظ بقية حياتك، وإلا فإن رأسك سيتحول للخلف تماماً وستعاني من الحظ المتعثر. بعد أن أباد المحليّون الطائر الحقيقي، يبدو أنهم مصممين اليوم على الإبقاء على شبحه.

من الغريب أنه قد أُشيع أنّ تشيكشارني هو المسؤول عن الحرب العالمية الثانية. إذ أخبرتنا القصة أن الشاب نيفيل تشامبرلين Neville Chamberlain الذي سيصبح رئيس وزراء بريطانيا فيما بعد، كان منشغلاً في قطع الأشجار في جزيرة أندروس ليفسح الطريق لمصنع عندما وقعت عينه على عش تشيكشارني في أعلى أشجار الصنوبر. رفضت عاملاته المحليات لمس العش وهربن مفزوعات فزعا شديدا، إلا أنه تجاهل تحذيراتهن، وبدأ بقطع الأشجار بنفسه، مدمراً العش جالباً اللعنة الأبدية لنفسه. كانت تلك اللعنة هي مَن أدّت إلى إخفاقه المخزي في ميونخ Munich مما أدى إلى اندلاع الحرب العالمية الثانية. كيفما نظر أحدنا إلى هذه القصة فهي إنجاز لبومة منقرض.

الجدول الزمني للبومة

قبل ٦٠ مليون عام

أحافير لبوم تُظهر أن هذا النوع من الجوارح الليلية قد بدأ الظهور.

قبل ٣٠,٠٠٠ سنة

أقدم صورة بومة منقوشة على سقف كهف شوفيه، فرنسا.

١٨٩٨ قبل الميلاد

بوم تظهر على لوحات جدارية من عصر السلالة الحاكمة الثانية عشرة في مصر.



١٥٠٨

لوحة البريخت دورير المشهورة عن بومة صغيرة.



١٧٧٩-١٧٩٧

حفر غويا: نوم العقل يوّلد وحوشاً.



١٨٢٨

«طيور أمريكا» لأودويون تناول ١٤نوعاً من البوم.

١٨٥٠

تحصّل فلورنس ناتينجيل على بومة من أثنيا حيواناً مدللاً لها.



١٩٤٦

بيكاسو يتبنى بومة قصاب في أنيتبس.

خمسينيات القرن العشرين

ميك سنثرين (Mick Southern) يجري دراسة خالدة عن البيئة الغذائية للبوم.

١٩٦٠

الفنانة الإسكيموية كينو جواك تبدع نحتها الحجري الأيقوني «البومة المسحورة».



١٢٠٠قبل الميلاد	القرن السابع قبل الميلاد	٤٠٠ - ٢٠٠ قبل الميلاد	القرن الثالث عشر
بوم برونزيون من عصر سلالة شانغ (Shang) الحاكمة في الصين القديمة.	حافظة عطر سابق لكورنث اليوناني على شكل بومة.	بوم تظهر على عملات يونانية قديمة في أثينا.	رسم توضيحي في كتاب حيوانات يظهر بومة تحتشد عليه الطيور.



١٨٦٧	١٩٠٠	١٩٣٩
البومة والهر يذهبان للبحر في شعر لير الهذائي.	نادي وينزدي لكرة القدم من شفيلد أصبح معروفاً باسم البومThe Owls	جيمس ثيربر يقدّم «البومة الذي كان إلهاً».



١٩٦٢	٢٠٠١	٢٠٠٥	٢٠٠٦
روجر باين يثبت أن البوم باستخدام آذانها فقط، يمكن أن تعثر على فرائسها في الظلام المطبق.	هيدويج بومة الثلج يظهر في الجزء الأول من فيلم هاري بوتر.	تريسي إيمينز ترى نفسها بومة في نقشها «بومة صغيرة/صورة شخصية».	صدور الفيلم الرائج «النعيب» (Hoot) الذي يظهر محاولات للدفاع عن البوم ضد مطوّري الأراضي.

ملحق APPENDIX

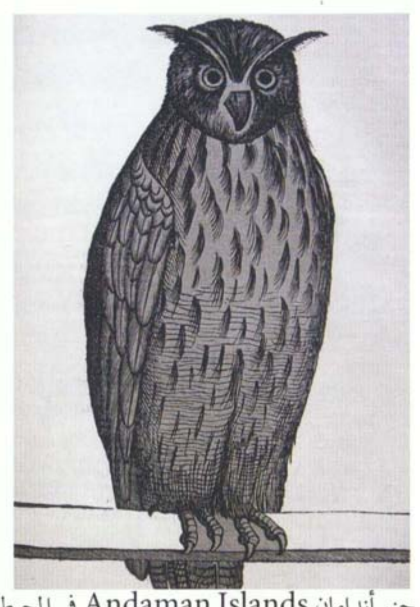
قام بليني بأول محاولة لتصنيف البوم تصنيفاً علمياً في عام ٧٧ قبل الميلاد. فقد حدد في الجزء العاشر من كتابه «التاريخ الطبيعي» ثلاثة أنواع للبوم: البومة الصغير، والبومة العُقاب، والبومة الصيّاح. وقد زاد كونراد جيسنر Conrad Gesner، ١٥٦٠ في القرن السادس عشر العدد إلى أربعة[1]، ووصل في القرن السابع عشر إلى أحد عشر في مصنّف يوليسيس الدروفاندي Ulyssis Aldrovandi الضخم «التاريخ الطبيعي»، المكون من ثلاثة عشر جزءاً، وقد حظيت البوم كلها برسوم على الخشب توضيحية رائعة جدا[2]. ويشير هذا إلى بداية محاولة علمية جادة؛ لتنظيم وبيان أنواع البوم، والتعليق على الفروق بينها، وأما القرن التاسع عشر فقد شهد انطلاق مشاريع علماء الحيوان المجازفة بحثا في أجزاء العالم الغامضة وجمع العينات التي ما فتأت أن ملأت الطوابق الأرضية لمتاحف التاريخ الطبيعي الكبيرة. استمرت هذه العملية في القرن العشرين على قدم وساق لدرجة أن أصبح من الصعب على العالم المستكشف الجريء أن يعثر على نوع حيوان ضخم جديد. على الرغم من ذلك، فما زال هذا يحدث أحياناً، فقد اكتشف نوع بوم جديد في السنوات القليلة الماضية.

تختلف آراء المرجعيات حول العدد الدقيق لأنواع البوم اختلافاً كبيراً في الزمن الحاضر. فبعضهم يقول بـ ١٥٠ نوعاً، ويسجّل آخرون أكثر من ٢٢٠. فأهم أسباب هذا الاختلاف هو أن الكثير من البوم تعيش في جزر صغيرة، فقد طوّرت اختلافات طفيفة في الشكل عن أنسابها الأصلية في البر الرئيسي المجاور. إذاً فقد أصبحت قضية عدّ أحد تجمعات البوم المنعزلة هذه نوعاً مميزاً قضية يحكمها الذوق. فعلى سبيل المثال، ثمة نوع من بومة الحظائر موجود في

1- Conrad Gesner, Icones Avium ([[AQ place of pub?]], 1560), pp.14–17.

2- Ulyssis Aldrovandi, Opera Omnia ([[AQ place of pub?]], 1638–68), Libri xii, Ornithologiae (1646) pp. 498–570





. بومة الحظائر من كتاب كونراد جينسر «أسماء الأحياء المائية» *Nome-clator* Aquatilium Animantium, ١٥٦٠

البومة المقرّن من كتاب يوليسيس الدروفاندوس، «علم الطيور» (*Ornothologiae*، الجزء ١٢، (١٦٦١)

جزر أندامان Andaman Islands في المحيط الهندي. غير أنه أصغر من النوع الموجود في البر الرئيسي، إلا أنه من الصعب التكهن إذا كانتا ستتزاوجا أم تبقيا على انفصال كامل إذا التقيا؛ لأنه لم يسبق لهما أن التقيا من قبل في البرية.

لذا بوسع أحدنا أن يخمِّن ما إذا كانا نوعين منفصلين أم لا. لو حدث وكنت عالم حيوان موضوعي، فسوف تعمد إلى جمع الاثنين إلى بعضهما بوصفهما من النوع نفسه، أما إذا كنت محافظاً متعاطفاً فسوف تميل إلى رؤية الشكل الموجود في الجزيرة نوعا منفصلاً؛ لأنه نوع نادر جداً يستدعي حماية طارئة.

يهدف التصنيف التالي في محاولة لإرضاء مدرستي التفكير سواء بسواء، إلى إيجاد شكلا من التوازن بين المتناقضين، يستوعب التصنيف حوالي ٢٠٠ نوع من أنواع البوم الأصلية. إنه تصنيف حديث إلى درجة ما، يتضمن بعض الأنواع التي لم يتم اكتشافها إلا في القرن الواحد والعشرين.

الترتيب: ستريجيفورمز (198 نوعاً)
(species 198) Order: Strigiformes
(species 15) Family Tytonidae
عائلة تيتونايداي (15 نوعاً)
بوم الحظائر Barn Owls

أستراليا، نيوغيني	Tyto tenebricosa	البومة السخامي
جزيرة سولاويسي الشمالية	Tyto inexspectata	بومة سولاويسي الذهبي
جزيرة سولا، مولوكاس	Tyto nigrobrunnea	بومة تالايبو المقنّع
جزيرة تاينمبار، ليسرسونداس	Tyto sorocula	بومة ليسر المقنّع
جزيرة مانوس في جزر أدميرالتي	Tyto manusi	بومة مانوس المقنّع
جزيرة بريطانيا الجديدة	Tyto aurantia	بومة بيسمارك المقنّع
أستراليا، نيوغيني	Tyto novaehollandiae	البومة الأسترالي المقنّع
سولاويسي (سيلابيز)	Tyto rosenbergii	بومة سولاويسي
مدغشقر	Tyto soumagnei	بومة مدغشقر الأحمر
في أرجاء العالم كافة	Tyto alba	بومة الحظائر
هاييتي، جمهورية الدومينيك	Tyto glaucops	بومة الوجه الرمادي
أفريقيا	Tyto capensis	بومة العشب الأفريقية
جنوب أسيا، أستراليا	Tyto longimembris	بومة العشب الشرقية
بوم الخليج Bay Owls		
حوض الكونغو، أفريقيا	Pholidus prigoginei	بومة الخليج الكونغوي
أسيا	Phodilus badius	بومة الخليج الشرقي

عائلة ستريغيداي (183) نوعاً
Family Strigidae

البومة الصيَّاح Screech Owls		
البومة الصيّاح الغربي	Megascops kennicotti	شمال غرب أمريكا والمكسيك
بومة نهر بولساس الصيّاح	Megascops seductus	المكسيك
بومة المحيط الهادئ الصيّاح	Megascops cooperi	غرب ووسط أمريكا
البومة الصيّاح الشرقي	Megascops asio	شمال شرق أمريكا
البومة الصيّاح ذو الشوارب	Megascops trichopsis	أريزونا ووسط أمريكا
البومة الصيّاح الاستوائي	Megascops choliba	وسط وجنوب أمريكا
بومة كيوباك الصيّاح	Megascops koepckeae	بوليفيا والبيرو
بومة غرب البيرو الصيّاح	Megascops roboratus	الإكوادور، والبيرو
البومة عاري السيقان الصيّاح	Megascops clarkii	كوستاريكا، وبنما، وكولومبيا
البومة الصيَّاح الملتحي	Megascops barbarus	غواتيمالا وجنوب المكسيك
البومة الصيّاح المائل للحمرة	Megascops ingens	من فنزويلا إلى بوليفيا
البومة الصيّاح الكولومبي	Megascops colombianus	كولومبيا والإكوادور
البومة الصيّاح القِرفي	Megascops petersoni	الإكوادور والبيرو
بومة الغابة السحابية الصيّاح	Megascops marshalli	البيرو
البومة الصيّاح ذو البطن الأسمر المصغر	Megascops watsonii	حوض الأمازون، جنوب أمريكا

البومة الصيّاح ذو القلنسوة السوداء	Megascops atr - capillus	جنوب شرق أمريكا
البومة الدودي الصيّاح	Megascops guat - malae	المكسيك إلى شمال غرب الأرجنتين
بومة الغابة الجبلية الصيّاح	Megascops hoyi	الأرجنتين وبوليفيا
البومة الصيّاح طويل ريش الرأس	Megascops san - taecatarinae	الأرجنتين والبرازيل
بومة بيورتوريكا الصيًاح	Megascops n - dipes	جزر الكاريبي
البومة الصيّاح ذو الحنجرة البيضاء	Megascops albog - laris	شمال جبال الأنديز
Scops Owls بوم سكوبس		
بومة سكوبس أبيض المقدمة	Otus sagittarius	جنوب شرق أسيا
بومة سكوبس الضارب إلى الحمرة	Otus rufescens	جنوب شرق أسيا
بومة سكوبس الرملي	Otus icter - rhynchus	غرب أفريقيا
بومة سكوبس سوكوكي	Otus ireneae	كينيا
بومة سكوبس أندامان	Otus balli	جزر أندامان
بومة سكوبس الجبلي	Otus spilocephalus	أسيا
بومة سيرينديب	Otus thiloho - manni	أسيا
بومة سكوبس سيميولو	Otus umbra	جزيرة سيميليو، سومطرة
بومة سكوبس جاوة	Otus angelinae	جاوة
بومة سكوبس سولاويس بومة سكوبس سانجهي	Otus manadesis Otus collari	سولاديسي جزيرة سانجهي، سولاويسي

بومة سكوبس لوزون	Otus longicornis	لوزون، الفليبين
بومة سكوبس ميندورو	Otus mindorensis	ميندورو، الفليبين
بومة سكوبس مينداناو	Otus mirus	ساوتومي، الفليبين
بومة سكوبس ساوتري	Otus hartlaubi	ساو تومي وبرنسيبه
بومة سكوبس الشاحب	Otus brucei	الشرق الأوسط إلى وسط أمريكا
البومة المحمّر	Otus flammeolus	شمال غرب أمريكا ووسط أمريكا
بومة سكوبس الشائع	Otus scops	أسيا وأوروبا
بومة سكوبس الأفريقي	Otus senegalensis	شبه الصحراء الأفريقية
بومة سكوبس الشرقي	Otus sunia	جنوب وشرق أسيا
بومة سكوبس نيكوبار	Otus alius	جزيرة نيكوبار
بومة سكوبس الأنيق	Otus elegans	جزر جنوب اليابان، تايوان، لوزون
بومة سكوبس مانتاناني	Otus mantananensis	الفليبين وماليزيا
بومة سكوبس فلورز	Otus alfredi	جزيرة فلورز
بومة سكوبس سياو	Otus siaoensis	جزيرة سياو، سولاديسي، إندونيسيا
بومة سكوبس أنجانو	Otus enganensis	جزيرة انجانو، سومطرة
بومة سكوبس سيكيليس	Otus insularis	ماهي، سيكيليس
بومة سكوبس بياك	Otus beccari	جزيرة بياك، خليج غيلفنك، بابيوا
بومة سكوبس مدغشقر	Otus rutilus	مدغشقر
بومة سكوبس بيمبا	Otus pembaensis	جزيرة بيمبا البحر المقابل لتنزانيا
بومة سكوبس إنجوان	Otus capnodes	جزيرة إنجوان، كوموروس، المحيط الهندي

غرب مدغشقر	Otus madagascariensis	بومة سكوبس توروتوروكا
جزيرة كومرو، المحيط الهندي	Otus mayottensis	بومة سكوبس مايوتي
جزيرة موهيلي،كوموروس،المحيط الهندي	Otus moheliensis	بومة سكوبس موهيلي
كومورو العظيمة، المحيط الهندي	Otus pauliani	بومة سكوبس كومورو العظيمة
سومطرة، جاوة، بورنيو	Otus brookii	بومة سكوبس راجاه
جنوب وشرق أسيا، إندونيسيا واليابان	Otus bakkamoena	بومة سكوبس ذو الياقة
مينتاواي، غرب سومطرة، إندونيسيا	Otus mentawi	بومة سكوبس مينتاواي
الفليبين	Otus fuliginosus	بومة سكوبس بالاوان
جزيرة لوزون، الفلبين	Otus megalotis	بومة سكوبس وايتهيد
فلورز وسمباوا، جزيرة سوندا	Otus silvicola	بومة سكوبس ليسرسوندا
شبه الصحراء الأفريقية الكبرى	Otus leucotis	بومة سكوبس ذو الوجه الأبيض
جزيرة بالاو	Otus podarginus	بومة سكوبس بالاو
Bare-Legged Owl البومة ذو السيقان العارية		
كوبا	Gymnoglaux lawrencii	البوم ذو السياق العارية
Giant Scops Owl بومة سكوبس العملاق		
الفلبين	Mimizuku gurneyi	بومة سكوبس العملاق
Eagle Owls البوم العُقاب		
الدائرة القطبية الشمالية	Bubo scandiaca	البوم الثلجي
شمال وجنوب أمريكا	Bubo virginianus	البوم المقرّن الكبير
أوروبا وأسيا	Bubo bubo	البومة العقاب الأوراسي

البومة العقاب الصخرة	**Bubo bengalensis**	جنوب أسيا
بومة فرعون العُقاب	Bubo ascalaphus	شمال أفريقيا والشرق الأوسط
بومة العقاب الرأس	Bubo capensis	شرق وجنوب أفريقيا
بومة العقاب المبقّع	Bubo africanus	الصحراء العربية وشبه الصحراء الأفريقية الكبرى
بومة عقاب فريسر	Bubo poensis	غرب أفريقيا
بومة عقاب يوسامبرا	Bubo vosseleri	تنزانيا
بومة عقاب الغابة	Bubo nipalensis	الهند وجنوب شرق أسيا
بومة عقاب مالي	Bubo sumatranus	جنوب أسيا
بومة عقاب شيلي	Bubo shellyei	غرب أفريقيا
بومة عقاب فيروكس	Bubo lacteus	شبه الصحراء الأفريقية الكبرى

بوم السمك Fish Owls		
بومة سمك بلاكيستون	Ketupa blakstoni	شرق أسيا واليابان
بومة السمك البني	Ketupa zeylonensis	الشرق الأوسط وجنوب أسيا
بومة السمك الأسمر المصفر	Ketupa flavipes	وسط وجنوب شرق أسيا
بومة سمك مالاي	Ketupa ketupa	جنوب شري أسيا
البوم صائد السمك Fishing Owls		
بومة بيل صائد السمك	Scotopelia peli	شبه الصحراء الأفريقية
البومة صائد السمك الضارب للحمرة	Scotopelia ussheri	غرب أفريقيا
البومة صائد السمك الدودي	Scotopelia bouvieri	غرب أفريقيا
بوم الأحراش Wood Owls		
بومة الأحراش المبقع	Strix seloputo	جنوب شرق أسيا
بومة الأحراش المرّقط	Strix ocellata	الهند وغرب بورما



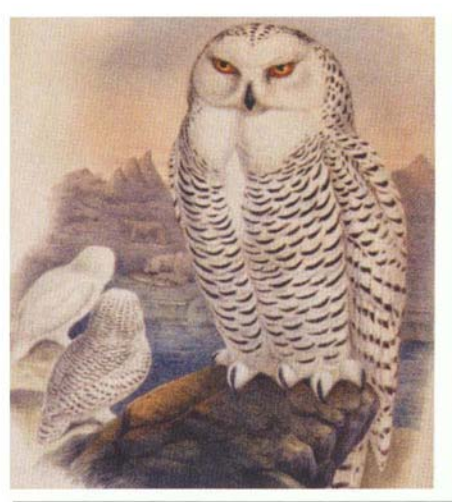


«البومة الأعظم» من مصنّف سافيريو مانيتي Saverio Manetti «التاريخ الطبيعي للطيور» الجزء الأول (فلورنس، ١٧٦٧).
«البومة الصغير»، من مصنّف جولد Gould، «طيور ..»، الجزء الرابع (١٨٧٣).

بومة الأحراش البني	Strix leptogra - mica	الهند، جنوب الصين، جنوب شرق أسيا
البومة الأسمر المصفَر	Strix aluco	أوروبا، وأسيا، شمال أفريقيا، الشرق الأوسط
بومة هيوم الأسمر المصفَر	Strix butleri	الشرق الأوسط
البومة المبقّع	Strix occidentalis	غرب شمال أمريكا والمكسيك
البومة المقلّم	Strix varia	شمال أمريكا والمكسيك
البومة البني المصفَر	Strix fulvensis	جنوب المكسيك وشمال وسط أمريكا
البومة المقلّم بلون الصدأ	Strix hylophila	البرازيل، الأوروغواي، وشمال شرق الأرجنتين

البومة ذو السياق الضاربة للحمرة	Strix rufipes	جنوب أمريكا الجنوبية
بومة شاكو	Strix chacoensis	بوليفيا، براغوي، الأرجنتين

بومة أورال	Strix uralensis	وسط وشمال أوروبا، وسط آسيا، اليابان
بومة ديفيد الغابية	Strix davidi	الصين
البومة الرمادي الكبير	Strix nebulosa	شمال أوروبا، أسيا وشمال أمريكا
بومة الغابة الأفريقي	Strix woodfordii	شبه الصحراء الأفريقية الكبرى
البومة المرقط	Strix virgata	المكسيك، وسط وجنوب أمريكا
البومة ذو اللون الأبيض والأسود	Strix nigrolineata	المكسيك إلى الإكوادور
البومة ذو الياقة السوداء	Strix huhula	شمال ووسط أمريكا الجنوبية
البومة ذو الياقة الضاربة للحمرة	Strix albitarsus	شمال جبال الأنديز
البومة طويل شعر العنق Maned Owl		
البومة طويل شعر العنق	Jubula letti	غرب أفريقيا
البومة ذو العرف Crested Owl		
البومة ذو العرف	Lophostrix cristata	وسط وشمال أمريكا الجنوبية
البومة ذو النظارة Spectacled Owls		
البومة ذو النظارة	Pulsatrix perspici - lata	المكسيك، ووسط وجنوب أمريكا
البومة ذو البطن المقلّم	Pulsatrix melanota	شمال جبال الأنديز
البومة ذو الحاجب الأسمر المصفر	Pulsatrix koeniswa - diana	شرق وجنوب أمريكا





«بومة الثلج»، من مصنف جون جولد، «طيور بريطانيا، الجزء الرابع» (لندن، ١٨٧٣).

بومة سكوبس الأوروبي «، من مصنف ماينتي، «علم الطيور، الجزء الأول، (١٧٦٧).

البومة العُقاب Hawk Owl		
البومة العقاب	Surnia ulula	شمال أمريكا الشمالية، شمال أوروبا وشمال أسيا
البوم القزمة Pygmy Owls		
البومة القزم الأوراسي	Glaucidium passer - num	شمال ووسط أوروبا، شمال أسيا
البومة القزم ذو الياقة	Glaucidium brodiei	جبال الهمالايا، الصين وجنوب شرق أسيا
بومة العروق اللؤلؤية	Glaucidium perlatum	شبه الصحراء الأفريقية الكبرى
البومة القزمة الشمالي	Glaucidium gnoma	غرب شمال ووسط أمريكا
البومة أندين القزم	Glaucidium jardinii	وسط وشمال أمريكا الجنوبية
بومة الكوستاريكي القزم	Glaucidium costar - canum	كوستاريكا وبنما
بومة الغابة السحابية القزم	Glaucidium nubicola	كولومبيا والإكوادور

بومة يونجاس القزم	Glaucidium boliv - anum	الأرجنتين، بوليفيا والبيرو
بومة بيرغوكو القزم	Glaucidium morre - rum	البرازيل
البومة القزم الأمازوني	Glaucidium hardyi	المكسيك، وسط وشمال أمريكا

بومة ليست قزما بومة وسط أمريكا القزم	Glancidiun minutssimun Glaucidium griseiceps	المكسيك، وسط وشمال أمريكا وسط، جنوب وشمال أمريكا
بومة تاموليباس القزم	Glaucidium sanchezi	المكسيك
بومة كوليما القزم	Glaucidium palmarum	المكسيك
البومة القزم شبه الاستوائي	Glaucidium parkeri	بوليفيا، الإكوادور، البيرو
البومة القزم بلون صدأ الحديد	Glaucidium brasilianum	وسط وجنوب أمريكا
بومة بيرو القزم	Glaucidium peruanum	الإكوادور والبيرو
البومة القزم الأسترالي	Glaucidium nanum	الأرجنتين وتشيلي
البومة القزم الكوبي	Glaucidium siju	كوبا
البومة ذو الصدر الأحمر	Glaucidium tephron - tum	أفريقيا الاستوائية
بومة سجوستد القزم	Glaucidium sjostedti	غرب وسط أفريقيا
بويمة الوقواق	Glaucidium cuculoides	الصين وجنوب شرق أسيا
بويمة حادة	Glaucidium castanopte - um	إندونيسيا
بويمة البتين بويمة الأدغال	Glaucidium albertinum Glaucidium radiatum	شرق زائير ورواندا الباكستان إلى بورما
البويمة ذو الظهر الكستنائي	Glaucidium castanotum	سريلانكا
البويمة الكستنائي	Glaucidium castaneum	غرب أفريقيا الاستوائية
البويمة الأفريقي المقلّم	Glaucidium capense	شبه الصحراء الأفريقية

الاسم	الاسم العلمي	المنطقة
بومة البرتين	Glaucidium albertinum	شرق زائير ورواندا
البومة ذو الشوارب الطويلة Long-Whiskered Owl		
البومة ذو الشوارب الطويلة	Xenoglaux loweryi	شمال البيرو
بومة إلف(القزم) Elf Owls		
بومة إلف	Micrathene whitneyi	جنوب غرب الولايات المتحدة والمكسيك
البوم الصغيرة Little Owls		
البومة الصغير	Athene noctua	أوروبا، شمال أفريقيا، الشرق الأوسط، أسيا
البومة الصغيرة المبقع	Athene brama	جنوب أسيا
بومة الجحور	Athene cunicularia	الأمريكيتين
بومة الغابة المبقع Forest Spotted Owl		
بومة الغابة المبقع	Heteroglaux blewitti	وسط الهند
بوم الغابة Forest Owls		
بومة تينجما لم	Aegolius funereu	أوروبا، شمال أسيا، شمال أمريكا
بومة مشحذة المنشار الشمالي	Aegolius acadicus	شمال أوروبا وشمال المكسيك
بومة مشحذة المنشار غير المبقع	Aegolius ridgwayi	جنوب المكسيك ووسط أمريكا
بومة المقدمة الجاموسية	Aegolius harrisii	شمال وغرب ووسط أمريكا الجنوبية
البوم العقاب Hawk Owls		
البومة الضارب للحمرة	*Ninox rufa*	شمال أستراليا ونيوغيني
البومة القوي	*Ninox strenua*	جنوب شرق أستراليا
البومة النباح	*Ninox connivens*	أستراليا، نيوغيني، ومولوكاس
بومة بوبوك سومبا	*Ninox rudolfi*	إندونيسيا

بومة بوبوك الجنوبية	*Ninox novaeseelandiae*	أستراليا
بومة سومبا العقاب الصغير	*Ninox sumbaensis*	سومبا، إندونيسيا
البومة العقاب البني	Ninox scutuluta	جنوب وشرق أسيا
بومة اندامان العقاب	*Ninox affinis*	انداما وجزر نيكوبار
البومة العقاب ذو الحاجب الأبيض	*Ninox superciliaris*	مدغشقر
بومة الفليبين العقاب	*Ninox philippensis*	الفليبين
البومة العقاب الأحمر الزاهي	*Ninox ios*	سولاويسي (سيليبز)
البومة العقاب ذو البطن الأصفر	*Ninox ochracea*	سولاويسي (سيليبز)
بومة توجيان العقاب	Ninox burhani	جزيرة توجيان، سولاديسي (سيليبز)
البومة العقاب الإندونيسي	*Ninox squamipila*	جنوب شرق الجزر الأسيوية
بومة عقاب كريسماس	*Ninox natalis*	جزيرة كريسماس
بومة عُقاب الادغال	*Ninox theomacha*	نيوغيني
بومة عقاب جزر ادميرالتي	Ninox meeki	جزر ادميرالتي
بومة العقاب المرقط	*Ninox punctulata*	سولارويسي (سيليبنز)
بومة عقاب بيسمارك	*Ninox variegata*	بريطانيا الجديدة، وأيرلندا الجديدة
بومة بريطانيا الجديدة العقاب	*Ninox odiosa*	بريطانيا الجديدة
بومة عقاب جزر سليمان	*Ninox jacquinoti*	جزر سليمان





«بومة العامة»، من مصنف ماينتي «علم الطيور» الجزء الأول (١٧٦٧).

«البومة السمراء »، من مصنف «علم الطيور»، الجزء الأول (١٧٦٧).

البومة العقاب البابيواني Papuan Hawk Owl		
البومة العقاب البابيواني	Uroglaux dimorpha	نيوغيني
بوم سكوبس الزائف Pseudo–Scops Owls		
البومة الجامايكي	Pseudoscops grammicus	جامايكا
البومة المخطط	Pseudoscops clamator	المكسيك ووسط وجنوب أمريكا
البومة المخيف Fearful Owl		
البومة المخيف	Nesasio sol - monensis	جزر سليمان

البومة ذو الآذان Eared Owls		
بومة نهر الجحيم الحالك	Asio stygus	المكسيك، وسط وجنوب أمريكا
البومة ذو الأذنين الطويلتين	Asio otus	أوروبا، الشرق الأوسط، أسيا، أفريقيا
البومة ذو الأذنين الطويلتين الحبشي	Asio abyssinicus	شرق أفريقيا وزائير
بومة مدغشقر ذو الأذنين الطويلتين	Asio madaga - cariensis	شرق مدغشقر
البومة ذو الأذنين القصيرتين	Asio flammeus	أوروبا، أسيا، الأمريكيتين
بومة السبخة الأفريقي	Asio capensis	شبه الصحراء الأفريقية

مسرد مراجع مختارة

Select Bibliography

Armstrong, Edward, The Life and Lore of the Bird (New York, 1975)

— —, The Folklore of Birds (London, 1958)

Backhouse, Frances, Owls of North America (Richmond Hill, ON, 2008)

Berger, Cynthia, Owls (Mechanicsburg, PA, 2005)

Breese, Dillys, Everything You Wanted to Know About Owls (London, 1998)

Bunn, D. S. et al., The Barn Owl (Calton, Staffs, 1982)

Burton, J. A., Owls of the World (London, 1984)

Cenzato, Elena and Fabio Santopietro, Owls: Art, Legend, History (New York, 1991)

Clair, Colin, Unnatural History (New York, 1967)

Everett, M. J., A Natural History of Owls (London, 1977)

Grossman, Mary Louise and John Hamlet, Birds of Prey of the World (London, 1965)

Gruson, Edward S., A Checklist of the Birds of the World (London, 1976)

Holmgren, Virginia C., Owls in Folklore and Natural History (Santa Barbara, ca, 1988)

Hume, Rob, Owls of the World (Limpsfield, Surrey, 1991)

Johnsgard, P. A., North American Owls – Biology and Natural History (Washington, DC, 1988)

Kemp, A. and S. Calburn, The Owls of Southern Africa (Cape Town, 1987)

Konig, Claus and Friedhelm Weick, Owls of the World (London, 2008)

Konig, Claus, Friedhelm Weick and J.-H. Becking, Owls: A Guide to the Owls of the World (New Haven, CT, 1999)

Long, Kim, Owls, a Wildlife Handbook (Boulder, CO, 1998)

Lynch, Wayne, Owls of the United States and Canada (Baltimore, MD, 2007)

Medlin, Faith, Centuries of Owls in Art and the Written Word (Norwalk, CT, 1968)

Mikkola, Heimo, Owls of Europe (London, 1983)

Peeters, Hans, A Field Guide to Owls of California and the West (Berkeley, CA, 2007)

Scholz, Floyd, Owls (Mechanicsurg, pa, 2001)

Shawyer, Colin, The Barn Owl (London, 1994)

— —, The Barn Owl in the British Isles: Its Past, Present and Future (London, 1987)

Sparks, John and Tony Soper, Owls: Their Natural and Unnatural History (New York, 1970)

Taylor, Iain, Barn Owls (Cambridge, 2004)

Voous, Karel H., Owls of the Northern Hemisphere (London, 1988)

Weick, Friedhelm, Owls Strigiformes: Annotated and Illustrated Checklist (Berlin, 2006)

Weinstein, Krystyna, The Owl in Art, Myth, and Legend (London, 1990)

Associations and Websites

جمعيات ومواقع إلكترونية

THE AUSTRIAN BARN OWL PROJECT

www.schleiereule.at/english/englframe.html

A project to protect the barn owl in Austria.

BANGALORE BARN OWL CONSERVATION GROUP

www.bangalorebarnowl.com/barnowl.php

THE BARN OWL CENTRE OF GLOUCESTERSHIRE

www.barnowl.co.uk/

The centre helps provide a sanctuary for owls in need.

BOCN – THE BARN OWL CONSERVATION NETWORK

www.bocn.org/

A UK network of specialist voluntary advisors, working to help this

species by promoting a nationwide habitat creation scheme.

THE BARN OWL CONSERVATION TRUST

www.barnowl.co.uk/

THE BARN OWL TRUST

www.barnowltrust.org.uk/

The trust is at the centre of Barn Owl conservation in the UK.

BURROWING OWL CONSERVATION SOCIETY OF BC:

http://burrowingowlbc.org/

Based in British Columbia, Canada.

Burrowing Owl Preservation Society:

Based in California.

COTSWOLD OWL RESCUE TRUST

www.owlrescue.supanet.com/

A conservation project to ensure a healthy gene pool.

HEREFORD OWL RESCUE

www.herefordowlrescue.co.uk/

A centre that looks after any owl that is in danger or unwanted.

THE HUNGRY OWL PROJECT

www.hungryowl.org/

Started in 2002, The Hungry Owl Project (hop) is based in Marin County, California. Its mission is to reduce the need for harmful pesticides

by encouraging natural predators and by providing a resource

of help and information on alternative methods of sustainable pest management.

INTERNATIONAL OWL SOCIETY

www.international-owl-society.com/

Provides a worldwide forum for all those interested in owls.

THE OWL FOUNDATION

www.theowlfoundation.ca/

A conservation organization that operates a centre for the rehabilitation

of Canadian Owl species, and the behavioural observation of permanently

damaged wild owls in a breeding environment.

OWL HALL OF FAME

www.globalowlproject.com/

The Global Owl Project (GLOW) proposes a multi-year, worldwide

project to resolve aspects of taxonomy and conservation

for the world's owls.

THE OWL PAGES

www.owlpages.com/

An Australian website that disseminates information on all aspects of owls.

OWL RESCUE

www.owlrescue.co.uk/

A one-stop source of information on the subject of owls.

WILD OWL

www.wildowl.co.uk/

Owl conservation project started in the spring of 2006.

WORLD OF OWLS

www.worldofowls.com/

A Northern Ireland centre working to ensure the survival of owls throughout the world.

WORLD OWL TRUST

www.owls.org/ and www.worldowltrust.org/

Leading the world in owl conservation, a trust whose primary aim is

to ensure the survival of all species of the world's owls, promoting scientific research, habitat creation and restoration. Headquarters: World Owl Centre, Muncaster Castle, Ravenglass, Cumbria CA18 IRQ:

www.muncaster.co.uk/world-owl-centre



« سلسلة جريئة وساحرة»

المستقل

« سلسلة عظيمة تمتد من النملة وحتى الحوت »

الجارديان

نبدة عن الكتاب

يستكشف ديزموند موريس Desmond Morris، في كتابه الأكثر مبيعاً «البومة»، التاريخ الطبيعي والثقافي لهذه الجوارح الليلية التي تجسد الخير والشر معاً. فهو يصف تطورها، وتركيبتها الفسيولوجية بشكل دقيق، ورمزيتها عند الشعوب البدائية والمتحضرة والمتمدنة، وتصورات الكتاب المقدّس حولها، وبيان كيف وظفها الشعراء في قصائدهم، والروائيون في نثرهم، والرسامون في لوحاتهم، والنحاتون في نقوشهم. وقد تعرض لأنواعها العديدة، وحضورها الطاغي على وجه البسيطة، حيث توجد البوم على كل أرضٍ مترامية في أرجاء المعمورة، باستثناء القارة القطبية الجنوبية. ونتيجة لهذا الانتشار الواسع، فقد ظهرت هذه الطيور في الحكايات الشعبية، والأساطير، والخرافات عند كثير من الشعوب فضلاً عن الفن الشعبي، والأفلام. ويختتم الكتاب بسرد مصوَّر لأنواع البومة وتصنيفاتها وأماكن وجودها وتعدادها.

المعارف العامة
الفلسفة وعلم النفس
الديانات
العلوم الاجتماعية
اللغات
العلوم الطبيعية والدقيقة / التطبيقية
الفنون والألعاب الرياضية
الأدب
التاريخ والجغرافيا وكتب السيرة






ISBN 978-9-94801-553-6